دروثي روبرتس

فن التواصل مع المراهقين

مراهقة بلا متاعب

ترجمة

إسماعيل صفوت

تقديم ومراجعة

د. منال عبد الحميد

الكتاب: فن التواصل مع المراهقين.. مراهقة بلا متاعب

الكاتب: دروثي روبرتس

ترجمة: إسماعيل صفوت

تقديم ومراجعة: د. منال عبد الحميد

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

روبرتس، دروثي

فن التواصل مع المراهقين.. مراهقة بلا متاعب / دروثي روبرتس، ترجمة / إسماعيل صفوت، تقديم ومراجعة: د. منال عبد الحميد – الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢٣٦ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٧ – ١٤٢ – ٩٩١ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٤٦٩١ / ٢٠٢١

فن التواصل مع المراهقين

مراهقة بلا متاعب

تقديم

قِيل قديمًا الكتاب يُقرأ من عنوانه، ولم يكن في هذا القول مبالغة. وهذا الكتاب واحد من الكُتب التي يصدق عليها هذا القول، فعنوانه بلغ قدرا من الدقة والتحديد مبلغا كبيرا لدرجة أن مغزاه ومضمونه يتلخصان في العنوان، وهو "فن التواصل مع المراهقين"، فالعنوان الرئيس للكتاب يبرز ويوجز الهدف من الكتاب الذي يعتبر دليلا للعمل مع الشباب في المدارس والأندية وأي مؤسسة من المؤسسات التي يرتادونها وتتعامل معهم، أما العنوان التوضيحي الذي تردفه المؤلفة بالعنوان الرئيس وهو " مراهقة بلا متاعب" فيحدد الفئة العمرية التي تقصدها المؤلفة، وفي نفس الوقت يوضح منهجها في التعامل مع هذه الفئة، فهم بشر يحتاجون تعاملًا إنسانيًا راقيًا، وليسوا مشاكل أو قنابل موقوتة كما يراهم الكثيرون، وبالتالي فالتعامل معهم ليس فقط واجبا وظيفيا بل هو فن كما يوضح العنوان الرئيس.

أما مؤلفة هذا الكتاب فهي الخبيرة التربوية الأمريكية الشهيرة "دروثي روبرتس"، ولدت في مدينة كامبردج بولاية ماساشوستس الأمريكية في عام ١٨٩٦، وهناك تلقت تعليمها قبل الجامعي، ثم حصلت على البكالوريوس في التربية من كلية هانتر في مدينة نيويورك ثم على درجة الماجستير وبعدها درجة الدكتوراة، ولم تتخصص في الجانب الأكاديمي بل فضلت ممارسة دورها التربوي عمليًا وتطبيقيًا، فأمضت أكثر من خمسة وعشرين عاما تعمل كإخصائية تربوية مع الشباب في مرحلة المراهقة، كما كانت مسئولة عن تنفيذ

برامج الشباب في جمعية الشبان المسيحية في ولاية نيويورك ما بين عامي ١٩٥٠، و١٩٦٠.

وقد قدمت خلاصات تجربتها العملية في عشرات المقالات التي نشرتها في الدوريات الأمريكية المتخصصة، كما أصدرت عدة كتب في نفس المجال منها كتاب "فن التعامل مع الشباب".

أما المترجم إسماعيل صفوت فهو واحد من الفريق الذي أسس وزارة الشباب المصرية في أول ظهور لها في عام ١٩٦٢، وقبلها أسهم في تكوين المجلس الأعلى لرعاية الشباب في عام ١٩٥٨، وهو المجلس الذي شكل النواة الأولى لوزارة الشباب فيما بعد، وكان المترجم يعمل وقت إصدار الترجمة العربية للكتاب في ١٩٦٥ مديرا لإدارة البحوث بوزارة الشباب، وله ترجمات لأعمال أخرى في مجال الاهتمام بالشباب.

وقد ترجم هذا الكتاب باعتباره مرجعا هاما يفيد كل من يهتم بشئون الشباب من مدرسين ومربين ورواد ومتخصصين ومشرفين اجتماعيين وكل من يعمل مع الشباب، بل وقادة الشباب أنفسهم، خصوصا المشتغلين منهم مع جماعات الشباب في سن المراهقة والمدرسين بهذه المرحلة السنية.

فهذا الكتاب يبحث في موضوع قيادة شباب المراهقين وتنظيم هذه القيادة، ومعاونتهم لتنظيم جماعاتهم، ويتناول البرامج التي يجب تعميمها بين جماعات الشباب، كما يقترح الأساليب التي تساعد الكبار على معاونة المراهقين في نموهم نموا سليما متزنا عاطفيا وجسمانيا وعقليا وتكيفهم مع المجتمع. فالمراهقون أناس عاديون يحتاجون إلى فهمهم ومعاملتهم كآدميين، ومساعدتهم للوصول إلى الرشد سالمين ودون مشاكل نفسية أو بدنية.

المراهقة

يتعامل هذا الكتاب مع مرحلة المراهقة باعتبارها أمرا حتميا أو أزمة لا بد أن يمر بها الإنسان، أو اختبار ضروري لا بد للإنسان من اجتيازه بنجاح حتى يكون مؤهلا للوصول إلى مرحلة الشباب، فطور المراهقة يعتبر من أخطر المراحل التي يمر بها الإنسان ضمن أطوار حياته المختلفة التي تتسم بالتجدد المستمر، ومكمن الخطر في هذه المرحلة التي تنتقل بالإنسان من الطفولة إلى الرشد، حيث أنه لا ينتقل بتلك البساطة.

والمراهقة تختلف من فرد إلى آخر، ومن بيئة جغرافية إلى أخرى، ومن سلالة إلى أخرى، كذلك تختلف باختلاف الأنماط الحضارية التي يتربى في وسطها المراهق، فهي في المجتمع البدائي تختلف عنها في المجتمع المتحضر، وكذلك تختلف في مجتمع المدينة عنها في المجتمع الريفي، كما تختلف من المجتمع المتزمت الذي يفرض كثيرًا من القيود والأغلال على نشاط المراهق، عنها في المجتمع الحر الذي يتيح للمراهق فرص العمل والنشاط، وفرص إشباع الحاجات والدوافع المختلفة، وبالطبع للاديان أثر كبير على هذا الاختلاف. لكن تبقى الاحاسيس والافكار متشابه بين المراهقين في انحاء العالم فهي تبقى الفترة الاصعب للأنسان اينما كان واينما عاش واينما تربى.

فالمراهقة عبارة عن تغيرات في مظاهر النمو المختلفة (الجسمية والفسيولوجية والعقلية والاجتماعية والانفعالية والدينية والخلقية)، والتي يتعرض الإنسان خلالها إلى صراعات متعددة، داخلية وخارجية، صراع بين مخلفات الطفولة ومتطلبات الرجولة والأنوثة، صراع بين طموحات المراهق

الزائدة وبين تقصيره الواضح في التزاماته، صراع بين غرائزه الداخلية وبين التقاليد الاجتماعية، والصراع الديني بين ما تعلمه من شعائر ومبادئ ومسلمات وهو صغير وبين تفكيره الناقد الجديد وفلسفته الخاصة للحياة. فالصراعات الداخليه قد تحطم من شخصية المراهق وتقلل ثقته بنفسه، وكذلك الصراعات الخارجيه التي تعزز لديه الرغبه في الانطواء والعزلة.

وترجع كلمة "المراهقة" إلى الفعل العربي "راهق" بمعنى الاقتراب من الشيء، فراهق الغلام فهو مراهق، أي: قارب الاحتلام، ورهقت الشيء رهقًا، أي: قربت منه. والمعنى هنا يشير إلى الاقتراب من النضج والرشد.

أما المراهقة في علم النفس فتعني "الاقتراب من النضج الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي"، ولكنه ليس النضج نفسه؛ لأن الفرد في هذه المرحلة يبدأ بالنضج العقلي والجسمي والنفسي والاجتماعي، ولكنه لا يصل إلى اكتمال النضج إلا بعد سنوات عديدة قد تصل إلى عشر سنوات. وهي مرحلة حاسمة في الحياة الإنسانية وهي المرحلة التي تثمر فيها العواطف الجنسيّة والأخلاقية لتصل إلى حالة النضج. وتعتبر المراهقة ، وفقًا لهذه المفاهيم فترة زمنيّة تتميّز بالتمرّد ، أو الانتقال السلبي والمزعج بين الطفولة والرشد. و قد يعتقد معظم النّاس أن المراهقة مرحلة واحدة ينبغي على الأهل تحملها حتى تمر مع أطفالهم، وقد لا يعلمون أن المراهقة مراحل من النّموّ والاكتشاف، سواء للأهل والأولاد. يخبرنا الكتاب أن المدة الزمنية التي تسمى "مراهقة" تختلف من مجتمع إلى آخر، ففي بعض المجتمعات تكون قصيرة، وفي بعضها الآخر تكون طويلة، ولذلك فقد قسمها العلماء إلى ثلاث مراحل، تمتد لتشمل أكثر من عشرة أعوام من عمر الفرد. وهذه المراحل هي:

أ– مرحلة المراهقة المبكرة أو الأولى: تمتد فترة المراهقة المبكّرة بين عمر ١١ و١٤ سنة تقريبًا، وتتميز بتغيرات بيولوجية سريعة.

ب– مرحلة المراهقة الوسطي: تمتد مرحلة المراهقة الوسطى بين عمر ١٥ و١٧ سنة تقريبا، وهي مرحلة اكتمال التغيرات البيولوجية.

ج – مرحلة المراهقة المتأخرة: تمتد هذه المرحلة تقريبًا بين أعمار ١٨ و٢١ سنة، حيث يصبح الشاب أو الفتاة إنسانًا راشدًا بالمظهر والتصرفات.

هذا الكتاب

ذكرنا أن مرحلة المراهقة من أهم مراحل نمو الفرد؛ فهي بمثابة التربة الخصبة التي نستطيع أن نحمي فيها بذور مكونات الشخصية المتكاملة ومبادئ التوجيه السليم. وقيادة الجماعات في هذه المرحلة يجب أن يهتم بها الباحثون من علماء النفس ورجال التربية،فالأبناء في هذه المرحلة يكونون على أبواب مرحلة التكوين الذي تتحدد فيه ملامح شخصياتهم وهنا تلعب التربية دورها في التوجيه والرعاية بما تضعه من تخطيط علمي مدروس وبرامج توجيهية هادفة تنبع عن إحساسات هذه الجماعات وتعبر عن مشاعرها تعبيرا يمنح التربية العمق والأصالة.

وقادة هذه الجماعات يختلفون عن قادة الجماعات الأخرى؛ إذ تقع على عاتقهم تبعة تحمل هذه الرسالة الجميلة والخطيرة في الوقت نفسه،لأن شخصية المراهق في هذه المرحلة تتسم بصفات متضاربة تتطلب من القائد أن يكون دقيقا في تفهمها فيسمو بالصفات الحميدة، ويعدل من الاتجاهات غير المرغوبة. فالقيادة في جماعات المراهقين ينظر إليها كنموذج مثالي يقتدى به، وقدوة حسنة يحتذى بها. لذلك على القائد في هذه المرحلة أن يعكس ما

يود غرسه من مبادئ وقيم في نفوس الأفراد – على نشاطه وسلوكه العملي وطريقة تفاهمه مع أعضاء هذه الجماعات التي تؤثر فيها التجربة أكثر من النصيحة.

والقادة من الراشدين لجماعات المراهقين يكونون غالبا أقدر على خلق هذا الجو الملائم من المشاركة والتعاون مع المراهقين، أكثر من أولياء الأمور أنفسهم، الذين يكونون بحكم الطبيعة مرتبطين عاطفيا بأطفالهم. ولقد اكتشف المعالجون النفسيون، وكذلك الموجهون للحالات الفردية، أن الأفراد والجماعات لديهم من الإمكانيات والبصيرة الداخلية ما يجعلهم قادرين على حل مشكلاتهم، أكثر مما كان معترفا به من قبل، لذلك تنحصر مهمة الموجه وقائد الجماعة في خلق جو من التسامح، والفهم، والتقبل، الذي يسمح للفرد أو الجماعة باختبار بصيرته وتنمية إمكانياته الداخلية.

والمؤلفة في هذا الكتاب، توضح هذا الاتجاه، فبدلا من أن تسرد الصفات التقليدية للقائد، والموجودة في معظم الكتب التي من هذا النوع، نجدها تسجل النتائج المثيرة التي أسفرت عنها مناقشة ما يزيد على مائتين من المراهقين حول هذا السؤال: "ما رأيك فيما يجب أن يكون عليه قائد النادي؟". وأكدت الإجابات ضرورة أن يكون القائد ذا خبرات، ولكنه لا يبرزها إلا إذا طلب منه ذلك. وهو ذلك الشخص الذي يصغى إلى أفكار المراهقين بإخلاص وثقة، وهو الذي لا يرفض أفكارهم، بل يأخذها في الاعتبار ويضعها في مكانها الذي تستحقه، هو ذلك الشخص الصديق المتفاهم المخلص.

وقد أشار الكتاب إلى المشكلة الخاصة بإيجاد التوازن بين سلطة الكبار وحرية الصغار، والحقيقة أن الآباء وقادة جماعات المراهقين، لا تنقصهم القدرة على إيجاد هذا التوازن، في هذه الفترة الحرجة من حياة المراهق، بقدر ما تنقصهم الرغبة في التنازل تدريجيا إلى أبنائهم عن السلطة التي يملكونها كراشدين، ولكن عن يقين، حتى يستطيع هؤلاء الأبناء أن يتحملوا تدريجيا مسئولية سلوكهم الفردي ومسئولية حياة جماعتهم، وحينئذ فقط يتحقق شعور الفرد ب المسئولية، ويتعود النظام النابع من نفسه، مما هو ضروري جدا لضمان تحقيق حياة ديموقراطية سليمة.

وهذا ما أكدته دوروثي روبرتس، عندما ذكرت أن الأصل في أي برنامج سواء أكان مادة للدراسة، أم نشاطا اجتماعيا، أم رياضيا أم خدمة عامة، لابد وأن ينبع من الجماعة نفسها. وعندما أشارت إلى أهمية أن يوضح للمراهقين، الحدود التي يستطيعون داخلها التصرف بحرية في العمل واتخاذ القرارات؛ إذ كثيرا ما نخلق نحن جماعة الراشدين، عن غير قصد منا، في المراهقين اتجاهات إلى عدم الثقة بالديموقراطية، حينما نعطيهم الإحساس بأنهم أحرار في اتخاذ القرارات، في حين أن هذه الحرية لا يكون لها وجود فعلا. لذلك فالقائد الذي يرغب حقيقة في أن يرى جماعة المراهقين التي يعمل معها تنمو باستمرار، يجب عليه أن يعاونها على اكتشاف الأساليب التي تمكنها من توسيع حدود الحرية الممنوحة لها، حتى يُمكن للأعضاء في النهاية أن يتمتعوا بالحرية التي يحصلون عليها، والتي ترتبط بمسئولياتهم قبل المجتمع.

د. منال عبد الحميد

القسم الأول

عالم المراهقين

الفصل الأَول

وجهة النظر

المراهق فرد عادي، يحاول بوسائله الخاصة التي لا يعرف غيرها أن يثبت وجوده كإنسان، فهو يحاول بلوغ مرحلة النضج، ولكن هذا الهدف غالبا ما يكون غامضا بالنسبة إليه، وكثيرا ما يفتقد من يوضحه له أو يرشده إليه.

فالراشدون يتحكمون في جميع مقدرات العالم المحيط به، لذلك فهو حقيقة يعيش داخل هذا العالم في عالم خاص به، عالم لا يمت بأية صلة لعالم طفولته التي تركها، ولا لعالم من هم أكبر منه، هو عالم يتكون من فتيان وفتيات في مثل سنه، له طابع جماعي متميز من حيث المستوى والعادات، واللغة الخاصة التي لا يفهمها غيرهم، وهو عالم دائم التغير كلما نما المراهق وأقرانه وتخلصوا تدريجيا من آثار مرحلة الطفولة، واقتربوا من مرحلة النضج. وهذا التغير الذي ينجم عن النمو المستمر للمراهقين في الفترة ما بين سن الرابعة عشرة والثامنة عشرة كثيرا ما يكون محيرا بالنسبة إليهم. وفي بعض الأحيان يكون مصحوبا بكثير من المتاعب. وإن الراشد الذي يقول: إن مرحلة الطفولة هي أسعد فترات العمر وأكثرها حرية" هو راشد إما قد نسى آلام هذه المرحلة وإما أنه لم يصل بعد إلى مستوى من النضج الكافي.

ومن يتجاهل الاضطراب والألم اللذين يلازمان المراهق خلال هذه المرحلة من العمر، أو يحاول تجاهل ظواهر النمو التي تصاحب فترة المراهقة، يسيء من حيث لا يدري إلى الأحداث؛ لأن الفهم الصحيح

لمشكلات تلك الفترة من جانب الراشد، يجعله أكثر قدرة على معاونة الصغير على تفهم وإزالة أسباب قلقه، وتخفيف حدة آلامه.

لقد كتب علماء النفس الكثير من الفتيان والفتيات في مرحلة المراهقة، وقدموا لنا تحليلا صادقا للمشكلات التي تلازم عملية النمو، وأدى انتشار علم النفس وذيوعه إلى ظهور اتجاه عام وميل إلى اعتبار المراهقين "مشكلات" أكثر منهم أشخاصا عاديين. وقد عبر أحد المراهقين عن هذا المعنى بإحساسه الفطري في حديث له يشرح فيه سلوك أحد الراشدين حياله: "أنا لست مشكلة، إنما أنا صبي".

ونلاحظ أن عددا ليس بالقليل، بل ويتزايد باستمرار، من طلبة وطالبات المرحلة الثانوية، يحاولون حل مشكلاتهم بوسائل غير مرغوب فيها، وقد تضر بهم في الوقت نفسه، وحينما يسلك هؤلاء الصغار سلوكا اجتماعيا غير لائق، فإن اللوم قطعا يجب أن يقع على عاتق الكبار، الذين يتحكمون في المجتمعات التي يعيش فيها هؤلاء الصغار.

ولا ريب أن المجتمع الذي يعيش إلى حد كبير في دائرة المشكلات التي تسبب فيها قلة من الجانحين، يغلق على نفسه الطريق نحو فهم الغالبية من المراهقين الأسوياء فهما صحيحا، وهذا بدوره يؤدي بالمجتمع إلى الاعتقاد بأن لدى المراهقين كافة استعدادا كامنا نحو الجناح فينصرف التفكير كلية في المجتمع عن الأشياء والاحتياطات الوقائية البسيطة التي يُمكن بل يجب أن تتخذ للمحافظة على المراهقين أصحاء روحا وعقلا وبدنا.

ومن البديهي أن المراهق لم يعد طفلا، كما أنه لم يصبح بعد راشدا، لا من حيث العمر ولا من حيث مستوى النضج، ولكنه غالبا ما يشعر بأنه أصبح كامل النضج، وقد عبرت عن ذلك إحدى الفتيات التي لم تتجاوز سنها الرابعة عشرة حينما قالت لوالدها:

"لا داعي يا أبي بأن تخبرني بكل هذا، فأنا أعلم كل شيء" لذلك فإن أي اتجاه يعتاده للسيطرة أو السلطة من جانب الوالدين أو المعلم أو قائد النادي، يقابل من جانب الفتيان والفتيات بستار من الصمت والتبرم الخفي، ومن الصعب معرفة ما يخفيه هذا الستار وراءه، ولو أن السلوك الظاهري للمراهقين قد يشير إلى إذعانهم للأمر أو إلى أنهم غيروا اتجاهاتهم بناء على تعليمات الكبار، ولا يُمكن بأي حال من الأحوال إزاحة الستار ومعرفة ما يخفيه المراهقون في نفوسهم إلا إذا كان لدى الشخص الكبير رغبة مخلصة في مشاركتهم تجاربهم وخبراتهم، وليس أدل على ذلك من الحادثة الآتية:

"في إحدى الليالي عادت فتاة صغير إلى منزلها متأخرة عن الميعاد المحدد لها، فصعدت درجات السلم في حذر وقد حملت حذاءها في يدها، وعندما رأتها أمها صباح اليوم التالي ابتدرتها قائلة: لقد سمعتك ليلة أمس وأنت عائدة من الخارج، وتذكرت نفسي حينما كنت في مثل سنك، فكم من مرة صعدت فيها السلم وأنا أحمل حذائي في يدي"! وحملقت الأبنة في أمها تحتضنها وهي تقول: أواه يا أماه، هل كنت حقا تفعلين مثلي، إنك إذن بشر يا أماه ألست كذلك؟ وهذا المثال السابق يفتح الطريق لحل طالما كانت الحاجة ماسة إليه (في المجتمع الأمريكي) لمشكلة المقابلات بين الأصدقاء.

ولا شك أن المراهقين يسببون كثيرا من المشكلات الحقيقية للراشدين، ولكن إذا ما أمكن تحديد المشكلة ومعرفة جوانبها بدقة اعتبرنا أنفسنا قد توصلنا تقريبا إلى نصف الحل لها، وأن أهم المشكلات التي تصادف الكبار مع فتيان وفتيات المرحلة الثانوية، تتركز في أساليب المعاملة التي يستخدمها هؤلاء الكبار، ليوازنوا بين ما يصدرون من أوامر وما يقومون به من توجيه للمراهقين وكذلك بين ما يفرضون عليهم من سلطة وما يمنحونهم من حرية، كما تتوقف هذه المشكلات على الدرجة التي يتقبل بها المراهقون هذه الأساليب التي يستخدمها الكبار معهم، وأن مدى تقبل المراهق لهذه الأساليب يتناسب مباشرة مع مدى فهم الراشد واستخدامه للوسائل التي ترضي الفتي أو الفتاة، والكفيلة بخلق التوازن المنشود بين أساليب المعاملة.

إن على الكبار مسئولية ضخمة حيال الصغار، لأنهم يؤثرون فيهم سواء أقصدوا ذلك أم لم يقصدوه، وفي سبيل قيامهم بهذه المسئولية عليهم أن يكتشفوا ويمارسوا الأساليب الصحيحة للقيادة، التي يُمكن أن يتقبلها فتيان وفتيات المرحلة الثانوية، وعليهم أيضا أن يساعدوهم على اكتشاف وفهم أرقى ما في هذا العالم من قيم، ثم العمل على التمسك بها وتطبيقها في عالمهم الخاص بهم، وهذا كله يجعل تأثير الكبار في الصغار إيجابيا وبناء.

هذه هي وجهة النظر التي ينحو نحوها هذا الكتاب، إن كل اقتراح فيه، وضع على أمل أن يتحقق به فهم أعمق، ومعاونة أكثر فاعلية من الكبار لأبنائهم الصغار.

الفصل الثاني

المراهق كما يبدو للآخرين

إن فتى أو فتاة المرحلة الثانوية يحاول جاهدا أن يشق طريقه في هذا العالم المحيط به الذي يحكمه الكبار، ولكن غالبا ما تكون الطرق التي يسلكها ملتوية، والأساليب التي يستخدمها فجة، وغريزة الدفاع عن النفس لديه دائما قوية، ويتشابه معظم المراهقين ظاهريا وبدرجات متفاوتة، على الأقل في أربع صفات عامة، يستطيع أن يميزها الكبار وهي: التمرد – السطحية – عدم الشعور بالمسئولية – التكتم.

المراهق شخص متمرد

حينما ينضج الفتى أو الفتاة جسمانيا، يشعر برغبة في الاستقلال والتخلص من الضغط الذي يعانيه من الكبار، وهي ظاهرة نفسية تصاحب هذا النضج، وهو يشعر عادة أنه أقدر على البت في أموره بنفسه بخلاف ما يظنه الكبار عنه، لذلك يشعر بأن هناك من يحاول خداعه، إذا حدث أن أنكر الكبار عليه حقه في التعبير عن رأيه فيما يتعلق بأي أمر من الأمور الخاصة به، وعلى ذلك فإن رد الفعل الطبيعي للمراهق الكسول حيال هذا الموقف، هو السكوت على مضض، في حين يحاول زميله ذو الشخصية النشطة مواجهة الموقف بسيل من الكلمات، وبالتالي يكون حكم الكبار على النوع الأول بأن الفتى أو الفتاة كتوم أو متبرم حقيقة، ويكون حكمهم على النوع الثاني بأنه

وقح وبذيء اللسان، فيقولون عنه: "عبثا تحاول إخباره بأي شيء فإنه لن يصغى إليك!".

ونتيجة لتكرار وكثرة مثل هذه المواقف، يشعر أولياء الأمور بأن المراهق لم يعد يكن لهم أي محبة أو احترام ولم يعد يقدر حياته الأسرية.

أما قائد النادي أو المدرس فغالبا ما يصف المراهق بأنه شخص غير متعاون، ولكن في كثير من هذه الحالات، يكون حكم الكبار على المراهقين غير صحيح، فالمراهق السليم صحيا يشعر عادة بنفس الشعور الذي عبرت عنه إحدى الفتيات أثناء مناقشة كانت تدور حول العلاقات الأسرية، فقد قالت: "أنني بدون شك أحب أمي، وأعلم تمام العلم أنها تعرف أكثر مني، وأنا على استعداد تام لإتباع نصائحها، ولكني أريد منحي فرصة أعبر فيها عن أفكاري، غير أن أمي تعتقد أن الإصغاء إلى آرائي لا أهمية له في نظرها". وقد عبر عن نفس المعنى بدقة أعضاء جماعة أحد الأندية، في حديث لهم عن مدير النادي إذ قالوا: "نحب نرغب ونحتاج إلى اقتراحاته، ولكن نحن لا نقبل أن يرشدنا أو يوجهنا إلى كيفية تنفيذ هذه الاقتراحات".

فمن الملاحظ أن هناك اختلافا واضحا بين ما يفضله المراهقون ويقومون به معا، وبين ما يفضله الكبار ويقومون به بعضهم مع بعض وغالبا ما ينقد الصغار سلوك الكبار، بقدر ما ينقد الكبار تصرفات الصغار. وليس أدل على ذلك من الحادثة التالية:

"في صباح أمسية من الأمسيات، احتفلت فيها إحدى الأسر بمناسبة معينة، استرعى انتباه الأم حديث يدور بين ابنتها وإحدى صديقاتها، إذ كانت تقول الابنة للصديقة: "لقد جعل أبي من نفسه سخرية في الليلة السابقة، أما أمي فقد حاولت جهدها أن تكون نجمة الحفل، ولكنها لم تنجح في ذلك".

إن جماعات المراهقين المنظمة أو غير المنظمة هي المجال الطبيعي لنشاطهم، والمتنفس الحقيقي لأفكارهم، ومن هنا نجد إصرار المراهق على تطبيق نظمها، وعدم السماح لنفسه أبدا بالتخلي عن مبادئ وتقاليد جماعته إذا كان ذلك في مقدوره. ولعل الذي يضطر المراهقين إلى التمسك بمجتمعهم الخاص والارتباط الشديد به، وهو استحالة التقريب التام بين مجتمعهم ومجتمع الكبار، وكذلك خوف المراهقين أنفسهم من انعزالهم عن جماعاتهم وشللهم الخاصة. وهذا التمسك بأساليبهم الخاصة يجعل المراهقين يبدون في صورة المناوئين لأساليب الكبار والمتبرمين بها، فغالبا ما ينظر الكبار إلى هؤلاء الصغار من وجهة نظر الكبار، وكأنهم يعيشون حياة الراشدين، وقلما ينظرون إلى الفتيان والفتيات من خلال مجتمعاتهم الخاصة، حيث يعيشون على سجيتهم ومتحررين من الخوف، لا يخشون النقد الذي يتعرضون له دون أن يستطيعوا له فهما أو تقبلا، لذلك فإن ما يصفه الكبار أحيانا بأنه تمرد يكون واضحا جدا وسط ظروف الكبار الاجتماعية أو الأسرية والتي لا يدرك المراهق كيف يتقبلها بكياسة، ولا يستطيع كذلك أن يتخذ لنفسه فيها حلا وسطا يضمن به رضا الجميع، ولعل من الأصوب أن نصف هذا الموقف بأنه "عدم كفاية مؤقت" بدلًا من أن نعتبره تمردا مطلقا.

المراهق لا يشغل ذهنه أي فكر جاد

إن أكثر الراشدين عطفا على المراهقين وفهما لمشكلاتهم يتساءلون أحيانا عما إذا كانت العبارة السابقة، ليست أقرب ما تكون إلى الصواب، والذي يسوغ هذا التساؤل تلك الساعات الضائعة التي يقضيها المراهق أو المراهقة في تصفيف شعره بطريقة جديدة أو في مكالمة تليفونية تبدو كأنها حديث مزدوج ينطق به الطرفان في وقت معا.

وهذا التناقض الذي يبدو في محاولة الجمع بين سماع موسيقى راقصة تنبعث من الراديو وبين محاولة الاستذكار، وتلك الساعات التي تضيع برمتها في تناول شيء ساخن أو مشروب مثلج. وهذا كله من وجهة نظر الراشد ضياع للوقت دون بلوغ شيء معين فمن العجيب حقا أن تأخذ حفلات الترفيه من الفتى أو الفتاة استعدادا واهتماما أكثر مما يتطلبه امتحان المدرسة.

وقد أوضح هاري هنجسن في شريطه السينمائي المسمى "بني" كل الظواهر المتعلقة بهذا الجانب من حياة المراهقين "فصور" شخصية ترمز إلى الفتاة المراهقة، وهي كمعظم المراهقات لها طريقة خاصة في التعبير عما لا يعجبها من أشياء بصراحة وبقريحة فطرية لماحة، فق حدث أن كانت "هذه الفتاة" تستمع إلى برنامج إذاعي معين، وفجأة قطع البرنامج صوت المذيع وهو يتلو بعض الأخبار الهامة التي وصلته حالا، فما كان منها إلا أن نظرت لوالدها وقالت له: "مادامت الأخبار على ما هي عليه الآن، فلماذا لا يحدث العكس فتنقطع نشرة الأخبار ليقدم لنا لحن مرح من ألحان أحد المطربين؟".

والدور الذي تقوم به هذه الفتاة هو بمثابة دراسات يومية تعليمية للكبار، لمن يشاء معرفة المراهقين والمراهقات على حقيقتهم وأثناء لحظات تحررهم، فهي تعرض في يومياتها ما يحبه وما يكرهه المراهقون من أنواع الملابس، ومن تصرفات الناس، ومن الأصدقاء والصديقات، وكذلك نوع اللغة الخاصة بالمراهقين، كما تعرض "الفتاة" أساليب المداهنة التي يستعملها المراهقون مع أصدقائهم وآبائهم ومدرسيهم، والمنطق الذي يستخدمونه ليروغوا من الوالدين أو من موقف معين. أن كل هذه الأشياء في متناول الجميع، ويستطيع أي إنسان أن يراها بفضل ما يتميز به "بني" من واقعية في شتى جوانب حياتها لاسيما وأن التعبيرات التي تبدو على وجوه الكبار الذين يحيطون بها بما فيهم المدرسون تكشف عن ردود الفعل التي تساير تقاليد البيئة من حيث إحساسهم بالحب والتقدير أو الدهشة أو التسلية أو الاضطراب والحيرة أو اليأس حينما يتعاملون مع هذه الفئة من السن.

وهذه السطحية التي تبدو في تصرف المراهقين مع ما يصاحبها من نشاط هي صمام الأمن لشخصية المراهق، ودليل للكبار على تمتعه بصحة عقلية سليمة، وتكيف تام مع بيئته وعالمه الخاص، بصرف النظر عما يرغبه الواحد منا من دليل على أن المراهق لديه أهداف جدية في الحياة.

ولا شك أن لدى المراهق الكثير من التفكير الجدي في حياته، ولكنه يظل مختفيا ولمدة طويلة وراء بعض التصرفات الظاهرية، التي تثير دهشة الراشد، كما أن بعض المراهقين الذين لا تبدر منهم بتاتا، أو نادرا ما تبدو منهم هذه التصرفات الظاهرية، هم في الغالب من النوع الذي لم يستطع مقاومة تأثير الراشدين، فانطبع بهم، هذا إلى أن بعضا منهم يكون قد تأثر تماما بأفكار الراشدين ومبادئهم قبل أن تتاح له الفرصة لتمحيص هذه الأفكار

ونقدها، وهؤلاء يؤدي التركيب المزاجي لبعضهم إلى الاندماج الكلي مع أي تجمعات يوجدون فيها، في حين يؤدي التركيب المزاجي للبعض الآخر منهم إلى مسايرة التجمعات التي يوجدون فيها، دون الاندماج الكلي معها.

وهناك خروج عن القاعدة السابقة، فنجد أن بعض المراهقين لديهم قدرات أو مواهب في نواح معينة، تقترب بهم من مرحلة العبقرية، فهم – كأفراد غير عاديين بما لديهم من قدرات خاصة كامنة – يسلكون طريقا مخالفا للمراهقين العاديين، ولكنه يتلاءم مع ما يتمتعون به من مميزات، وأحيانا يجدون من الصعب عليهم مسايرة الآخرين في تصرفاتهم، وهم رغم رغبتهم الأكيدة في مسايرة الآخرين، يصرحون دائما بعكس ذلك.

وهناك نوع آخر من المراهقين لديهم غريزة الدفاع عن النفس قوية بدرجة لا تسمح بقبول أي ضغط من الراشدين، حتى ولو كان لصالحهم. كما أن هناك بعض المراهقين لا يخضعون لأي ضغط من الكبار مهما يكن نوعه، وهذان النوعان الأخيران من المراهقين غالبا ما يضران بحياتهما الخاصة أبلغ الضرر، ويكونان أكثر تعرضا للتأثر بالجانحين أو على قاب قوسين أو أدنى من الانحراف نفسه.

ونتيجة لذلك فإن غالبية هؤلاء المراهقين من هذين النوعين غير العاديين، والذين يمثلون نسبة ضئيلة من عدد المراهقين، يتعرضون أثناء مرحلة المراهقة أو بعدها، لكثير من أساليب الضغط والإجبار للتكيف مع المجتمع بصورة أكبر مما تتطلبه الحياة نفسها.

ليس لدى المراهقين أي شعور بالمسئولية

يبدو المراهق في صورة مجموعة من المتناقضات، فهو ينام إلى وقت الظهيرة إذا سنحت له الفرصة، ويقضي بعض حاجات منزله وهو متبرم وساخط، ثم هو يؤجل أداء واجباته المدرسية وينسى دائما أو لا يجد الوقت الكافي للقيام بالأعمال التي تبدو على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للكبار، ثم نحن نجده يقضي الساعات الطوال مع رفاقه في المنزل دون أن يحدث ضجيجا كثيرا، حتى لو كان يعرف أنه مطلوب منه انجاز عمل معين قبل العشاء، أما درجاته المدرسية فهي غالبا أقل بكثير مما يتوقعه والده ومدرسوه، لذلك نسمع منهم هذه العبارة: "أنه لا يبذل جهدا كافيا في المذاكرة".

وتؤدي هذه الظواهر السلوكية للمراهق بالكبار الذين يعيشون إلى الاعتقاد بأن صفاته وخصائصه الحقيقية هي: الميل للنوم والتبلد والكسل وعدم الشعور بالمسئولية سواء في المنزل أو في المدرسة أو في كليهما معا.

ورغم ذلك نجد أن المراهق لا يستكثر أي عمل يقوم به من أجل جماعته، أو متعاونا مع أعضائها، فهو دائما مستعد للمبادأة ولتحمل المسئولية بالنسبة لنفسه ونيابة عن رفاقه الضعاف، وهو يكشف عن معدن طيب وعن إمكانيات حقيقية لديه، إذا ما أدرك أن جماعته تسعى إلى تحقيق عمل معين بصرف النظر عن قيمة هذا العمل وجديته. وأن هذا النشاط والتحمس للعمل الذي يبلغ حد التهور من جانب المراهقين، يصيب الراشد الذي يحتك بكثير منهم بمشاعر متباينة من الدهشة أو التعب أو السرور أو التحدي، فهم قادرون على إيجاد وسائل غير معقولة للتنفيس بها عن طاقاتهم الكامنة سواء أكانت هذه الوسائل مفيدة أم ضارة، وأن عباراتهم الخالدة دائما

هي "ماذا يجب علينا أن نعمله"؟ لا: ماذا يفضله من هم أكبر منا في هذا الشأن؟ أو قولهم: "ماذا يجب أن نفكر فيه"؟ وهم غالبا ما يقومون بتنفيذ ما يرغبون فيه أولا ثم يبدأون التفكير بعد ذلك.

والراشد بما له من خبرة ورجاحة في الرأي، يدرك أن الأفضل له هو التفكير ووضع الخطة أولا، ثم البدء في التنفيذ بعد ذلك، وهو بحسن نية يحاول التأثير في المراهق لينهج منهجه، ويخالف بذلك منهجه الأصلي الذي جبل عليه، ولما كان المراهق غير ناضج بالقدر الكافي الذي يسمح له بإتباع منهج الراشد، لذلك فهو يبدو في عين الراشد شخصا غير مقدر لأية مسئولية، إلا أنه في بعض اللحظات الهادئة يدرك المراهق أن واجبه تحمل مسئوليه أكبر في منزله، كما أن عليه مضاعفة جهده في المدرسة.

وربما يرجع أحيانا عدم تحمل المراهق للمسئولية في منزله، إلى إنكار الكبار عليه حق الابتكار أو عمل شيء جديد في محيط منزله، فمثلا قد ترغب إحدى الفتيات في عمل صنف من الفطائر ولكن الأم ترى أنه لا داعي لذلك بحجة أن عدد البيض الذي سيستهلك في عمل الفطيرة يساوي أكثر مما تستحقه هذه الفطيرة. والكبار غالبا ما يتوقعون من الفتى أو الفتاة القيام بأعمال غير ذات أهمية على الاطلاق.

كذلك نجد أن ما يبدو على المراهق من تحمل ضئيل جدا للمسئولية، بالنسبة لواجبات المدرسة، يرجع إلى أن الفتيات والفتيان في معظم الحالات لا يعرفون الطريقة الصحيحة للاستذكار، التي تؤدي إلى أحسن النتائج في أقل وقت ممكن، لا سيما وأن الوقت يعتبر عنصرا هاما بالنسبة للمراهقين لقضاء شئونهم الخاصة.

وأحيانًا قد تؤدي حاجة المراهق الفطرية إلى تولي أمر نفسه بنفسه لوقوفه موقف المعاندة من أساليب الكبار وطرقهم حين يطلبون منه عملا يعلم تمام العلم أنه واجب عليه. فالفتيان والفتيات الأصحاء يرغبون في القيام بمعظم الأعمال بطريقتهم الخاصة، وسواء استعملنا معهم أسلوب التخويف من الإثارة الضارة المترتبة على عصيانهم للكبار، أو استعملنا معهم أسلوب الإقناع بأن سماعهم لكلام الكبار هو لمصلحتهم، فإن كل هذا لا يعنيهم في شيء؛ إذ أن تقدير الراشد للوقت وللأساليب يختلف كثيرا عن تقدير المراهقين الذين يتعاملون معه، لذلك غالبا ما يصدر الكبار حكما عاما جائرا على المراهقين، دون أن يتيحوا لهم الفرصة للتراجع أو إصلاح الخطأ، ومن الطبيعي أن هذا الاتجاه لا يساعد على تنمية الشعور بالمسئولية لدى المراهقين، بل على العكس فهو يؤدي إلى خلق جو من التمرد وسوء التفاهم معهم.

عدم معرفة ما يفكر فيه المراهق

لا ريب أن لدى المراهقين بعض الحق فيما يحسون به من شك طبيعي في أن الكبار يحاولون دفعهم إلى عمل الأشياء التي يرون من الواجب القيام بها، ورغم أن المراهقين لديهم من الفطنة ما يساعدهم على التأكد من أن الراشد قد يكون على صواب، إلا أنهم يريدون كذلك إرضاء نفوسهم وإقناعها، بأن أسلوبهم في التصرف إن لم يكن أحسن فهو على الأقل مثل أسلوب الكبار.

كما أن المراهق العادي يشك صراحة في إخلاص الكبار، وكذلك في اتجاهاتهم نحوه، نظرا لأن معظم الكبار يستخدمون معه أسلوب الدفع والإجبار بدلا من أسلوب القيادة والتوجيه، لذلك فهو يعاني كثيرا في سبيل حماية حقيقة مشاعره، سواء بإخفائها أو بالتعبير عن عكس ما يشعر به أو يفكر فيه، وغالبا ما يتظاهر بموافقة الكبار، وحتى أكثر المراهقين تحررا وتكيفا مع مجتمعهم، نجدهم أحيانا يسلكون نفس الطرق السابقة. وكلما قل سلوك الفتى أو الفتاة في هذا الاتجاه، تأكد الراشد من أن المراهق بدأ يثق به ويطمئن إلى أنه يعامله معاملة الند للند. أن من يساوره أدنى شك فيما سبق، فيلاحظ أي فتى أو فتاة، وكيف أنهما في بعض المواقف يسلكان سلوك رجل المجتمع المهذب أو سيدة المجتمع الراقية، والذي ينم عن حسن التربية، كما عليه أن يلاحظ سلوك معظم الصغار وهم في حضرة الكبار، وأن يصغى إلى لغتهم المنمقة، التي لا تحمل أي معنى للاتهام أو التجني على أحد، وعليه كذلك أن يلاحظ هذا الصمت الذي يلتزمونه، والذي هو دليل الاحترام (أو ربما عدم الاحترام)، ثم عليه بعد هذا أن يصغى إليهم وهم يتحدثون بعضهم إلى بعض في (السيارات العامة)، أو على نواصي الشوارع، أو في "التليفون" أو في أي مكان توجد مجموعة منهم فيه، وسيجد أن معظم مناقشاتهم تتناول رأيهم في المدرسين أو أولياء الأمور بصراحة، وسنسمع منهم هذه التعبيرات:

"أنه في غاية الصراحة ولكنه عادل".

"أنها تجعلك تعمل، ولكنك تتعلم من وراء ذلك أشياء كثيرة".

"أنا لا أدري أي طريق أسلك، فأنا أنهر أحيانا على ارتكابي عملا معينا، على حين لا ينالني أي أذى إذا فعلت نفس الشيء في أحيان أخرى. فعودتي للمنزل في الساعة الأولى بعد منتصف الليل تعتبر أمرا عاديا إذا كان لدى أمي مدعوون لحفلة لعب ورق في حين تعتبر عودتي في الحادية عشرة مساء متأخرة جدا إذا كان والداي قد أويا إلى فراشهما مبكرين.

"كم أتمنى أن يصبح والدي معقولا معي في تصرفاته".

"إنها لا تثق بي".

وغير ذلك من التعبيرات المشابهة.

وقد استطاعت إحدى الأمهات أن تستمع إلى مناقشة دارت بين ابنتها البالغة من العمر أربعة عشر عاما وإحدى صديقاتها، وكانت الصديقة تحاول التأثير في الابنة لتقوم الأخيرة بإغاظة والدتها حتى تتركها تفعل شيئا لا تسمح به الأم، ولكن كان رد الابنة الأخير: "ربما تصلح هذه المحاولة مع والدتك، أما مع أمي فإنها لن تجدي! لأن أمي إذا قالت لا فهي تعني فعلا لا"، ومن المؤكد أن المناقشات التي دارت في هذا المنزل حول اختلاف وجهات النظر لم تكن تجعل الأم تفكر في أن ابنتها قد اهتدت إلى هذا الرأي في أي وقت من الأوقات أو في أي موقف من المواقف. وبعد مضي ست سنوات على هذه المحادثة، قالت نفس الابنة لأمها: "أماه، لو رزقت أطفالا فسأبذل كل جهدي لأربيهم تماما بنفس الطريقة التي ربيتني بها".

وكانت هذه الجملة بمثابة جائزة للأم لا تقدر بثمن، أنها ثمرة مجهود صادق ومخلص بذلته الأم أثناء مرحلة المراهقة التي مرت بها ابنتها، حاولت فيها أن تعرف ما يدور حقيقة في عقل ابنتها وشجعتها على التعبير عنه، وتغاضت دائما عن أساليبها الفجة وحاولت أن تفهم ما وراءها من مقصد ورغبات حقيقية. وما لم يبذل مثل هذا المجهود فإنه يصبح من المتعذر على الراشدين معرفة ما يفكر فيه المراهقون، لأن الراشدين غالبا ما ينسون أيام طفولتهم وشبابهم، وكثير منهم لا تتاح له إلا فرص قليلة أو نادرة لملاحظة الصغار وهم يزاولون نشاطهم داخل جماعاتهم، لذلك يصبح من المتوقع فشل مثل هؤلاء الراشدين في معرفة اتجاهات وأعمال الصغار، التي تختفي تحت السطح الظاهري من تصرفاتهم. والذي يفشل في اكتشاف هذه الاتجاهات والأفعال يفشل كذلك في معرفة ما ينوي الصغير أن يحققه عن طريقها.

الفصل الثالث

المراهق على حقيقته

بمجرد أن تتوطد الثقة الكاملة بين الوالدين والمراهق في المنزل، وبين المدرس والتلميذ، أو بين المدرس والفصل بأجمعه في المدرسة، وبين القائد وجماعته في النادي، بمجرد أن يتم ذلك تختفي تماما الشكوى التي يرددها الكبار دائما: "إنك لن تعرف أبدا ما يفكر فيه المراهقون".

وتدور في رأس الصغير الكثير من الأسئلة، والكثير من الاستفسارات التي تتطلب الإجابات المقنعة، مما يضطر الراشد الموثوق به، أن يكون دائما على أهبة الاستعداد، فهو يجد نفسه في حاجة إلى مجهود أكبر وحكمة أبعد نظرا، ليستطيع الالتقاء مع الفتى أو الفتاة في منتصف الطريق، ويبرهن دائما أنه مازال أهلا للثقة التي وضعت فيه.

وقد يجد أو لا يجد هذا السيل المنهمر من الأسئلة، مجالا للانطلاق والتوجيه البناء، فهذا يتوقف على نوع القيادة الموجودة ومدى تأثيرها، إذ أن كل علاقة تنشأ بين راشد، ومراهق، يحتمل أن تنشأ معها عملية قيادة من نوع معين من جانب الراشد ونستعرض الآن نوع الأفكار التي تدور في أذهان الفتيان والفتيات في المدارس الثانوية.

العلاقات الشخصية

يريد المراهقون أن يعرفوا في هذا الأمر عدة أشياء أهمها: كيف يتخير الإنسان الأصدقاء؟

لماذا لا يستطيعون الحصول على درجات أعلى في المدرسة، ترضي أولياء أمورهم أو مدرسيهم؟

كيف يستطيعون الظهور بالمظهر الحسن؟

كيف يمكنهم التغلب على العيوب التي تظهر في وجوههم؟

كيف يمكنهم الحصول على النقود التي تكفي لمشاركة الأصدقاء في نزهة خارج المنزل؟

كيف يحافظون على مواعيدهم أو ينتظمون في أعمالهم؟

وهل لهم أن يضموا ويقبلوا الأصدقاء؟

ولماذا يكون آخر ميعاد لعودتهم للمنزل في الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل في حين يسمح لبعض أصدقائهم بالعودة لمنازلهم في الثانية أو الثالثة صباحا؟

هل شخصياتهم ترضي الآخرين، وإذا لم تكن كذلك فما هو العلاج؟

إنهم لا يفهمون دائما اتجاهات أولياء الأمور، مع أنهم يودون ذلك من صميم قلوبهم.

إنهم قليلا ما يشتركون في دراسة مشكلات الأسرة، والتوتر الذي يحدث بين أفرادها، ورغم هذا فهم يشعرون بكل التيارات الخفية والمنازعات

أو القلق الذي ينشأ في محيط الأسرة. فإذا لم يكن السبب الحقيقي لكل هذه المشكلات واضحا أمامهم أصيبوا بالاضطراب، لذلك نجدهم يرغبون في معرفة كيفية اكتشاف هذه الأسباب وما هو الدور الذي يمكنهم القيام به حيالها.

الحيرة بين استكمال التعليم والنزول لميدان العمل

الكثير من الفتيان والفتيات من سكان المدن يعملون بعض الوقت، وهؤلاء يتساءلون دائما: ما هي الفائدة التي ستعود عليهم من جراء التحاقهم بإحدى الكليات، وذلك بمقارنتها بما وصلوا إليه الآن من نمو واستقلال اقتصادي، نتيجة عملهم، كما أن الذين يرغبون منهم في الالتحاق بإحدى الكليات يتساءلون عما إذا كان من الضروري تكبيد أولياء الأمور كل هذه النفقات، لذلك فهم يودون معرفة المنح الدراسية أو فرص العمل المتاحة لهم في الكلية، وهم يودون كذلك معرفة أي أنواع الكليات يختارون، وما هي تكاليف الدراسة بها، وأي أنواع الملابس تلزمهم فيها، فمشكلة الحياة العملية بالنسبة لهؤلاء الذين يلتحقون بالكليات لا تكون عادة أمرا ملحا وقت التخرج في المدرسة الثانوية.

وتعتبر مسألة الالتحاق بالكلية أمرًا لا يُمكن تحقيقه بالنسبة للكثيرين، وربما يرجع ذلك أحيانا إلى القدرات العقلية المحدودة لدى البعض، وأحيانا لاتجاهات الأسرة نحو عدم جدوى التعليم الجامعي لاسيما بالنسبة للفتيات، وأحيانا أخرى بالنسبة للحالة الاقتصادية للأسرة. وتؤدي شروط الالتحاق بالكليات في حالات كثيرة إلى خلق مشكلة حقيقية بالنسبة لكثير من الفتيان والفتيات المتفوقين من أبناء الذين ينحدرون من أصل أجنبي. لذلك تصبح

عملية التوجيه المهني لهؤلاء الصغار جميعا، أمرا هاما وضروريا حتى قبل أن يتموا مرحلة التعليم الثانوي، فهم يحتاجون إلى معرفة ما يمكنهم عمله، وهل تمكنهم قدراتهم من إتقان الأعمال التي يرغبون في مزاولتها، وما هي الاستعدادات التي يجدر بهم اتخاذها لمقابلة أنواع العمل المختلفة.

أنهم يرغبون في معرفة كيف يمكنهم تجنب اختيار العمل غير المناسب لهم، كما يودون معرفة الأجر والمكاسب والمميزات الأخرى التي سيحصلون عليها في كل عمل من الأعمال التي يمكنهم مزاولتها.

المسائل الجنسية والزواج

لدى مُعظم المراهقين معلومات كثيرة عن الحقائق العضوية للمسائل الجنسية، أكثر مما كان لدى آبائهم وهم في مثل عمرهم، ولذلك فهم أكثر إدراكا لحاجتهم لمعرفة المزيد من المعلومات عن المسائل الجنسية، وما هو دورها ومكانها بالنسبة لقوى الحياة ودروبها الكبرى. أنهم يريدون معرفة الحدود الخلقية التي يجب عليهم التزامهم والقيم الروحية التي تتضمنها تلك القوة الجديدة التي دخلت حياتهم الآن.

أنهم بلا شك يتطلعون إلى تكوين حياة زوجية سعيدة، لذلك يودون معرفة المعلومات المناسبة، والفهم الضروري، والتكيف الاجتماعي الكفيل بضمان نجاح هذه الحياة الزوجية.

الدين والفلسفة الصالحة للحياة

يبدأ المراهقون في الشعور بالتناقض الواضح بين حياتهم البسيطة في المدرسة والتي تنشأ فيها العلاقات الطيبة للفتيان والفتيات من سائر العقائد والألوان والأجناس، ذات الأصل المتباين، وبين هذا التحيز والتحامل الواضح الذي يوجد ضد هذه التباينات والاختلافات، والذي يشعرون به في منازلهم ومجتمعاتهم ومؤسساتهم الدينية بل وبين دول العالم كذلك.

وبقدر ما يكون إدراكهم لهذا التحيز والتناقض عند الكبار بقدر ما يبدأ تشككهم فيما تضمنته القيم الخلقية والدينية التي تعلموها على ضوء ما مروا به من خبرات في هذا الشأن.

ولذلك تعودنا أن نسمع من كثير من الكبار الشديدي التدين أو الكبار المتدينين هذه العبارة: "أن الصغار في هذه الأيام لم يعودوا مهتمين بالدين". وحقيقي أن المراهق العادي لا يهتم كثيرا بتأدية شعائره الدينية في دور العبادة، ولكنه يهتم اهتماما شديدا للوصول بمفرده إلى شيء يؤمن به، فقد سمع في إحدى السيارات العامة فتى يقول لزميله "أن العلم لديه الرد على كل استفسار– أو ظاهرة تعن لك مما يجعل الإنسان في حيرة بين العلم والدين".

كما حدث في إحدى جماعات المناقشة حول موضوع الصلاة أن قالت إحدى الفتيات "يخيل إلى أن معظم المصلين يؤدون الصلاة بغير وعي بقيمتها. فكيف يمكننا أن نصلي بحيث تكون الصلاة ذات قيمة بالنسبة لنا؟".

وحدث أن نظمت إحدى الجماعات المكونة من ثلاثين فتى وفتاة سلسلة من ثلاثة اجتماعات لمناقشة موضوع "الإيمان الشخصي". وقد دعت الجماعة لهذه الاجتماعات ثلاثة من رجال الدين من أصحاب المذاهب المختلفة. وجلست إلى كل واحد منهم في اجتماع مستقل، وطلبت منه التحدث في معنى الدين والعقيدة بالنسبة إليهم.

وقد امتد كل اجتماع من هذه الاجتماعات ساعة أكثر من الوقت المحدد له، ولم تدع الأسئلة المتدفقة من جانب أعضاء الجماعة حول هذا الموضوع أي مجال للقول بأن الصغار لا يهتمون بأمور الدين أو العقيدة.

وبينما كانت إحدى الفتيات وعمرها ١٧ عاما تقدم بعض المرطبات لجماعة من أصدقائها وصديقاتها بمنزلها، وكانت هناك مناقشة حامية تدور بينهم، إذ ارتفع صوت هذه الفتاة وهي تنادي أمها التي كانت بالطابق الثاني من المنزل:

"أماه هل تعتقدين في الحياة الأخرى بعد الموت؟" ولما جاءت الإجابة من الأم "بنعم" صاحت الفتاة "حسنا! من الأفضل إذن يا أماه أن تنزلي سريعا وتحدثينا عن هذه الأشياء". وقد تبع ذلك مناقشة حرة استغرقت ساعتين. وقد وفقت الأم في هذه المناقشة، لأنها بعد تفكير عميق من جانبها فيما تعتقده، أدركت أن الواجب عليها بالنسبة لهؤلاء الفتيان والفتيات أن تترك جانبا اللغة اللاهوتية والشعارات الدينية المنمقة، وأن تخاطب هؤلاء المراهقين، وتعبر عن رأيها بينهم بكلمات بسيطة وواضحة، وكانت نتيجة ذلك أن استطاع الصغار فهم ما أرادت قوله لهم وجاءت أسئلتهم خالية من أي تردد أو خوف.

إن معظم الأسئلة التي يثيرها الصغار حول الدين تدور حول النقط الآتية:

ماذا يعني الدين بالنسبة لهم؟.

هل كان الأنبياء أشخاصا حقيقيين أم مجرد أسطورة؟

هل الكلمة الأخيرة للعلم أم أن هناك شيئا أقوى منه؟

هل هناك دين بعينه يعتبر الدين الوحيد الحقيقي؟

ما هي الأديان الأخرى، وماذا تكون؟

هل يُمكن أن تساعدني الصلاة، وكيف؟

إن أسئلتهم قلما تدور حول المشكلات العقلية للمسائل العقائدية ولكنها غالبا ما تدور حول الحقائق التي يشعرون بها ولا يستطيعون فهمها لأنهم ليسوا على يقين من أن مشاعرهم يُمكن الوثوق بها.

الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع والعالم أجمع

إن السؤال الأخير الذي نسمعه من المراهقين هو: ماذا نستطيع أن نفعله لمساعدة مجتمعنا والعالم بأسره؟" وحينما يثير الفرد مثل هذا السؤال، يكون هذا دليلا على أنه يسير قدما نحو مرحلة النضج بصرف النظر عن عمره الحقيقي. والمشكلة هي في مساعدته على اكتشاف بعض نواحي المجتمع الجديرة بالاهتمام والتي يُمكن أن يأخذها في اعتباره.

وأغلب استفسارات المراهقين تنتهي بالصيغة التالية: "ماذا نستطيع أن نفعل حيال هذا؟" فإذا لم يجدوا الرد الشافي على هذه الاستفسارات، يصاب البعض منهم بخيبة أمل ويصبح غير مبال بأي شيء، ويرضى بالحالة الراهنة التي هو فيها، ويتمرد بعضهم على المنزل والمدرسة والمؤسسة الدينية، ويتولى التصرف في كل ما يعن له من الأمور بطريقته الخاصة، وغالبا ما يسلك طريقا هداما يعود عليه بالضرر. ولكن الغالبية منهم تبحث، ويصادف البعض منهم الراشدين المتفهمين لظروفهم، والمستعدين لمعاونتهم بأساليب يتقبلها المراهق المضطرب، والذي لا يدرس سببا واضحا لاضطرابه، وفي بعض الأحيان يكون غير شاعر كلية بهذا الاضطراب.

الفصل الرابع

الجماعة التي يعيش فيها المراهق

لا شك أن المراهقين أضعف من أن يغيروا مجتمع الكبار، أنهم أقلية تعيش في داخله، وكأي أقلية أخرى فإنهم يتجمعون معا ضمانا للحماية وطلبا للأمن، ويودون مخلصين لو أعرنا أفكارهم أسماعنا، ويرغبون أن لو استطاعوا أشعار المجتمع بقيمة الطاقة الكامنة فيهم.

وإن حاجتهم إلى "الانتماء" لتظهر في أوج قوتها خلال المرحلة الثانوية، لذلك تعتبر جماعاتهم الخاصة هي كل عالمهم الحقيقية، وهذا صحيح دائما سواء أكانت هذه الجماعة مجرد ثلة من الأصدقاء، أو ناديا منظما له أهداف جدية أو ترفيهية، ففي مثل هذه الجماعات يجد المراهقون مشاركة وجدانية حقيقية من زملائهم، وتقديرا صادقا لشخصياتهم، وتفاهما متبادلا يشيع الرضا في نفوسهم، وفي هذه الجماعات يمكنهم أن يصبحوا قادة أو تابعين، ومن المسلم به في كلتا الحالتين أنهم واثقون بتقبل زملائهم إياهم.

لقد خلف المراهقون وراءهم مرحلة الطفولة، وأصبحوا يعتقدون أنهم قد بلغوا مرحلة النضج، لذلك لا يشتركون مع الأطفال إلا في صفات نادرة، ولكن للأسف لا يزال الكبار يرفضون الاعتراف بهم كناضجين، وينظرون إليهم دائما على أنهم ما زالوا أطفالا، وهكذا نجد المراهقين يتأرجحون في الوسط بين مرحلتين من مراحل العمر، وعلى هذا الأساس أصبح المكان الوحيد الذي يمكنه تقبلهم على علاتهم، هو جماعاتهم الخاصة التي تضم أفرادا في مثل

أعمارهم، وحين يجد المراهقون المجتمع الذي يتقبلهم، فإن شعورهم هذا بالانتماء، يمنحهم درجة كبيرة من الإحساس بالأمن والثقة بالنفس اللازمين لهم. ولكن حينما لا تتقبلهم أية جماعة فإنهم يصابون بآلام تدمي قلوبهم وتترك في نفوسهم آثارا يكون من الصعب أحيانا إزالتها.

وهناك بعض الفتيان والفتيات يشعرون بالوحدة حتى وهم أعضاء في جماعة، فهم لا يشعرون بالانتماء الحقيقي إلى الجماعة، وربما يرجع ذلك إلى أن بعضهم يكون هو الطفل الوحيد في الأسرة، الذي نما جسمانيا فقط، ولكنه ما زال مرتبطًا عاطفيًا بأسرته.

كذلك ربما يكون السبب هو أن بعضهم من أسر تعامل أبناءها بالشدة والصرامة والضغط المستمر، بخلاف الحال مع باقي الزملاء في الجماعة، وربما يكون السبب هو الفرق الكبير الواضح بين مستواهم الاقتصادي ومستوى أقرانهم، وفي بعض الحالات يكون لدى الفتى أو الفتاة موهبة فذة في الموسيقى أو الفنون بشكل ما، ويؤدي انصرافه الكلي إلى موهبته أو يصبح كالغريب بين أقرانه من نفس عمره.

وهناك نوع من المراهقين يبدو عليهم دائما عدم الولاء لأية جماعة، وهذا يكون مرجعه غالبا إلى عوامل التكيف الشخصي، والاقتصادي، وإلى كثير من الأسباب الأخرى. وعلى كل حال، وبصفة عامة، فالمراهق الذي يبدو كالذئب الضال الوحيد، هو النموذج غير العادي والشاذ من المراهقين. ومثل هذا المراهق يحتاج إلى عناية خاصة، وربما تصل إلى حد الاستعانة بمتخصص في الحالات الفردية، أو بمحلل نفسي.

ويلاحظ أن المراهقين الأصحاء العاديين يعيشون دائما في جماعات خاصة بهم، وهم يرتبطون ويتمسكون بشدة بهذه الجماعات الخاصة، وكذلك بأقرانهم الذين هم في مرحلة سنهم عامة، وفي أغلب الحالات يكون الخروج عن هذه القاعدة السابقة نتيجة لظروف خاصة مر بها المراهق في أسرته، كالجلسات الصاخبة في الأسرة، والمنازعات التي تؤدي إلى تحطيم مقاومة المراهق الفطرية.

ويكفي أن يقضي الشخص ربع ساعة حول أي مدرسة ثانوية ليلاحظ بنفسه كيف يبدو المراهقون – على الأقل ظاهريًا – كإزهار البازلاء انسجاما وتناسقا، فلديهم لغتهم الخاصة بهم والتي تتغير من أسبوع لأسبوع، وهي لغة لا يتكلمها الكبار ولا الصغار، ولكنها خاصة بالمراهقين ولا يفهمها سواهم، ومن خلال هذه اللغة الخاصة يشعر المراهقون بالطمأنينة على أفكارهم الحقيقية، وهذا مما يزيد في ترابطهم ويجعلهم أكثر التصاقا وتماسكا بعضهم مع بعض.

ويواجه المراهقون الكثير من المشكلات الخاصة بالعلاقات الشخصية مع الآخرين، وهم يحسون بالحيرة حيال المستقبل وما سيفعلون بعد انتهاء المرحلة الثانوية، ويشغلون بالهم بالواجبات المدرسية وهم دائما في مشكلات ومآزق، لا تكاد تفرغ مشكلة إلا وتبدأ الأخرى سواء في المنزل أو في المدرسة، لذلك فهم يجدون عادة في أقرانهم من نفس أعمارهم بعض من يتشابهون معهم في مسراتهم ومتاعبهم.

وإننا لنجد في كثير من جماعات المراهقين المنظمة بعض الفتيات والفتيان ممن لديهم قدرات خاصة في الموسيقى أو الفنون أو التمثيل أو في قيادة النشاط الرياضي أو العقلي أو في القيادة الخلقية، وهذه المواهب غير العادية يعترف بها أعضاء الجماعة دائما ويقدرونها ويشجعونها في هؤلاء الأفراد، ما دام الفتى أو الفتاة صاحب الموهبة شخصا سويا ومتزنا بالنسبة لاتجاهاته ونواحيه السلوكية الأخرى، فالجماعة في هذه الحالة إذن هي بمثابة التربة الصالحة للاختبار، ومحطة التجارب التي يكتشف ويصقل فيها مثل هؤلاء الفتيان أو الفتيات.

ولا ريب أن المراهقين يميلون إلى حياة المرح ويفضلونها على سواها، ومن السهل عليهم أن يجدوها في أي مكان يريدون، ولما كان من المتعذر أن يحصل المراهق على المتعة والمرح وهو بمفرده، لذلك يميل فتى أو فتاة المرحلة الثانوية تلقائيا لفكرة الانضمام إلى الأندية، حيث يعتبر النادي الخطوة الطبيعية التالية بعد رفاق المدرسة، والنادي كثلة المدرسة يُمكن أن يكون ذا تأثير نافع أو ضار، أو لا تأثير له إطلاقا، في النمو الاجتماعي والروحي للأعضاء المكونين له.

ويتوقف مستوى الجماعة – إذا كانت مجرد تجمع طبيعي لبعض الأصدقاء– على ما يحمله كل فرد منهم من تراث وتقاليد أسرية، وعلى البيئة التي يعيش فيها، أما إذا كانت الجماعة، عبارة عن ناد منظم، فإن مستواها يتوقف كذلك على نوع القيادة الموجودة ونوع البرنامج المطبق في النادي.

الفصل الخامس

خلاصة

رغم ما يبدو على عقل المراهق وتفكيره من السطحية والتحفظ فهو في الحقيقة كعلامة الاستفهام الحائرة لا تجد لها جوابا، كما أن طاقته الكامنة تبحث لها دائما عن متنفس، أما شعوره وأحاسيسه فهي غالبا مضطربة وغير مفهومة لديه، وهو من آن لآخر يصطدم مع الراشدين المحيطين به في صراع تتفاوت درجة شدته تبعا للظروف، هذا إلى جانب ارتباطه الذي لابد منه بعادات وتقاليد جماعته الخاصة.

والمراهق يحب الحياة في كل صورها وأشكالها، يحبها في صورة اللهو والمرح، كما يحبها في صورة العقيدة التي ترسم وتحدد خطاه وتصرفاته، ولكنه على أية حال لا يحبها في صورها كافة في وقت واحد، وأن الأسئلة التي تسيطر على ذهنه في هذه السن يُمكن تحديدها في المجموعات التالية وبالترتيب التالي:

١- أسئلة تتعلق به كإنسان له علاقات مختلفة مع أصدقائه ومع أسرته.

٢- أسئلة حول أهمية استكمال تعليمه أو نزوله إلى العمل بعد إتمامه مرحلة التعليم الثانوي.

٣- أسئلة تتعلق بالمسائل الجنسية ومكانها من الحياة، وكذلك الحياة الزوجية المرتقبة، وكيفية الاستعداد والتأهب لها.

٤- أسئلة تدور حول محاولة الوصول إلى فلسفة صالحة في الحياة وحول الدين.

٥- أسئلة تدور حول المجتمع ومسئولية الفرد فيه، وفي العالم بأسره.

وحينما يأخذ المراهقون في إثارة هذه الأسئلة طبقا للترتيب السابق (وطبعا لن يثيرها الكل بشكل معين ومستوى واحد) وتأتي الإجابات عنها مقنعة، وتغطي كل ما أثير حول مسألة من المسائل الخمس السابقة، تبدأ المجموعة التالية من الأسئلة في الظهور مطالبة هي الأخرى بالإجابات الشافية، ويحدث أحيانا أن يثير بعض المراهقين عدة أسئلة في وقت واحد تتضمن بعض أجزاء من المسائل الخمس السابقة.

وهذا مرجعه إلى أن المراهق لا يحلل أو يرتب الأشياء ترتيبا منطقيا في ذهنه، ولكن من المهم بالنسبة للراشد أن يدرك أن هذه المجموعات الخمس العامة من الأسئلة، تلح على ذهن المراهق وتجيء تباعا في أغلب الأحوال، طبقا للترتيب النسبي الذي ذكرت به سابقًا: ولا توجد هناك أية طريقة لمعرفة متى ستثار مناقشة تحوي في جنباتها بعضا من هذه المسائل. وعلى سبيل المثال: حدث أثناء حديث عارض مع جماعة من الفتيان والفتيات أن أثيرت فجأة مناقشة حول نقطة من النقط الهامة لديهم، وحينما أبدى الراشد وجهة نظره فيها، تهلل وجه أحد الفتيان فرحا وصاح "مرحى.. أن هذا يجيب عن سؤال كان يشغل فكري مُنذ أمد طويل، ولم أكن أعرف له جوابا شافيا إلى أن سمعته منك الآن أثناء حديثك".

إننا – كراشدين – نصر دائما على أن نجيب أولا عن أسئلة المجموعتين الرابعة والخامسة، وهي المتعلقة بالعقيدة وبالمسئولية حيال المجتمع، ولكن عقول الصغار لا تتفق معنا في هذا الاتجاه.

أنهم يقاومون بكل ما أوتوا من قوة، أن يصبحوا أجسادا فتية تحمل على أكتفاها عقولا كهلة، فهم لا شعوريا فقط يفكرون طبقا للقاعدة التي تقول: "الأشياء الهامة تأتي أولا"، في حين نتخذ نحن من هذه القاعدة أساسا لتفكيرنا الواعي المدرك لحقائق الأمور.

ومن هنا تنشأ المتاعب بين الكبير والصغير، حينما يرى الاثنان نفس الشيء في وقت واحد، بمنظارين مختلفين من حيث القيمة والأهمية.

المراهق لا يدرك كم تبدو مشكلاته تافهة "في نظر الكبار الذين تنوء كواهلهم بعبء مشكلاتهم الخاصة، ولا يدرك الكبار دائما أنه حتى المشكلات تعتبر نسبية، كما يجهل الصغار ما يعترض حياة الكثير من الكبار من خوف وقلق، ولكن الشيء الهام هو أن كثيرا من الكبار لا يدركون أن معظم المراهقين لديهم القدرة على مواجهة الصعاب بشجاعة تفوق غالبا ما لدى الكبار من مقدرة، وأنهم يتوقون لإحالة أحاسيسهم وأفكارهم إلى أعمال ملموسة وذات أثر فعال، وأنهم على أتم الاستعداد كذلك لتقبل أية مقترحات، كما أنهم يفضلون أن يصلوا إلى الطرق والأساليب بأنفسهم.

إن أهم شيء بالنسبة للمراهق، هو أن يصبح شخصية ممتازة ومحبوبة ومقبولة من أصدقائه ومن أسرته، لذلك يجب أن ينمو لديه الشعور بالثقة بالنفس، وعاطفة احترام الذات، وأن ينشأ بينه وبين أقرانه وبينه وبين أسرته نوع من الثقة المتبادلة، حتى نضمن له نموا سليما نحو مرحلة الرشد السوي، كما

أن على المراهق أن يمزج بين خبراته وتجاربه في عالمه وبين ما يكون في تصوره نافعا في عالم الكبار، ليحقق لنفسه حياة سعيدة، ويصبح شخصا ناضجا، ومواطنا صالحا.

وكتحليل أخير للموقف، لا يستطيع أي راشد أن يتهرب من تحمل مسئولية ولو جزئية، فيما يتعلق بمشكلات الشباب، فالراشدون – سواء أكانوا قادة للشباب أم لم يكونوا – هم مظهر من مظاهر السلطة، ومصدر من مصادر التأثير في الشباب، وعلى سبيل المثال نذرك الحادثة التالية:

"كانت هناك سيدة متوسطة العمر تستقل عربة في أحد شوارع نيويورك، وعندما كانت تسقط ثمن التذكرة في الصندوق الخاص بذلك نظرت إلى السائق وابتسمت ولدهشتها سمعت السائق الشاب يقول لها "شكرا لك يا سيدتي على هذه الابتسامة، ربما تدهشين إذا قلت لك أن أغلب السيدات في مثل سنك، يظهرن عابسات وكأن الحياة قد أكسبتهن غلظة وفظاظة".

إن حل كثير من المشكلات المتعلقة بالمراهقين يتوقف على هؤلاء الراشدين الذين لديهم الاستعداد والرغبة في بذل الوقت والجهد، وهناك عدة أساليب يمكنهم تعلمها ليستطيعوا أشعار المراهقين بفهمهم لمشكلاتهم ورغبتهم في المعاونة، وقد أثبتت التجارب أن معرفة مثل هذه الأساليب تؤدي إلى أحسن النتائج مع المراهقين، من حيث تقبلهم لها والاستفادة منها.

وأن الراشدين الذين يسترجعون ماضيهم محاولين تحليله وفهمه، يستطيعون معاونة هؤلاء الفتيان والفتيات في الأوقات المناسبة، حينما تكون المساعدة مطلوبة، والتوجيه ضروريا، واستعمال بعض السلطة أمرا أساسيا، وإظهار المودة والحب في أسمى صورهما أمرًا لازمًا.

إن الراشد الذي لديه الاستعداد والرغبة في معرفة أحسن الوسائل لاكتساب صداقة المراهقين، وتقديم المعونة لهم، ليشعر بسعادة لا تعادلها سعادة، حينما يعلم أنه كان سببا في مساعدة بعض المراهقين، للوصول إلى مرحلة النضج السوي.

القسم الثاني

معاونة المراهقين على تنظيم جماعاتهم

الفصل السادس

مجهود فرد واحد

حدث أن ارتفعت في قسم من أقسام إحدى المدن الكبرى نسبة الأحداث المنحرفين، ولزم الأمر مضاعفة وجود الشرطة بكثافة في هذه المنطقة، وقد انزعجت إحدى مؤسسات الخدمة الاجتماعية لهذه الظاهرة، فأرسلت أحد رجالها بمفرده لدراسة الموقف، وقد استمر هذا الشخص عدة أسابيع يجوب الشوارع ليستطيع تحديد ملامح المشكلة، والظروف التي تحكمها. وقد تأكد لديه أن هذا القسم هو من المناطق ذات المستوى المنخفض من حيث دخل الأفراد، مع وجود خليط عجيب من السكان والطبقات غير المتجانسة، وغالبتيهم من أصل أجنبي، وقد أخذ يلاحظ الألعاب التي يزاولها المراهقون، وبالتدريج أخذ يتعرف إلى بعض الفتيان، وكان يبدو جليا على الذين تعرف إليهم أنهم قادة لمن سواهم من الفتيان، ولكنها كانت قيادة هدامة.

وقد قوبل أول الأمر بالتشكك فيه، فكان يسمع من أحدهم هذا السؤال: "من أنت؟ هل أنت شرطي خاص؟ أم ماذا؟" وبالتدريج استطاع تكوين صداقة مع عدد كاف من الفتيان، أمكنه بعدها أن يقترح عليهم فكرة تنظيم ناد لهم، وراقت الفكرة للجميع وأخذ القادة منهم يبحثون عن مكان.

وقد أخبره الفتيان أنهم يعرفون مكانا مهجورا كان يستخدمه أحد العمال كورشة، واعتاد الفتيان استخدامه بعد ذلك وكرا لهم، خصصوه لاجتماعاتهم السرية التي يعقدونها ليلا، وكان يعلم هو سلفا بهذا الأمر من رجال الشرطة، الذين أخبروه كذلك أن هذا المبنى المهجور من المقرر إزالته، ولكنه استطاع عن طريق اتصاله بالملاك، أن يحصل على ترخيص منهم باستخدامه، ما دام في ذلك قضاء على هذه العصابات المشاغبة من الفتيان.

وحينما استطاع اكتساب ثقة رؤساء هذه العصابات من الفتيان واقتنعوا به وباتجاهاته، زاد بالتدريج ثقة جميع الفتيان به وحبهم إياه، لأن الرابطة كانت قوية بين هؤلاء الفتيان وبين رؤساء عصاباتهم. ولا شك أن قوة الرابطة التي تنشأ بين المراهقين في تجمعاتهم تعتبر ذات أثر قوي وفعال، إذ يمكنها إنجاح أو هدم محاولة أي راشد يتصدى لقيادة المراهقين، ويتوقف ذلك على مدى حكمة القائد وفهمه للمراهقين.

وحدث بالنسبة للمثال السابق أن انهمك الفتيان في إعداد المكان وتنظيفه، وبدأ أصحاب المصانع المجاورة لهذا المكان يبدون اهتماما، نظرا لما لاحظوه من أن نسبة حوادث تحطيم نوافذ المصانع وسرقتها قد قلت عن ذي قبل، وأخذوا يتبرعون لهم بمواد الطلاء والأخشاب، بل حدث أن تقدمت إحدى الشركات وأعارت الفتيان خلاطا لمواد البناء، كما أمدتهم بمواد البناء نفسها، وتطوع أحد البنائين فقام بإرشاد الفتيان إلى الطريقة المثلى لإرساء الأساس، وقد استغرقت كل هذه الأعمال شهورا، نظرا لاضطرار الفتيان للذهاب إلى المدرسة طوال اليوم.

وحينما انتهوا من العمل، لم يكن ما تم ناديا كاملا بالمعنى المتعارف عليه، ولكن على أية حال فقد أمكنهم أخيرا أن يحصلوا على مكان يخصهم، ساهمت سواعدهم في جزء كبير من إنشائه.

وبينما كانت عملية البناء مستمرة، قامت هناك مناقشات عدة حول ما يجب عمله عندما يتم تشييد النادي، وطبقا لرغبة الفتيان فقد بدأ برنامج النشاط في النادي بمزاولة لعبة (البيسبول). وخلال الاجتماعات التي عقدت في مبنى النادي، تم انتخاب الأعضاء للمناصب القيادية، كما تم وضع لائحة ودستور للنادي، واختار الأعضاء له اسما، وحددوا قيمة الاشتراك الأسبوعي بمبلغ يتراوح بين خمسة وعشرة "سنتات".

وبالتدريج أصبحت المناقشات المنظمة جزءا من برنامج النادي، كما نمت الهوايات الخاصة، وتلقى الأعضاء الكثير مما كانوا يحتاجون إليه من معلومات حول النواحي الصحية والمسائل الجنسية، وبدأت تنظم في النادي حفلات الرقص، وباختصار أصبح النادي يتدفق حيوية ونشاطا.

مما سبق يتضح لنا أنه بفضل إيمان شخص واحد بقدرته على عمل شيء، وبفضل حبه للمراهقين، وبفضل اعتقاده الراسخ أن القيادة السيئة يُمكن تحويلها إلى قيادة صالحة، بفضل هذا كله، أمكن تحويل المنطقة التي كانت تسبب قلقا ومتاعب لرجال الشرطة وإزعاجا لأصحاب المصانع إلى منطقة أقل ما يقال عنها أنها استطاعت الاستغناء عن قوات الشرطة الإضافية التي جاءت إليها، فقد نقصت نسبة الأحداث المنحرفين فيها أكثر من ٧٠ في المائة من مجموعهم الكلي.

الفصل السابع

عمل لم يقم به أحد

يتميز جناح الأحداث بأنه ظاهرة تلفت النظر وتتطلب عملا سريعا وعناية من نوع معين، نظرا لنتائجها الملموسة والواضحة، وعلى العكس من ذلك فإن المراهقين الذين يعيشون في مجتمع طبيعي وصحي وله مكانته، لا ينظر إليهم نفس النظرة، ولا يعتبرون في حاجة إلى نفس العناية والرعاية التي يحتاج إليها الجانحون، لذلك غالبا لا يقدم إليهم أي شيء.

ولنأخذ مثلا بمجتمع لمدينة صغيرة يمتاز بالهدوء والراحة ويتكون من بضعة آلاف من السكان، ويوجد بهذه المدينة عدة أماكن خالية في ضواحيها غير الآهلة بالسكان، كما يوجد بها مدرسة ثانوية تمتاز بالجمال والفخامة، صممت على أحدث طراز، مزودة بأحسن الأدوات والمعدات والأجهزة، وكذلك يوجد بالمدينة عدد من دور العبادة ومدرسة للمعلمين، وهي مدرسة معانة من حصيلة الضريبة العامة – لها مبان فخمة، وبهو ألعاب مغلق، وحوض للسباحة وقاعة محاضرات مزودة بمسرح، ويمتاز طلبة هذه المدرسة بأنهم نخبة من الشباب والشابات ذوي الأخلاق الطيبة.

وعلى العموم فغالبية سكان هذه المدينة من الأسر متوسطة الدخل، والقلة منهم من الأسر المنخفضة الدخل ممن يعملون في المصانع المجاورة للمدينة، لذلك فالفروق الطبقية بين الجماعات المكونة لمجتمع المدينة لا تكاد تذكر.

ظروف المراهقين

ونجد أن المراهقين في هذا المجتمع يذهبون إلى المدرسة، والفتيان منهم يزاولون لعبة كرة القدم، وتذهب الفتيات لمشاهدتهم وهم يلعبون، ويوجد بالمدرسة نظام حكومة الطلبة، وترتبط برامج الأندية ببرامج المدرسة، كما أن أندية الهوايات على صلة وثيقة بالمناهج الدراسية، ويعقد النادي عدة حفلات للرقص خلال العام. ولا ريب أن نواحي النشاط السابقة تعطي صوره لنوع الحياة التي يحياها المراهقون بالمدرسة، ونظرا لوجود بعض الفروق الاجتماعية الطفيفة بين طبقات مجتمع هذه المدينة كما سبق أن أوضحنا فإنه لا يستفيد بألوان النشاط الخارجة عن برنامج الدراسة كل الفتيان والفتيات في المدرسة الثانوية.

ونجد بعضا من هؤلاء المراهقين – وليس مُعظمهم – يمارسون واجباتهم الدينية في دور العبادة الخاصة أو ينتمون إلى الجماعات الدينية التي لا تقتصر عضويتها على المراهقين فقط، وهذا النوع من النشاط، يستوعب جزءا من وقتهم في النهار وفي المساء.

كيف يقضي المراهقون بقية وقتهم؟

يوجد بالمدينة دار لعرض الأفلام تمتاز بالنظافة، وحسن المنظر، وهي تغير برنامجها مرة كل أسبوع، كما يوجد بالمدينة أماكن عدة لتناول المأكولات والمشروبات لا تتسع إلا لخمسة وعشرين شخصا في وقت واحد، وفي ركن من أركان إحدى هذه المحلات توجد آلة "أتوماتيكية" للأسطوانات، تدار بالعملة، وتحتوي على أشهر الأغاني والموسيقى الشائعة، ومقاعد هذا المكان

دائما تكون مزدحمة بطلبة وطالبات مدرسة المعلمين مما لا يدع فرصة للمراهقين للاستمتاع به إذا أرادوا ذلك.

ويوجد بالمدينة غير ذلك أماكن عدة يستطيع المراهقون فيها – إذا أمكنهم الإفلات – تناول نوع من المشروبات الخفيفة، ويسمى المراهقون أحد هذه الأماكن باسم "المكتبة" حتى لا يثيروا شك أولياء أمورهم، ويدفعوا بهم إلى الاعتقاد بأن أبناءهم أصبحوا من المطلعين والباحثين المجدين، ويخصص لهم هذا المكان ركنا يستطيعون التجمع فيه للحديث، ولكن لا توجد به مساحة تسمح بالرقص.

ويمتلك معظم أولياء الأمور في هذه المدينة السيارات، وكثيرا ما يعيرونها لأبنائهم وبناتهم ممن لديهم رخص قيادة ابتدائية، وهذه الرخص لا تبيح لهم القيادة في الليل، ورغم ذلك فهم يخالفون هذه التعليمات ويقودون سيارات آبائهم ليلا، كما يتفق البعض منهم على التجمع في مكان مهجور ثم يبدأون منه النزهة بركوب الخيل جماعات.

وهناك سؤال لابد أن يراود ذهن أي شخص يهتم بشئون المراهقين حينما يلاحظ حالتهم في هذه المدينة. هذا السؤال هو: "هل نواحي النشاط السابقة التي يزاولها هؤلاء الصغار هادفة وبناءة، أو هي مجرد قضاء وقت فراغ؟" وهذا السؤال لابد أن يتبعه منطقيا عدة أسئلة مثل: "هل هناك أي خطة موضوعة لمعاونة هؤلاء المراهقين في تفهم مشكلاتهم والرد على استفساراتهم؟".

"هل توجد في هذا المجتمع أية وسيلة تساعد على توجيه طاقات المراهقين الخلاقة نحو العمل المثمر؟".

ربما يوجد في مجتمع هذه المدينة بعض الأشخاص ممن يشعرون بضرورة إتاحة الفرصة للمراهقين، لاستغلال أوقاتهم بطريقة بناءة مثمرة. ولكن للأسف لم يتخذ أحدهم أية خطوة إيجابية لاكتشاف وتحديد ما يجب عمله لهؤلاء المراهقين، هذا على الرغم من وجود عدم من أندية الرجال للخدمات والتي يُمكنها عمل شيء، وبالرغم من وجود بعض المؤسسات المتخصصة التي يمكنها عمل الشيء الكثير. كما أن المراهقين أنفسهم يستطيعون القيام بأشياء كثيرة إذا ما وجدوا الراشد الذي يفهمهم ويزودهم بأفكاره ويساندهم في أعمالهم. ورغم ذلك لم يحرك أحد ساكنا في هذه المدينة. ولكن لو حدث أن ظهرت في هذا المجتمع مشكلة انحراف أحداث وأخذت صورة جدية فالاحتمال كبير في أن هذه الظاهرة تلفت أنظار سكان المدينة فيولونها اهتمامهم.

ومن اليسير على أي شخص في مجتمع هذه المدينة أن يبدأ العمل الصالح للمراهقين، فعلى مسيرة أقل من ساعة توجد مدينة أخرى بها جمعية للشبان وجمعية للشابات يتوافر بهما عدد من الأندية الرياضية، وبها أيضا مركز اجتماعي، وهذا إلى جانب عدة مؤسسات صغيرة لخدمة الشباب.

ويستطيع هذا الشخص إذا شاء أن يستعين بخبرة إحدى هذه المؤسسات أو بها جميعا في معرفة كيفية بدء العمل من أجل المراهقين في مدينته. ومن العجيب في مجتمع مدينتنا هذه التي نتحدث عنها أن الظروف مهيأة ومستعدة بشكل رائع لإقامة برامج نشاط ممتازة للمراهقين، كذلك يتوافر فيها وجود رواد المستقبل للأندية من بين طلبة وطالبات معهد المعلمين الذين يدربون ليصبحوا مدرسين للمرحلة الثانوية، وإنها لفرصة ذهبية تتاح

لهؤلاء الطلبة والطالبات بنزولهم إلى الميدان العملي، ليطبقوا فيه ما درسوه في معهدهم من نظريات على جماعة حقيقية من جماعات المراهقين.

إن كل ما ينقص مجتمع هذه المدينة هو راشد متحمس ومهتم، لديه الرغبة الصادقة للعمل مع المراهقين. وتتوافر فيه بعض الصفات القيادية الصالحة. فمن الواضح أن كل المجتمعات لا تتوافر فيها مثل هذه الإمكانيات المثالية المجهزة والمعدة للاستخدام، والموجودة في مجتمع هذه المدينة. بل أن كثيرا من المجتمعات لديه القليل منها، أو لا يمتلك أية إمكانية على الإطلاق.

وخلاصة القول أن شخصا واحدا لديه الدافع إلى العمل والإيمان بما يعمل، يستطيع أن يفعل الكثير ليثير في سكان أي مجتمع الحماسة نحو أهمية تنظيم مؤسسة صالحة للمراهقين.

وأن تقابل أهداف وآمال المجتمع، مع شجاعة وصبر وإيمان قلة من الراشدين، يُمكن أن يتيح الفرصة لإقامة حياة اجتماعية بناءة للمراهقين عن طريق الأندية.

لابد لمن يرغب من الراشدين في مساعدة الصغار في أنديتهم أن يقوم أولا بدراسة وتحليل ونقد أنواع جماعات المراهقين القائمة في المجتمع، ثم عليه بعد ذلك أن يكتشف من بينها أقربها إلى المستوى المنشود، وأن أحسن مقياس لتقويم مدى صلاحية الجماعات والمؤسسات القائمة فعلا، يوجد في الإجابة عن السؤالين التاليين:

١- هل الحياة داخل الجماعة تتيح الفرصة لمناقشة جميع المسائل مناقشة وافية؟ وهل تسمح للنشاط العقلي والجسمي والاجتماعي بأن يكون نشاطا مشبعا بناء؟

٢- هل يوجد بالجماعة توازن بين سلطة الكبار وحرية الصغار؟

الجمعيات السرية بالمدارس الثانوية

إن فكرة هذه الجمعيات مشتقة من جماعات الكبار، وأحيانا تلقي هذه الجمعيات تعضيدا غير رسمي من أعضاء جماعات "الأخوة والصداقة" من طلبة الكليات، الذين يكونون غالبا من أسر بها مراهقون. وتتميز هذه الجمعيات السرية بأنها تخضع كلية لسيطرة الصغار، وهي تشبع في المراهق حاجته إلى "الانتماء"، وكذلك حاجته إلى أن يكون موضع الاختيار والتفضيل - هذا بالنسبة لمن يختار منهم - ولكن على أية حال فهذه الجمعيات تعتبر في منتهى الخطورة وذات عواقب وخيمة على المراهقين.

فالمراهقون لا يدركون النتائج الجسيمة الضارة التي تحدث من اجتماعاتهم الصاخبة ذات الطابع التهريجي، فغالبا ما تعقد هذه الاجتماعات في بيوت الأعضاء، حينما يكون أولياء الأمور بالخارج في مواعيد أو مقابلات خاصة بهم، تاركين الصغار دون أية رقابة، وهذا بلا شك يتفق تماما مع مشارب المراهقين وأهوائهم، ولكن من المسئول بعد ذلك، إذا ما عاد أولياء الأمور إلى منازلهم، فوجدوا الأثاث محطما ومحتويات الثلاجات قد أغير عليها وكذلك المشروبات الخاصة بالأب قد استنزفت؟

كذلك فإن هذه الجمعيات السرية تعتبر ضارة لأنها كثيرا ما تتسبب في تحطيم روح بعض المراهقين ونفسيتهم، عندما ترفض انضمامهم إليها، أن إخفاق المراهق في الانضمام لإحدى هذه الجماعات يسبب له ألما شديدا، وقد يؤدي به إلى حدوث مأساة.

ولقد أصدر مجلس التعليم لمدينة نيويورك مُنذ سنوات قانونا بحل جميع جماعات "الصداقة والأخوة" الموجودة بالمدارس الثانوية، بعد أن انتحر أحد الطلبة حينما أخفق في الانضمام لإحدى هذه الجماعات، ورغم ذلك فما زالت هذه الجماعات قائمة في الخفاء، وقد لا يعلم المسئولون بالمدارس كم منها يزاول نشاطه للآن، ولكن الصغار أنفسهم يعلمون ذلك بكل تأكيد، ويحرصون كل الحرص على أن تظل هذه الجماعات بعيدة عن متناول يد السلطة في المدرسة، ومن المشكوك فيه حقا إمكان القضاء على مثل هذه الجماعات نهائيا، ما لم يتبين أولياء الأمور مقدار الخطر الذي تنطوي عليه هذه الجمعيات وما يسودها من روح غير ديمقراطية، وحتى بعد أن يكتشف أولياء الأمور هذا الخطر فستظل هذه الجمعيات قائمة، إلى أن يبدأ المجتمع والمدارس والقادة من رجال الدين في تكوين جماعات تحل محل هذه الجمعيات القائمة، وتكون ذات أثر فعال من إشاعة روح الرضا بين المراهقين وإشباع حاجتهم الملحة إلى "الانتماء".

إن النمط السابق من الجمعيات السرية لا يُمكن أن يجيب عن السؤالين المطروحين في أول هذا الفصل.

الأندية السفلية وجماعات صحبة الجيرة

وهذه الجماعات تتجه اتجاها هداما، وهي موجودة في معظم المدن الكبيرة وفي كثير من المدن الصغيرة، كما أنها توجد في كثير من المجتمعات الراقية، والانضمام إلى مثل هذه الجماعات يشبع في الصغير أحيانا تعطشه وحاجته إلى "الانتماء" وأحيانا يكون لمثل هذه الأندية والجماعات دور إيجابي بناء، ولكن في أغلب الأحوال يكون الانضمام إليها هو أول خطوة نحو الانحراف، لذلك من الضروري دائما عمل أي شيء لصالح هذه الجماعات، وربما يأتي بنتيجة حسنة، إذ تتوافر في هذه الجماعات بعض القيادات وإلا لما أمكن أن تقوم لها قائمة – ومثل هذه القيادات الموجودة بها يُمكن توجيهها، كما أن الأعمال والأفكار الهدامة الضارة، يُمكن تحويلها إلى أفكار وأعمال بناءة، ولكي يتحقق ذلك لابد من وجود راشد يتميز بالحكمة، ويمكنه التوجيه والإرشاد بأسلوب فيه مودة، وفهم عميق دون ما كلل أو ملل. وطبيعي أنه – فيما عدا حالات نادرة – لا يُمكن للقائد الهاوي غير المتخصص القيام بهذا العمل.

مراكز الترويح الرياضية

ويؤم مثل هذه المراكز الفتيان والفتيات ذوو الميول والاستعداد الرياضي، وهي مراكز يديرها ويشرف عليها مديرون رياضيون مدربون، وهي تخضع في برامجها وإداراتها لسيطرة الكبار. ورغم أن الأعضاء المنضمين لهذه المراكز يستفيدون كثيرا من اللعب التعاوني داخل الفريق الواحد، فإنه لا توجد غير فرص قليلة أو لا توجد فرص على الإطلاق، تسمح بامتداد هذه الدروس إلى ميادين النشاط الأخرى، أو إلى ما يهم المراهقين ومعرفته، ورغم

ما لهذه المراكز من فائدة ملموسة فإنها لا تجيب عن السؤالين المطروحين في أول هذا الفصل.

ملاهي المراهقين، ومراكز الترويح للشباب

ملاهي المراهقين: مما لا شك فيه أن هذه الملاهي تحظى بشعبية مطلقة بين الشباب، وأن الطريقة التي انتشرت بها هذه المراكز التجارية للترويح (والتي هي تطور لمراكز خدمة الجنود التي كانت قائمة أثناء الحرب) في أنحاء البلاد، تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن المراهقين يفضلون الأماكن النظيفة، رخيصة التكاليف، حيث يستطيعون مزاولة نشاطهم الترويحي فيها. ومن البديهي أن الهدف الأساسي لمراكز الترويح التجارية هذه هو الدعاية والإعلان ولا يوجد غالبا أي إشراف دقيق عليها من جانب الكبار، وحتى القلة منها التي تخضع لإشراف جماعات مسئولة من الراشدين لا تهتم إلا بجانب واحد من الحياة، وهو جانب اللهو والمرح. ورغم أن هذه المراكز تحقق بعض احتياجات المراهقين، فإنها تجيب بالنفي عن السؤالين المطروحين في أول هذا الفصل.

مراكز الترويح للشباب: أن مراكز الترويح للشباب التي تخضع لإشراف المجتمع المحلي تكون في العادة أحسن فائدة للصغار من مراكز الترويح التجارية، وهي تتيح للمراهق علاوة على حفلات الترويح بعض البرامج الجذابة بالنسبة له، كما أن بعضها يتيح للمراهقين فرصا طيبة لمناقشة اللوائح الخاصة بها..كما أن معظم هذه المراكز قد توسع في برامجه حتى أصبحت تشمل التمثيل، وجماعات لمزاولة الهوايات، وفصولا لتعليم التفصيل، ومشروعات للخدمة العامة، وحلقات لمناقشة المشكلات العامة. وقد

استطاعت أحسن هذه المراكز تقدما أن تخلق جوا من التوازن بين سلطة الكبار وحرية الصغار، لذلك فهذه المراكز إذا ما اختبرناها بالسؤالين السابقين، نجد أن الإجابة تتراوح فيهما بين النفي والإيجاب، وإذا ما استمرت هذه المؤسسات في تحسين أساليبها وبرامجها يمكنها في النهاية أن تجيب عن هذين السؤالين بالإيجاب.

وقد ذكر "مارك أ. ماك كلوسكي" في تقريره للحكومة الفيدرالية ردا على السؤال "هل ستنجح وتستمر مراكز الترويح للشباب" بقوله: أصبح من المؤكد أن مراكز الترويح للشباب التي تتوسع في برامجها بحيث تشمل نواحي أخرى علاوة على حفلات الترويح يكتب لها النجاح والاستمرار في عملها وأن كثيرا من الأندية الخاصة التي بدأت في أول الأمر كأماكن للتجمع فقط، أخذت تتوسع تدريجيا في دائرة نشاطها حتى شملت نواحي متعددة، وأن مظاهر النشاط الموجودة في هذه الأندية والتي تتمثل في المعارض، والفصول الخاصة بتعليم الفنون، والتدريب على المهارات، وفرق الموسيقى والتمثيل، وحلقات البحث والمناقشة، تدل كلها على أن الأندية تتجه اتجاها أعم وأشمل من اتجاهاتها السابقة عند بدء تكوينها. أن مراكز الترويح للشباب بهذه الصورة تستطيع أن تكمل الحلقة التي يعيش فيها الشباب، وهي المنزل والمدرسة ودور العبادة، وتستطيع أن تكون ذات أثر فعال، وأن تساهم مساهمة طيبة، كبيئة خصبة لتدريب الصغار على أسس المواطنة الصالحة، وكمكان تمارس فيه مظاهر الديمقراطية السليمة، ولما كانت مراكز الترويح للشباب تنمو بالمراهقين، ولصالح المراهقين، لذلك كان من واجب الكبار تكوينها وتنظيمها ثم تركها بعد ذلك كهبة للصغار، الذين يتولون أمرها، وبذلك تنمي فيهم روح الخدمة العامة والقدرة على الإشراف والإدارة الصحيحة.

وهذه المؤسسات استطاعت إلى حد كبير تحقيق التوازن اللازم بين عملية التعليم وعملية التوجيه، وكذلك بين السلطة والحرية، ونحن نجد أن الجماعات التابعة لجمعية الشبان المسيحية وجمعية الشابات المسيحية، تكون من حيث التنظيم، إما محلية، وإما قومية، وإما عالمية.

وتقتصر عضويتها على طلبة وطالبات المدارس الثانوية فحسب، وهي منتشرة في المدن والبلاد الصغيرة، ولكنها لا تتقيد بالشكل التنظيمي للمجتمع الموجودة فيه، وإن كنا نرى أن معظمها له تنظيم على مستوى المقاطعة أو المديرية، ولكل وحدة من وحداتها الصغيرة رائد، هذا مع وجود مشرف عام مسئول عن مساعدة جميع الجماعات بالمقاطعة أو المديرية، ومن المعروف أن هدف هذه الجماعات الأساسي هو الدين، والعضوية بها من الناحية النظرية لا تتقيد باللون أو بالعنصر أو بالعقيدة، ولكن بعض المجتمعات التي لم تصل بعد إلى مرتبة التسامح وعدم التزمت، تجد صعوبة كبيرة في تطبيق هذه النظرية.

أما الأندية الريفية فتتضمن أهدافها تحسين الحياة في المزرعة، وذلك عن طريق البرامج المرسومة والتي تشجع على إيجاد حياة منزلية أكثر جمالا، وتحسين وسائل الطهي، وتسهيل مهمة إدارة المنزل بنجاح، والمعرفة الصحيحة لأساليب الزراعة وطبيعة التربة، والإلمام بأحسن الوسائل للعناية بتربية الحيوانات والدواجن، والاستزادة من خبرات الحياة بالقراءة، وعن طريق المناقشات. كما أن من ضمن أهداف هذه الأندية النشاط الاجتماعي بشرط ابتعاده عن المظاهر الزائفة التي تتسم بها ملاهي المدينة.

ومن الواضح أن الأعضاء في هذه الأندية يحبون ويقبلون على جميع نواحي النشاط السابقة، كما أنهم هم أنفسهم يصبحون مصدرا لخلق وابتكار أفكار جديدة لهذه البرامج. وأن الأندية الريفية التابعة لوزارة الزراعة بالولايات المتحدة، والتي تعتبر من وجهة النظر العامة مشروعا على المستوى القومي. تضم من بين أعضائها عددا كبيرا من المراهقين، لكن العضوية بها ليست مقصورة عليهم.

وباستعراض المؤسسات السابقة، نلحظ بينها تشابها في نقاط عامة، فكلها ذات أهداف مثالية ومقبولة وتستحق اهتمام الأعضاء، كما أنها جميعها جماعات تتميز بالنضج، يوجهها ويشرف عليها الكبار، ويقويها وينميها الصغار، ودائما تتكون فيها جماعات جديدة، وإن قمة التوجيه والإرشاد تصل من الكبار إلى هذه الجماعات بواسطة رواد أو قادة الجماعات، الذين يأخذون في حسبانهم وبطريقة فعالة، الاحتياجات والرغبات الطبيعية للمراهقين، والذين لديهم حصيلة من المقترحات ومصادر للمعلومات في شتى الدروب، تساعد على خلق برامج بناءة يختار الأعضاء منها ما يناسبهم، كما أنهم يشجعون ويدربون الجماعات على الحياة الديمقراطية وأساليب الحكم الذاتي، وينمون في نفوس الصغار الشعور بالتضامن والولاء، ليس فقط حيال الجماعة الصغيرة، ولكن حيال وحدة أعم وأشمل من الجماعة، وهم يثيرون فيهم حب الاستطلاع والاهتمام بالجماعات الأخرى عن طريق خلق روح من المنافسة الحرة الشريفة.

ونلاحظ بالنسبة للجماعات الخاصة بجمعية الشبان المسيحية وجمعية الشابات المسيحية، أن الإعلام عن النشاط المتبادل بين الجماعات يتم عن طريق النشرات الإخبارية والمؤتمرات، أما بالنسبة للأندية الريفية، فيتم ذلك عن طريق النشرات الإخبارية والمعارض التي يقيمها المجتمع المحلي أو تقيمها المقاطعة في مختلف المناسبات.

وهكذا يتضح لنا مما سبق أن القاعدة الأساسية العامة في هذه الجماعات، هي الحرية التامة للجماعة في قيادة نفسها بنفسها، إلى جانب التوجيه والمعاونة من الراشد، وهذه القاعدة تؤدي إلى نمو الجماعة، وكذلك تؤدي إلى تنمية المهارات والاستعدادات القيادية لدى الأفراد داخل الجماعة.

وعلى العموم فإننا نجد أن العضوية في هذه الأندية السابقة تزداد يوما بعد يوم نتيجة لسماحها بتكوين جماعات جديدة باستمرار بداخلها.

فإذا ما طابقنا السؤالين المطروحين سابقا على أهداف الأندية الريفية التي تتلخص في معاونة، شباب الريف، نجد أنه من الناحية النظرية، تحقق الأندية الريفية ما جاء بهذين السؤالين بنسبة مائة في المائة، وبنسبة عالية في مجال التطبيق، وكذلك الحال بالنسبة لباقي الجماعات المماثلة، فهي تجيب بالإيجاب عن السؤالين من الناحية النظرية، وتحظى بنسبة عالية في مجال التطبيق.

خلاصة

يُمكن بعد أن استعرضنا الاعتبارات السابقة الخروج بالنتائج الآتية:

– في جماعات المراهقين ذات العضوية الاختيارية يرفض المراهقون تدريجيا تقبل البرامج إذا كانت من وضع الكبار، وهم الذين يسيطرون عليها ويوجهونها كلية.

– كما أن الجماعات التي يتحكم فيها المراهقون كلية، والمتحررة من أية مساعدة أو توجيه من جانب الكبار، تصبح رغم تقبل المراهقين وحبهم لها، ذات أثر سلبي أو هدام على نمو المراهق.

– أما الجماعات التي تنشأ فيها عملية توازن بين سلطة الكبار وحرية الصغار، فهي جماعات يزداد عدد أعضائها يوما بعد يوم، وتمتاز بأهدافها وبرامجها البناءة المثمرة، وهي في الوقت نفسه مقبولة من الصغار.

الفصل الثامن

الأُسس الواجب توافرها في مؤسسة المراهقين

يُمكننا استخلاص مجموعة من القواعد التي تصلح كأساس لتنظيم الجماعات من طلبة وطالبات المدارس الثانوية، وذلك من واقع الخبرات والتجارب المتشابهة التي تمر بها الجماعات القائمة حاليا في المجتمع.

١- يجب تشجيع الجماعات إلى أبعد حد، على قيادة نفسها بنفسها.

٢- لابد من وجود هدف محدد ومقرر للجماعة، أو على الأقل هدف مفهوم لديها. ويجب أن يكون هذا الهدف قد ارتضاه الأعضاء، وأن يكون المراهقون قد قاموا بتحديده بأنفسهم، أو اشتركوا هم والكبار معا في هذا التحديد، وسواء أكان الهدف مقررا أم محددا أو مفهوما فلابد من أن يمثل الهدف بالنسبة للمراهقين شيئا يستحق النضال من أجله، ويكون فيه تحد لاتجاهاتهم وسلوكهم، ولابد أن يكون الوصول إليه في حدود طاقاتهم وإمكانياتهم، كما يجب أن يذكي فيهم ملكة التخيل، ويقوي عندهم القدرة على الخلق والابتكار، وهو أخيرا يجب أن يساعدهم ويمكنهم من اكتشاف أحسن القيم الروحية الموجودة في المجتمع.

٣- ضرورة وجود توجيه وإرشاد من الكبار يتميز بالحكمة والذكاء وحُسن التصرف.

٤- يجب تقديم كل المساعدات الممكنة للقادة الكبار، عن طريق الحصول على المصادر التي تمدهم بالأفكار البناءة وبمختلف المساعدات فيما يتصل بالبرامج وكذلك عن طريق عقد المؤتمرات الدورية التي تتيح لهم فرصة الالتقاء مع قادة آخرين مع ذوي الخبرة والكفاية العالية.

٥- من المسائل الهامة جعل جماعة النادي تتصل عن طريق الهيئة التي تتبعها، بباقي الجماعات التي تتفق معها في الأهداف الأساسية، ومن المستحسن بقدر الإمكان إتاحة الفرصة للجماعات جميعا أن تكون على صلة وثيقة، وبصورة فعالة، بالهيئة المسئولة عنها.

٦- يجب أن يقوم المراهقون أنفسهم بوضع وتطبيق شروط العضوية لجماعاتهم، وذلك تحت إشراف الكبار وبمعونتهم، مع أخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا تنشأ عصابات صغيرة داخل الجماعة الواحدة.

وقد اكتشفت جمعية الشبان المسيحية، من خلال خبرتها الطويلة، أن إحدى الوسائل الفعالة التي تمنع تكوين هذه العصابات، هي تحديد عدد الأعضاء في كل جماعة، بحيث يتراوح العدد بين ٢٥ و٣٠ عضوا، كما يستحسن أن تترك لكل جماعة حرية اختيار أعضائها، ولا يوجد أي تحدد لعدد الجماعات التي يُمكن قيامها بالمؤسسة، إلا إذا حتمت الظروف هذا التحديد، مثل عدم وجود حجر كافية بالمؤسسة للجماعات، أو عدم وجود رواد كافين.

ولا شك أن هذه السياسة في تنظيم العضوية بالجماعات قد راعت حاجة المراهق إلى الانتماء، وإلى الشعور بالتقدير، كما أنها تحقق التوافق بين أعضاء الجماعة، بحيث لا يكون هناك استخدام لأساليب جماعات الصداقة

السرية أو أي تحيز ضد بعض الأفراد، ورفض انضمامهم للجماعة دون مسوغ، وبالتالي يختفي الشعور بالانفرادية والطبقية، مادام كل الأعضاء يعلمون أنه من الممكن تكوين جماعة جديدة بمجرد وجود ثمانية أو عشرة أفراد، من الفتيان أو الفتيات، يودون ذلك ولديهم الاستعداد لتقبل الأهداف العامة للمؤسسة.

٧- وعموما، فإن لضمان حسن سير العمل بالجماعة، يستحسن أن تتكون بعض الجماعات من طلبة السنتين الثالثة والرابعة الثانوية، وأن يتكون البعض الآخر من طلبة وطالبات السنتين الأولى والثانية، لأنه لوحظ في حالة وجود طلبة السنوات الأربع في جماعة واحدة، أن الطلبة الكبار يبدأون في التخلي عن عضوية الجماعة. ولكن المراهقين يفضلون دائما أن تتاح لهم الحرية الكاملة لتكوين جماعاتهم، دون التقيد بأي قواعد، سواء أكانت اختيارية أم إجبارية، وحينما تتاح لهم هذه الفرصة، ويشعرون بالحرية في الاختيار، نجدهم غالبا ما ينتظمون في جماعات متجانسة طبقا لما سبقت التوصية بها، أي حسب السنوات الدراسية.

٨- يجب العمل على تكوين مجلس يضم ممثلين عن كل جماعات النادي، بصرف النظر عن التقسيم السابق للجماعات طبقا للسنوات الدراسية. والغرض من هذا المجلس هو دراسة وتحديد المعايير اللازمة لتحقيق مستوى من الرفاهية العامة للجميع، وكذلك لوضع اللوائح المنظمة لكل الجماعات، وهناك هدف بعيد لمثل هذه المجالس، وهو أنها فرصة صالحة لممارسة تجربة الديمقراطية ونظام الحكم النيابي.

وأن وجود مثل هذه المجالس التشريعية على مستوى المجتمع المحلي والمقاطعة الولاية والدولة، يتيح الفرصة لممارسة هذه التجربة على نطاق أوسع، كما أن هذه المجالس الكبيرة تدفع بأعضائها إلى محاولة الخروج بجماعاتهم التي يمثلونها من حيز الجماعة الضيق إلى حيز المجتمع الخارجي، فتتخلص بذلك من التمركز حول نفسها، ومن العزلة التي قد تعرقل نموها الطبيعي.

٩- يجب العمل على تنظيم اجتماعات مشتركة وحلقات بحث ومؤتمرات ونواحي نشاط اجتماعي بين جماعات النادي؛ لأن المراهقين يستفيدون كثيرا حينما يسمح لهم بتحمل مسئولية أكبر في تخطيط البرامج العامة ووضع الأسس والتنظيمات اللازمة لنواحي النشاط. وأما في حالة عقد مؤتمرات كبيرة تستغرق أكثر من يوم الميزانيات اللازمة، وتجهيز أماكن المبيت والاتفاق مع المتحدثين، ووضع الأسس والقواعد اللازمة لذلك.

١٠- يجب أن يراعى مُنذ أول خطوة لتنظيم النادي، العناية الفائقة باختيار أماكن الاجتماعات، واختيار القادة اللازمين للجماعات، وإعداد كميات مناسبة من المواد اللازمة للبرامج، وأية وسائل معينة أخرى قد تساعد الجماعات على تفهم ومقابلة احتياجاتها الأساسية.

١١- حينما يتم اختيار القادة من الراشدين، يجب عليهم أن يناقشوا كل القواعد التنظيمية للنادي، ويجب أن يصلوا إلى اتفاق على الأسس العامة التي يستطيعون السير على هداها وعلى كيفية تنفيذها.

١٢- يجب على القادة والمسئولين عن الجماعات وضع الأسس والقواعد الضرورية، والتي يتحتم على الصغار إتباعها، ويجب أن تكون هذه القواعد قليلة وبسيطة ولكن حازمة، ومن أهم هذه القواعد ما يتعلق منها بمكافحة الحرائق أو بالإرشادات الصحية، وما هو خاص بنظام الحفلات وآداب السلوك بها، وكذلك ما يتعلق بمواعيد وأماكن الاجتماعات، وهناك مجموعة أخرى من التعليمات يضعها الكبار، وهي التي تتعلق بالسياسة القائمة بالمؤسسة المسئولة عن النادي. ولا ريب أن هذه التعليمات والقواعد تمثل العمود الفقري لسلطة الكبار اللازمة.

١٣- يجب أن يكون الصغار من بادئ الأمر على بينة تامة بكل صغيرة وكبيرة من القواعد والأسس التي يضعها الكبار، وتقتضي أسس القيادة الواعية، اطلاع المراهقين صراحة على الأسباب التي تدعو لإقامة مثل هذه القواعد والنظم.

كما يجب أن يعلم الصغار أيضا من أول الأمر أن في وسعهم التمتع بكامل حريتهم داخل محيط هذه القواعد والنظم الأساسية الهامة والتي يضعها الكبار. وهذا ما يفسر لنا معنى التوازن الذي ننشده بين سلطة الكبار وحرية الصغار.

الفصل التاسع

تنظيم الجماعات
عن طريق المجتمع المحلي

تقع على عاتق المجتمع المحلي مسئولية كبيرة حيال الصغار الذين يعيشون فيه، ولكنهم لم يصبحوا بعد أعضاء عاملين فيه، كما أن على الصغار مقابل ذلك أن يتدربوا على تحمل المسئولية قبل هذا المجتمع، إذ أن العلاقة بين المراهقين والمجتمع تسير في اتجاهين متقابلين، يأخذ الكبار على عاتقهم فيها قيادة الصغار وربما يحدث ألا يقوم المجتمع بعمل أي شيء للصغار، أو قد يحدث أن يعمل المجتمع على إيجاد عدد كاف من المؤسسات، بحيث لا يحرم أي مراهق مهما يكن لونه أو جنسه أو عقيدته، من التمتع بالفائدة التي تعود عليه من عضويته لمؤسسة منظمة، فيها توازن ومواءمة بين سلطات الكبار ورغبات الصغار.

ومن الطبيعي أن المجتمع ليس في حد ذاته وحدة مستقلة ذات إرادة خاصة، تستطيع وحدها أن تضع برامجها وتتخذ قراراتها، وبالرغم من ذلك فإن كثيرا من الناس نجدهم دائما يقولون: "لماذا لا تفعل الحكومة أو المجتمع شيئا بالنسبة لهذا أو ذاك؟". غير أن هناك بعض الجماعات من الناس في كل مجتمع تشعر بضرورة عمل شيء لإيجاد مؤسسات للمراهقين على نحو ما ذكرناه سابقا، وهذه الفئة من الناس هي التي تستطيع البدء في تحريك عجلة التطور، وحينما تبدأ العجلة في الدوران سينضم إليها آخرون

ليحافظوا على استمرار دورانها، أما المراهقون أنفسهم فسيصبحون الشرارة المحركة لهذه العملية، وبناء عليه فيمكن للشخص أو للأشخاص المهتمين بشئون المراهقين أن يقوموا أولا بجمع البيانات الآتية:

١- تحديد عدد المراهقين في المجتمع المحلي.

٢- إيجاد عدد مؤسسات المراهقين الموجودة في هذا المجتمع، وما هو نوعها؛ ومن هو الشخص أو الهيئة المسئولة عنها، وما هي برامجها؟ وكم عدد المراهقين الأعضاء في كل منها؟ مع ملاحظة أنه يدخل ضمن عدد هذه المؤسسات، مدارس يوم الأحد، وجماعات "الشباب أصدقاء الكنيسة"، إذا كانت خاصة بالمراهقين.

٣- تحديد عدد المراهقين غير الأعضاء في هذه المؤسسات لأنه إذا ما أردنا أن نبدأ بعمل شيء للمراهقين فيمكننا البدء بهذا العدد منهم.

٤- الإلمام الدقيق بفرص النشاط الموجودة في المجتمع للمراهقين، سواء أكانت فرصا صالحة أم غير صالحة.

٥- معرفة كيفية قضاء المراهق العادي لوقت فراغه، ويمكن معرفة ذلك بوساطة عمل استفتاء، ويحسن في هذه الحالة الاستعانة بناظرة أو ناظر المدرسة ومناقشة هدف الاستفتاء معه، حتى يُمكن تنظيم العملية مع المدرسين ليتولوا الإشراف على ملء الاستفتاء داخل المدرسة.

٦- عمل دراسة استطلاعية لمعرفة الأماكن المتوافرة لاجتماعات الأندية أو لمركز الشباب.

ويمكن للأشخاص المهتمين بهذا الأمر بعد ذلك، الدعوة لعقد اجتماع للقادة من الكبار في المجتمع لمناقشة إمكانية قيام جماعات في الأندية للمراهقين.

وأنه لمن الأهمية بمكان أن يضم هذا الاجتماع كذلك ناظر المدرسة الثانوية والمدرسين وبعض رجال الدين، وبعض أعضاء الحكومة المحلية ورئيس هيئة من هيئات الخدمة الاجتماعية، ومُمثلًا عن أندية الخدمات ورؤساء الطلبة بالمدرسة الثانوية.

والحكمة من تمثيل المراهقين في هذا الاجتماع هو إشعارهم بأهميتهم أو بأنهم يشتركون في رسم أية خطة تتعلق بهم مُنذ البداية. وهناك ضرر واحد يُمكن أن يترتب على حضورهم مثل هذا الاجتماع الأول، إذا ما استعرضت فيه حالة المراهقين ووضعهم، خوفا من أن يظن المراهقون أن الهدف من هذا الاجتماع هو تحسين حالهم والنهوض بهم، فهم يرفضون بشدة محاولات أي إنسان لتحسين حالهم والنهوض بهم ويودون أن يقوموا بذلك بأنفسهم، ومع ذلك فهم يرحبون ومستعدون تماما لتقبل مساعدة الكبار وتقديرها.

فإذا ما أخذنا هذا الأمر في الحسبان وجب على المسئولين عند توجيه الدعوة لعقد الاجتماع، أن يزنوا الأمر من شتى جوانبه واحتمالاته وأن يقرروا ما إذا كان من الأصوب دعوة المراهقين إلى الاجتماع الأول أو الانتظار وعدم دعوتهم حتى يتم الاتفاق على نوع المؤسسة المراد إقامتها لهم. وتتوقف درجة الخطورة التي ستنشأ من دعوة المراهقين إلى الاجتماع، على مدى استعداد رئيس الجلسة ورغبته في إعطاء الفرصة المتكافئة للكبار والصغار على حد سواء بالنسبة لحق الكلام وإبداء الرأي.

ولكن كقاعدة عامة فإنه من الأهمية بمكان تمثيل الفتيان والفتيات في الاجتماعات مُنذ البداية، ونظرًا لأهمية ذلك يجب أن تسند إدارة مثل هذه الاجتماعات إلى شخص له خبرة بمؤسسات المراهقين.

وعلى كل حال فإن البيانات المقترح تجميعها سابقا، وعندما يتم استيفاؤها، تعتبر ذخيرة وافية للاجتماع وتفتح المجال أمامنا لسؤال أنفسنا: "هل من الضروري إقامة أندية للمراهقين أم ليست هناك ضرورة ملحة؟".

ولابد أثناء سلسلة الاجتماعات المعقودة أن تتخذ بعض القرارات لأنه إذا كان ولابد من إقامة مؤسسة، فأي نوع منها سيفي بالغرض؟ من الواضح أنه على ضوء الإطار السابق الذي استعرض لنا أنماط المؤسسات، ليس أمامنا إلا أن نختار بين نوعين منها، لا سيما أن الاستعراض السابق للمؤسسات بني على أساس خبرات لجماعات ناجحة في أنحاء البلاد.

وأحد هذين النوعين هو مراكز الشباب التي تخضع لإشراف المجتمع، والنوع الآخر هو المؤسسة التي تبدأ بجماعة أو جماعتين مع إتاحة الفرصة لتكوين جماعات أخرى مادامت هناك رغبة لدى الأفراد.

ويلاحظ أن النوع الأول من المؤسسات يتطلب نفقات أكثر، وخبرة أوسع في وضع البرامج الناجحة، نظرا لكبر حجم المركز. أما النوع الثاني فيمكن أن ينمو تدريجيا حتى يصبح مركزا للشباب ناجحا ذا أثر فعال، ولا ريب أن نمو هذا النوع من المؤسسات نموا طبيعيا عن طريق انضمام الجماعات المنفصلة إلى بعضها والتفافها حول هدف واحد، يضمن لنا القضاء على مشكلة تكوين العصابات الصغيرة داخل المركز.

فمن المعروف أنه في المؤسسة الواحدة التي يزيد عدد أعضائها على ثلاثين عضوا تبدأ العصابات الصغيرة في الظهور، قبل أن تتكون فيها الجماعات الخاصة ذات الأغراض والرغبات المتشابهة، حيث أن العصابات هي مظهر طبيعي يفصح عن مدى احتياج المراهق إلى جماعة لذلك كان من المستحسن مُنذ البداية أخذ هذا الاحتياج بعين الاعتبار، ومحاولة تهيئة الظروف الصالحة لمقابلته.

وهناك احتمال إنشاء نوع ثالث من مؤسسات المراهقين، وذلك بالجمع بين النوعين السابقين، فينشأ مركز للشباب يزاول فيه جميع المراهقين نشاطهم الترويحي ويتناولون فيه المرطبات، وفي نفس الوقت نبدأ في السماح بتكوين جماعات منفصلة داخل المؤسسة، آخذين في اعتبارنا كخطة مستقبلة توحيد برامج هذه الجماعات، والنواحي الترويحية لها، في برنامج عام شامل للجماعات كلها.

ويجب في حالة هذه المؤسسة المزدوجة التي تجمع بين النوعين السابقين، عمل الترتيب اللازم لتوفير أماكن كافية لاجتماعات الجماعات المتعددة أو لإعداد مكان لإقامة مركز للشباب.

وإذا كان من الضروري أن تجتمع الجماعات في أماكن متفرقة فمن المستحسن تدبير الأمر بحيث يتم اجتماع عام لكل الجماعات من آن لآخر لمناقشة موضوع معين، والاشتراك معا في بعض نواحي النشاط الترويحي. ويجب ألا نحاول إقامة مؤسسة قبل أن نضمن تهيئة مكان أو عدة أماكن للاجتماعات.

ويتوقف ما يجب عمله ومتى نبدأ في تنفيذه على مدى تهيئة أماكن الاجتماعات التي تسمح بقيام برنامج كامل يقابل احتياجات الصغار، ومن الممكن استخدام مبنى المدرسة أو المباني الملحقة بدور العبادة أو أي مبنى مهجور، بعد ترميمه وإصلاحه بحيث يظهر بصورة مناسبة.

وفي بعض المجتمعات التي استغلت فيها الأماكن المهجورة، قام الفتيان والفتيات بأنفسهم بإصلاحها وبذلوا مجهودا كبيرا في سبيل إتمام ذلك، وعندما لمس أصحاب مهن البناء والتجارة المحليون هذه المجهودات بدأوا في المساهمة معهم بمدهم بالمواد اللازمة وبمساعدتهم في جميع الإصلاحات والترميات التي كان من الصعب على الصغار القيام بها بمفردهم. كما أنه من الممكن الاستفادة من مخلفات الحرب كبقايا أكواخ "الكانتينات" بعد إعادة تشييدها على قطعة أرض فضاء.

ويمكن إذا ما اعتزمت إحدى الجماعات تكوين ناد لها – أن تبدأ بإحدى الحجرات الزائدة بمنزل أحد أعضائها كمقر مؤقت لها، بشرط وجود رائد من الكبار معها.

أما عمليات التمويل فهي تُمثل مشكلة رئيسية مُنذ البداية إذا كانت النية متجهة إلى إقامة مركز شباب، إما في حالة تكوين مؤسسة قوامها جماعة أو جماعتان، فإن مشكلة التمويل تبدأ في الظهور كلما بدأ عدد الجماعات في الازدياد، لذلك فمن الحكمة أخذ هذا الاحتمال في الاعتبار مُنذ أول خطوة للتخطيط.

كما أن من الضروري التفكير في أحسن وسيلة للاتصال بالمراهقين. وهنا تظهر فائدة وجود قادة للمراهقين معهم في كل خطوة مُنذ البداية، وسواء أكانوا قادة حقيقيين في المدرسة أم مجرد قادة لثلل وتجمعات المراهقين، فسوف يقدمون بعض الأفكار التي يعلمون تمام العلم أنها مناسبة وتصلح للمراهقين. فقد يقترحون ضرورة تكوين لجنة منفصلة من المراهقين فقط لتدارس المشروع من شتى زواياه، وفي حالة إغفالهم هذا الاقتراح، يُمكن تذكيرهم به واقتراحه عليهم.

وعلى أية حال لو فرض أن انضم الفتيان والفتيات إلى اللجان التي تضم الكبار فإنه يُمكن لرئيس الاجتماع المجرب إتاحة الفرصة للصغار للتعبير عن آرائهم في حين أن الكبار يصفون ويوجهون الأسئلة ويتعلمون من الصغار، وأن نوع النشاط المرسوم ومداه يجب أن يأتي نتيجة للمشورة المتبادلة بين الكبار والمراهقين وأخذ رأي المراهقين ويجب على الكبار أن تكون لديهم الرغبة للبدء من النقطة التي يريدها الصغار، حتى ولو بدت اقتراحات الصغار في هذا الموقف سطحية، فالصغار يتقدمون تدريجيا عن طريق إشباع رغباتهم واحتياجاتهم الظاهرة إلى أن يصلوا إلى مرحلة اكتشاف وإشباع رغباتهم واحتياجاتهم غير الظاهرة.

أنهم يسيرون طبقا لنظرية غير مصطلح عليها غالب مؤداها أنه إذا أمكنت العناية بالحاضر فإن المستقبل بالتبعية سيعني بنفسه، ويرجع هذا بالطبع إلى قصور الخبرة لديهم، وعدم نضجهم الكافي، لذلك فعلى الكبار عند تعاملهم مع هذه المرحلة من العمر، أن يكونوا على حذر دائما من إقحام الأمور المتعلقة بالمستقبل في ماجريات الأمور الحاضرة.

وأخيرا فإن من أهم المسائل التي يجب أخذها في الاعتبار، هي مسألة تدبير القادة اللازمين للجماعات، فإذا كانت النية متجهة إلى إنشاء مركز للشباب، فيجب أن يتجه التفكير إلى ضرورة تدبير مدير متخصص للبرامج، كل أو بعض الوقت، ممن لديه القدرة على إعداد وتدريب قادة متطوعين من الكبار لتولي عملية الريادة للجماعات المختلفة.

أما إذا كانت النية متجهة إلى البدء بمؤسسة فيها جماعة أو جماعتان، ففي هذه الحالة يحسن استخدام أحسن مستوى من القادة، لأن التوسع في العضوية لهذه المؤسسة يتوقف – بالنسبة لوجهة نظر المراهق – على نجاح هذه الجماعات الأولى.

الفصل العاشر

تنظيم جماعات الأندية عن طريق المدرسة

إن المدرسة الثانوية مزودة بإمكانيات كافية، بحيث تستطيع أن تهيئ برنامجا بناء ناجحا لناد للمراهقين خارج برامج المدرسة، فهي في العادة بها بهو "صالة" للألعاب الرياضية وحفلات الترويح، وبها ملاعب للرياضة، حتى حينما لا يوجد لديها ملعب خاص فمن الممكن استغلال الملاعب العامة الموجودة بالبيئة.

والمدرسة لديها أو تستطيع تدبير حجرة هوايات لأشغال الخشب أو أشغال المعادن، وبها كذلك "صالة" للاجتماعات والمناقشات والمحاضرات وحفلات التمثيل، كما أن لدى المدرسة جهازا وظيفيا كاملا مدربا على العمل مع المراهقين، وبها عدد كاف من حجرات الدراسة المنفصلة، تصلح لاجتماعات الأندية والجماعات المختلفة، كما توجد بالمدارس الحديثة مقاعد متحركة يُمكن ترتيبها في شكل دائري يساعد على إكساب حجرة الدرس منظرا جديدا جذابا أثناء الاجتماع.

وبالرغم من أن بعض المدارس تفتح أبوابها في المساء كأماكن ترويح مختلطة للطلبة والطالبات، فإن مباني ومنشآت هذه المدارس تغلق عادة بعد انتهاء اليوم المدرسي وتبقى مغلقة خلال العطلات الأسبوعية، في حين أن من الممكن إقامة مركز للشباب عن طريق استخدام مثل هذه المباني والمنشآت،

لا سيما أن أغلب المدارس تطبق حاليا نظام حكومة الطلبة بها، مما يجعل لدى المراهقين بعض الخبرة في حكم وتوجيه أنفسهم بأنفسهم.

ولما كانت المدارس تعتبر ملكا لجميع المواطنين حيث أنها تمول من حصيلة الضريبة العامة، لذلك كان من حق كل مواطن التأكد من أن ما يدفعه من أموال يستغل أحسن استغلال في مثل هذه المباني والمنشآت، فلا تترك غير مستخدمة في أغلب الأوقات. وهناك الكثير من المدرسين يهتمون بطلبتهم كأفراد وكمواطنين، علاوة على الاهتمام بهم من الناحية التعليمية، بآثارها ونتائجها الذهنية الملموسة، ومثل هؤلاء المدرسين يصلحون تماما لتولي مهمة الريادة لجماعات المراهقين.

وهناك بعض الاعتراضات من الجائز أن تثار ضد فكرة تكوين مركز لطلاب المدارس الثانوية له نفس الأهداف السابق مناقشتها، وأهم هذه الاعتراضات هو أن جهاز الطلبة المدرسة لا ينتمي كله إلى عقيدة دينية واحدة، كما أن كثيرا من أولياء الأمور قد لا يوافقون على أن يناقش أبناؤهم في هذه المراكز المسائل الدينية، رغم أهمية ذلك بالنسبة للمراهقين.

وقد تثير السلطات المدرسية اعتراضات أخرى لخوفها على الأدوات والأجهزة المدرسية من أن يساء استخدامها، وفي ذلك عرقلة لعمل المدرسة الأساسي. ولكن هذا الخوف لا محل له على الإطلاق، فتقارير مراكز الشباب التي سمح فيها للمراهقين بحكم أنفسهم بأنفسهم، أثبتت – بدرجة مذهلة – مدى احترام المراهقين لممتلكات الغير.

وقد يثار اعتراض آخر حول المصروفات الإضافية التي ستتكلفها الإنارة والمياه وأعمال الحراسة والصيانة، وكلها نفقات غير مدرجة في الميزانية الأساسية للمدرسة.

وهناك اعتراض يقول أن المدرسين سيقل إنتاجهم في التدريس نتيجة للعمل المضاعف الذي سيقومون به كرواد لجماعات المراهقين، وثمة اعتراض آخر يقول بأن القيم الخلقية ستتأثر حينما يتنازل المدرس (أو المدرسة) عن هيبته ووقاره كمدرس، ويبدأ في الاختلاط والتبسط مع الطلبة طبقا لأسس العمل مع الجماعات بعيدا عن الجو الرسمي، وهناك اعتراض أخير يقول أن وجود المركز داخل المدرسة، سيشعر الفتيان والفتيات بأنهم أقل حرية لمناقشة ما يجول حقيقة في أذهانهم، أو أقل حرية في الظهور على طبيعتهم، وذلك نتيجة للبيئة المدرسية وما تخلفه من ضغط وتزمت.

ولكل من الاعتراضات السابقة قيمتها ووجاهتها التي تتفاوت بالنسبة لدرجة أهميتها، ولو أن من السهل التغلب على معظمها؛ فمثلا إذا أمكن تدبير رائد لكل جماعة من نفس نوع عقيدتها الدينية، فإننا نكون بذلك قد قضينا على اعتراض أولياء الأمور المتعلق بهذا الأمر، ولو أن تنظيم الجماعات على أساس الناحية الدينية يضعف إلى حد كبير قيمة الجماعة بالنسبة للأعضاء؛ لأن المراهقين لا يهمهم عند اختيارهم للأصدقاء نوع المذهب الديني الذي ينتمي إليه هؤلاء.

وعلى أية حال فإن الأسلوب السابق لتقسيم الجماعات هو خير وسيلة لإزالة أسباب الاعتراض التي يثيرها أولياء الأمور حول مناقشة أبنائهم للأمور الدينية في الجماعة التي تضم أكثر من عقيدة أو مذهب، كما يُمكن بعد ذلك

التغلب ولو جزئيا على الضرر الناشئ من عدم وجود وجهات نظر وآراء مختلفة في الجماعة الواحدة، وذلك بعقد مؤتمرات وحلقات بحث ومناقشات مشتركة لكل جماعات المركز، وتؤدي هذه الاجتماعات المشتركة بدورها إلى إرساء قواعد ثابتة نحو فهم الاختلافات الواضحة بين الأديان، كما تساعد على خلق جو من التسامح حيال أفكار ووجهات نظر الآخرين، وعلى وجه العموم فإن مسألة مناقشة الأمور المتعلقة بالدين تعتبر مشكلة جديرة بالاهتمام، وذلك بالنسبة للمدارس الخاصة المعانة من الحصيلة العامة للضرائب.

أما الاعتراض الذي يثار حول التمويل فإن أفراد المجتمع يستطيعون تدبير الميزانيات اللازمة من صندوق التمويل المشترك للهيئات أو عن طريق جمع مبلغ معين لتغطية المصاريف الزائدة للإضاءة والتدفئة، وخدمات الحراسة والصيانة، كما يُمكن ادخار مبلغ معين بصفة احتياطي، لمواجهة أي عجز أو تلف يحدث للممتلكات، ومن الواضح أن المراهقين أنفسهم في مقدورهم تحمل المسئولية الأدبية للمحافظة على الممتلكات إذا ما عهدنا إليهم كلية مسئولية إدارة المكان وصيانته.

أما فيما يتعلق بعمل المدرسين كرواد، فمن الواضح أن المدرس الواعي المتفهم لعمله يستطيع أن يصبح رائدا ناجحا، ولكن للأسف يلاحظ دائما أن هناك نوعا من الكبت يبدو واضحا في أية جماعة يكون رائدها مدرسا، لأنه من الصعب على كل من الطلبة والمدرس تغيير طبيعة العلاقة التي تنشأ بينهم خلال أيام الدراسة في كل أسبوع.

ومن المُمكن التغلب على هذه الصعوبة مع الاحتفاظ بقيمة المدرس كرائد، وذلك باختيار رواد الجماعات من بين الراشدين العاديين، وأن نعهد إلى المدرسين المهتمين من ذوي الرغبة والاستعداد بتولي مهمة تدريبهم على القيادة، أو بالعمل كموجهين أو مشرفين على رواد الجماعات المختلفة.

ولا شك أن الإعداد المهني الخاص للمدرسين ومعرفتهم الوثيقة بالطلبة تجعلهم مصدر فائدة كبرى للمعاونة في برامج أندية المراهقين. وإن وجود رواد للجماعات المختلفة من غير المدرسين، يخلق جوا جديدا حتى لو كان المكان هو نفس المكان الذي اعتاد المراهقون ارتياده، وبناء عليه يشعر الفتيان والفتيات بأنهم أكثر تحررا وحرية أثناء المناقشات أو أثناء العمل.

وطبيعي أن مركز الشباب المدرسي والخاص بالمراهقين لا يكون له مكان خاص ينظمه ويتولى تجميله وتزيينه؛ لأن مشروع إقامة مركز للشباب متكامل يتكلف نفقات باهظة، وقد يحقق أو لا يحقق دخلًا مناسبًا يقابل ما صرف عليه، ولما كان يوجد في كل مدينة ولكل عدة قرى في الريف، مدرسة ثانوية تحصل لها الضرائب فهذه المدرسة بإمكانياتها تصلح لكي تكون مركزا للشباب، إذ تتوافر فيها كل المعدات الضرورية اللازمة للبرامج المتنوعة وكذلك المكان الصالح لاجتماعات الأندية المختلفة، وهذا بالطبع شيء له الاعتبار الأول، كما أنه يوجد بالفصول الدراسية سبورات يُمكن الاستفادة بها في تنظيم وإدارة المناقشات.

إن أهم نقطة يجب التنبيه إليها هنا، هو أنه ليس من الحكمة في أي مجتمع، صرف الأموال على شراء معدات تكون أصلا موجودة في البيئة، مما يؤدي إلى ازدواجها ومضاعفتها، في حين أن الموجود أصلا غير مستغل استغلالا كاملا، ويمكن استثمار نفس هذه الأموال المنصرفة بطريقة أكثر فائدة، إما بتزويد الجماعات القائمة بالقادة المدربين وإما بتنظيم برنامج تدريبي متكرر لإعداد القادة من المتطوعين، أنه ليس من الضروري في كل الأحوال إقامة مؤسسة للمراهقين كوسيلة من وسائل تنمية المجتمع، ما دامت هناك مدرسة قائمة ويمكن استغلالها والبدء بها كتجربة ناجحة تحقق نفس الغرض.

القسم الثالث

قيادة جماعات المراهقين

الفصل الحادي عشر

ضرورة وجود قائد

يثير المهنيون من العاملين في أندية المراهقين مسألة "هل تحتاج جماعة الشباب دائما إلى رائد؟" وللرد على هذه المسألة سنستعرض هنا حالتين مختلفتين لناديين: أما الحالة الأولى، فهي لناد يضم ثلاثين فتاة، استمر يعمل بنجاح بدون قائد لمدة سنة ونصف سنة، وكانت ترأس هذه المجموعة من الفتيات فتاة من بينهن، وهي الابنة الكبرى لأسرة مكونة من ثمانية أطفال، ووالدها متوفى، ووالدتها عضو نشيط في نادٍ للسيدات، وكان لدى ماري (وهو اسم الفتاة) مسئوليات غير عادية بالمنزل، ويبدو عليها أنها ولدت ولديها قدرة فطرية على التنظيم، وكانت تفوق من في مثل سنها بما لديها من استعداد طيب في عمليات التنفيذ، فكانت تقود الاجتماعات الخاصة بجماعتها بكفاية، كما كانت تتمتع بينهن بالاحترام والتقدير، وقد أقامت عدة مشروعات قيمة للخدمة العامة، وكانت تدير مناقشات منظمة حول عدة موضوعات عامة وشاملة، أحيانا بالاستعانة بأحد المتحدثين، وأحيانا غير مستعينة بأحد، ولكن حدث حينما تخرجت في المدرسة الثانوية أن تفككت الجماعة، فلم يكن هناك من بين "عضوات" الجماعة من تدربت لتحل محلها، كما لم يكن من بينهن من لها مثل قدرتها على القيادة، ولا كانت هناك من "العضوات" من لديها مثلها هذه الخبرة المنزلية الواسعة التي قد تساعدها على تولي منصب الرياسة من بعدها في الجماعة.

فلا ريب أن ماري كانت ناضجة بصورة تفوق سنها، ولكن كان ينقصها النضج الكافي لتتنبأ بما يحدث فيما لو اضطرت هي إلى التنحي عن قيادتها لسبب من الأسباب ولا شك أن وجود رائدة معها، ذات حكمة ووعي، كان كفيلا بإرشادها إلى ضرورة تدريب خلف لها، وفي هذه الحالة كان يمكنها تدارك الأمر، وعمل ما هو مناسب لمثل هذه المواقف. ولكن حدث في حالتنا هذه أن الجماعة عانت كثيرا من الانتكاس، واستغرق الأمر وقتا طويلا لإقناع "العضوات" بفكرة ضرورة وجود رائدة للجماعة، وحينما وجدت القائدة توقفت الجماعة عن النمو حتى نشأت الثقة المتبادلة بين القائدة و"العضوات".

أما الحالة الثانية فهي جماعة من الفتيان يبلغ عددها عشرين ولها رائد، وكانت هذه الجماعة من الأندية الناجحة السعيدة، ولكن حدث شيء استدعى ضرورة البحث عن قائد جديد للجماعة، واستغرق البحث عن قائد جديد لديه الاستعداد للتضحية بوقته، مدة بلغت ستة أشهر، وحدث خلال الشهرين الأولين اللذين قضتهما الجماعة بدون قائد أن تقلصت العضوية إلى عشرة، ونقص هذا العدد إلى ستة أعضاء في الشهرين التاليين، وكان هؤلاء الستة قد وصلوا إلى مرحلة كبيرة من اليأس حينما أمكن أخيرا تدبير رائد لهم. ولكن خلال ستة أشهر من تولي الرائد الجديد لمهمته ارتفعت العضوية مرة ثانية إلى عشرين عضوا، وخلال مدة قصيرة بعد ذلك فاز النادي بالمرتبة الثانية من بين عشر جماعات للفتيان في مسابقة أحسن البرامج الأسبوعية، وبلغ تحمس أعضاء هذه الجماعة للنشاط المتبادل بين الأندية وشعورهم بالرضا النفسي، حدا يعادل ما يحس به أعضاء أكثر الجماعات نموا.

إن هذين المثالين السابقين من التجارب، تتكرر صورهما في أماكن أخرى عديدة، وأن السؤال الذي أثير حول (هل يجب أن يكون هناك رائد لكل جماعة شباب؟)، تتوقف الإجابة عنه، على نوع القيادة التي تعمل مع المراهقين، وكذلك على نوع الجماعة، وما إذا كانت جماعة ضمن عدة جماعات تحت إشراف ومسئولية هيئة معينة، أم أنها جماعة مستقلة ليس لها علاقة بأي جماعة أو هيئة أخرى.

فمن النادر أن نجد جماعة مستقلة تستمر في عملها بنجاح لمدة طويلة بدون رائد، أما إذا كانت جماعة ضمن جماعات أخرى فربما تنجح حتى ولو كان قائدها غير ناضج نضجًا كافيًا؛ لأن مثل هذه الجماعة تستطيع أن تقيس مقدار نموها وتقدمها بمقارنة نفسها بغيرها من الجماعات التي حولها إذا رغبت في ذلك، كما يُمكن لقائدها الطالب مثلا أن يستعين بأفكار وآراء باقي رؤساء الجماعات، أو بآراء وأفكار رواد الجماعات أنفسهم، إذا شاء ذلك.

إن وجهة النظر التي يُمكن أن نسوقها هنا هو أن أية جماعة تستطيع أن تصل إلى أعلى درجة من النمو بأقل قدر من الفشل أو الانتكاس، إذا كان لديها قائد ذكي ذو خبرة ووعي كافيين، وسواء ألاقت وجهة النظر هذه تأييدا أم معارضة من القادة المتخصصين، فإن من الحكمة في كلتا الحالتين، أن نعرف ما هي الصفات التي يجب توافرها في رائد الجماعة لمثل هذه المرحلة من العمر، وكذلك من الضروري معرفة كيف نجد ونكتشف هؤلاء القادة.

الفصل الثاني عشر

خصائص وصفات القائد

إن تحمس المراهق وولاءه لجماعته المنظمة، يرجعان مباشرة إلى مجموعة القيم التي يجدها داخلها، ويتوقف عدد القيم التي سيجدها، على نوع القيادة الموجودة بها، كما يرجع نوع هذه القيم ونوع السلوك الفردي أو الجماعي الناتج عنها، إلى نوع البرامج التي يختارها الأعضاء، ويتوقف اختيار البرامج كلية على نوع القائد الموجود بالجماعة، كذلك تتوقف قوة أو ضعف إمكانيات البرامج على معلومات وخبرات القائد، ومقدار ما لديه من رصيد من الأفكار التي تصلح للبرامج وسواء أكنا نتحدث عن المؤسسة، أم عن القيادة، أم عن برامج النادي، فنحن فعلا نتحدث عن القيادة.

أن التركيز الذي يلقى على عنصر من العناصر السابقة هو الذي يجعلها تظهر منفصلة بعضها عن بعض، كمؤسسة أو قيادة أو برنامج.

ولكن **القائد الذكي** يدرك تمام الإدراك أهمية الفرصة المناسبة أمام المراهقين ليجدوا ما يتطلعون إليه داخل المؤسسة التي اختاروها بأنفسهم.

كما أن **القائد المتفهم لعمله**، يدرك تمام الإدراك أهمية الفرصة السانحة في الجماعة للمواءمة والربط وتنمية العلاقة بين عمل الفرد والجماعة وبين القيم الموجودة فعلا.

وكذلك **فالقائد الحكيم** يدرك تمام الإدراك أهمية الفرصة السانحة أمام الصغار ليختاروا بأنفسهم البرامج التي تساعدهم على التفريق، والتمييز بين جميع القيم ويجب أن تساعد حكمة الراشد، الناشئين كذلك، على اختيار أكثر هذه القيم قوة وصلابة وقدرة على الصمود على مر السنين، أمام الضغط والتوتر اللذين قد يصادفان الشخص في مستقبل حياته.

إن القادة من الكبار يحتاجون إلى التحلي ببعض الصفات، مثل: الذكاء، والفهم، والحكمة، وهي صفات يعتبرها الكبار، من وجهة نظرهم هامة. ومن الضروري توافرها في القائد.

وسنستعرض الآن ما يتطلبه المراهقون من الصفات في القائد، والذي سنذكره هنا، هو خلاصة لآراء مائتي مراهق من الجنسين، وقد جمعت هذه الآراء من المراهقين بطريقة فردية، دون أن يستعين أحدهم بالآخر، وعن طريق الإجابة من سؤال مكتوب وجه إلى كل منهم على حدة وهو: "ما هي الصفات التي تعتقد ضرورة توافرها في قائد النادي؟".

وفيما يلي أبرز الإجابات التي أمكن الحصول عليها:

١- ليس من المهم عمر القائد، ما دام فاهما ماذا يعمل.

٢- لابد أن يهتم بعمله ويكون دائما يقظا منتبها.

٣- يجب أن يعلم أكثر مما نعلم، وتكون لديه خبرة أوفر.

٤- يجب عليه ألا يرغمنا على تقبل آرائه، بل يكفي أن يكون مستعدا للتعبير عنها وشرحها لنا إذا طلبنا إليه ذلك.

٥- يجب أن يكون لديه الاستعداد للاستماع إلى آرائنا.

٦- يجب أن تكون لديه آراء واقتراحات مناسبة، ولكن يجب ألا يحاول إجبارنا على تقبلها، أو تنفيذها بالأسلوب الذي يرى أن من الواجب علينا إتباعه.

٧- يجب أن يكون مستعدا للتحدث معنا على أساس أن لدينا أحاسيسنا وعقولنا الخاصة بنا.

٨- يجب أن يثق بنا.

٩- يجب أن يكون صديقا ومحبا لنا.

ومن الواضح أن كل الفتيان والفتيات لم يجيبوا على جميع النقط السابقة، ولكن الكل أجاب على النقطتين رقمي ١، ٩ كما أجابت الغالبية على أرقام ٢، ٣، ٨ كما أن الغالبية من هؤلاء أجابوا على ٨، ٩. وأجابت الغالبية كذلك على ما تضمنته النقطتان ٤، ٥. وعدد كاف أيضا أجاب على ما تضمنته النقطتان ٦، ٧ ليؤكد الأهمية الواردة فيهما. وكان الاصطلاح الوحيد غير الواضح المعنى، والذي استخدمه الجميع في أكثر من موضع، هو كلمة "الفهم" وقد عقد لهؤلاء المراهقين عدة حلقات مناقشة صغيرة، بقصد الوصول معهم لتحديد معنى واضح لما يقصدونه بكلمة "الفهم" وقد أمكن الخروج بالآراء الآتية من خلال المناقشات التي دارت معهم:

- إن كثيرا من الناس ينظرون إلينا وكأنهم صدموا بما نفعل، وهذا يشعرنا بأننا نقوم بأعمال خاطئة، في حين أننا لا نعتقد ذلك في أنفسنا.

- حينما يمسك الفتى بيد زميلة له في السينما أو سيارة "الأوتوبيس"، فإن بعض الناس ينظرون إلينا كأننا أشرار، أو شيء من هذا القبيل.

– إن آباءنا وأمهاتنا لا يثقون في كل الأحوال بنا.

– حينما يظن المدرس أننا لا نقول الصدق، نشعر كأننا فعلا كاذبون، حتى لو لم نكن كذلك.

– يرى الناس أن من الواجب علينا الظهور بمظهر الجد دائما ولا يصح لنا بتاتا أن نمرح أو نلهو.

– إذا ما قمنا بعمل شيء لا يوافق عليه أولياء أمورنا، فإنهم دائما يصرخون في وجوهنا، دون أن يتركوا لنا الفرصة لشرح أو تسويغ أعمالنا.

– ليس لدى أولياء أمورنا الوقت للتحدث إلينا.

– نحن لا نستطيع أن ندعو أصدقاءنا إلى منازلنا.

– نحن لا نستطيع مناقشة أولياء الأمور أو المدرسين فيما يعتقدون هم أن من الواجب علينا عمله أو التفكير فيه.

– نحن نعامل أحيانا وكأننا لا نملك عقولا تفكر.

ولا ريب أن قائد النادي يستطيع قياس نفسه بطريقة فعالة، وذلك بمضاهاة صفاته واتجاهاته بالصفات والشروط التي يتطلبها المراهقون في القائد كما أنه يُمكن لقائد النادي الذي يتولى مهمته لأول مرة أن يتخذ من هذه الصفات التي حددها الصغار خير دليل ومرشد له في عمله.

ونحن إذا ما ترجمنا الصفات التي ذكرها الصغار، وحولناها إلى المصطلحات التي تعارف الكبار على استخدامها نجد أنها تتلخص كلها في النقط الآتية:

الحكمة التي تبدو في المرتبة الأولى من الأهمية قبل الذكاء. والمعرفة والخبرة اللتان يجب أن تفوقا خبرات الصغار. والرغبة المخلصة في أن يقول الإنسان ما يفكر فيه بصراحة وأمانة حينما يطلب منه ذلك، على أساس أن يفكر فعلا. وضبط النفس الذي يساعد الإنسان على التريث حتى يطلب منه إبداء وجهة نظره، بلا أدنى خوف من أنه ربما لا يطلب منه ذلك أبدا. والاستعداد الطيب للإصغاء بطريقة مهذبة إلى كل ما يقال، مثلما يود هو أن يصغى إليه الآخرون حينما يتكلم. وأن يكون معينا لا ينضب من الخبرات، وذخيرة وافية من الاقتراحات والأفكار. والاحترام الصادق للشخصية الذي يولد شعورا بالثقة المتبادلة. وأخيرا الاستعداد الصادق لحب الصغار.

إن هذا الاستعداد الصادق لحب الصغار كأفراد، وفي جماعات، هو من أهم الأمور بالنسبة للقيادة، أما معظم الصفات الأخرى فيمكن أن تتوافر من تلقاء نفسها بعد مدة وجيزة، وما لم يتوافر منها يُمكن تعلمه، ولكن إذا لم يكن الحب للصغار متوافرا في القائد بصورة صادقة ومخلصة، فمن العسير تعلم أي شيء بعد ذلك على الإطلاق، لأن الصغار سوف يقاومون القائد، وسوف لا يتيحون له الفرصة ليعرف ما ينقصه من أشياء يجب عليه تعلمها. أما إذا كان الحب موجودا لدى القائد، فسيشعر به الصغار، أن غريزتهم تشبه غريزة الجرو الصغيرة الذي يهز ذيله لأحد الأشخاص وينبح في وجه شخص آخر، أو تشبه غريزة الطفل الذي يطوق بذراعيه فجأة أحد الغرباء، في حين ينفجر صارخا في وجه أحد أقارب الأسرة. وسنسرد هنا ما قالته إحدى الفتيات أثناء حديثها مع قائد سابق لناديها، وكان النادي يشعر بالسعادة أثناء فترة عمله به؛ فقد أخذت تتحدث الفتاة معه عن الرائد الحالي الذي لم تكن الجماعة سعيدة بوجوده، وظلت الفتاة مدة طويلة وهي تبذل الجهد، محاولة

تحديد السبب الحقيقي لهذا الاختلاف الواضح في اتجاهات وروح الجماعة تحت قيادة القائد الجديد، وأخيرا انفجرت دون قصد منها قائلة: "أن الاختلاف الحقيقي، هو أنك كنت تحبنا وتثق بنا، وكنا نعرف هذا حق المعرفة".

ويمكن لهذه الصفات السابق ذكرها مجتمعة أن تعطي لنا تعريفا واضحا، للراشد الناضج المتزن، بأنه ذلك الشخص الذي يمكنه التفكير بإخلاص، ولديه الاستعداد والرغبة للتعبير عن نتائج تفكيره لا قاطعا أو متحكما، ولكن بروح التعاون والمشاركة في الرأي، ذلك الشخص المتسامح، لأنه يحترم نفسه ويوجه نفس الاحترام للآخرين؛ ذلك الشخص الذي لديه الحكمة، لأنه تعلمها نتيجة لخبراته الطويلة في الحياة، ذلك الشخص الذي يثق بنفسه وبالآخرين، لأنه قد وصل إلى مرحلة من الأمان النفسي الحقيقي.

ومما لا شك فيه أن التكامل والاتزان الداخلي، ينتج عنهما اتزان خارجي ملحوظ، يكون من الصعب التأثير فيه أو إضعافه، كما أن الاتزان الخارجي المستند على أساس من الأمان النفسي الداخلي، هو علامة من علامات الشخص السليم العلاقة مع نفسه، وأنه لعلامة تدل كذلك على أن الشخص يعرف تماما أي طريق يسلك، ولماذا يسلك هذا الطريق بالذات. وأن لدى الصغار القدرة على ملاحظة هذه الصفة بسرعة في الراشد، وهم مستعدون للسير وراء الرائد الذي يتصف بها، لذلك كان من الأهمية بمكان أن يعي الراشد دوافعه ومبادئه في الحياة، إذا ما رغب الاضطلاع بمسئولية القيادة الواعية الرشيدة لمن يصغرونه في السن.

ونلاحظ أحيانا أن هناك بعض الأفراد يبدون كبارا من ناحية العمر، ولكنهم في الحقيقة مازالوا مراهقين، من حيث عجزهم عن الفهم أو الاستفادة من تجاربهم التي يمرون بها، وعدم قدرتهم على السيطرة على اتجاهاتهم وأفعالهم، ويسعى هؤلاء الكبار غير الناضجين أحيانا إلى مصادقة المراهقين، تماما كما يسعى الفرد إلى مصادقة من هم على شاكلته. وهؤلاء تحت ستار عملية القيادة يأملون لا شعوريا أن يعثروا على حل لمشكلاتهم غير الواضحة وغير المحددة. وحينما يحدث هذا فالخطورة لا تكمن فقط وراء عدم وجود قيادة حقيقية. وإنما الخطورة تتمثل في أن هناك ضررا بالغا لابد أن يقع على المراهقين، أن هذا الموقف يشبه موقف الضرير حينما يقود ضريرا آخر، لذلك كان من الأهمية القصوى أن يتأكد القائد الذي يعمل مع الصغار بطريقة واعية، أن حبه لهم ليس مصدره هذه المقاومة الداخلية اللاشعورية فيه لأي عملية من عمليات النمو أو التكامل.

وبديهي أنه لا يوجد إنسان يتمتع بالنمو الكامل المتزن في جميع نواحيه، ولكن يستطيع الفرد أن يصر ويتحدى باستمرار كل الصعوبات حتى يحسن من نفسه ومفاهيمه وأعماله، ويستطيع أن يستمر دائما في تنمية عقله ووجدانه، ويمكننا جميعا بهذا الوضع أن نؤدي بعض الخدمات لمن يصغروننا. فإذا ما كنا كبارا وعلى درجة من النضج المعقول فسيكتشف المراهقون فينا هذا الاهتمام الصادق بهم، وهذا بدوره سيؤدي بنا إلى التحفز، والتحمس لزيادة معلوماتنا وخبراتنا. كما أن تقبل المراهقين لما نقدمه من معاونة لهم ينهنه من غلوائنا، ويجعلنا أكثر تواضعا، حتى نصبح في آخر الأمر موجهين ومرشدين، لا آمرين ومتحكمين.

الفصل الثالث عشر

اكتشاف القادة

ليس حقيقيًا ما يُقال من أنه من السهل العثور على راشدين ذوي كفايات لديهم الرغبة للتضحية بأوقاتهم في سبيل العمل مع المراهقين، صحيح أن هناك كثيرا من المتطوعين ولكنهم مع الأسف لا يصلحون لتولي عملية القيادة، أن من الصعب أحيانا إقناع شخص كفء ومتواضع في نفس الوقت، بأنه في إمكانه أو إمكانها القيام بهذا العمل على وجه مرض. لذلك يجب أن يؤخذ في الاعتبار ضرورة تعيين مدير للبرامج بعض أو كل الوقت، في حالة ما إذا تقرر إنشاء مركز شباب للمراهقين لا تقتصر برامجه على الترفيه وتناول المرطبات.

ويُمكن العثور على الأشخاص المؤهلين لمثل هذا العمل، عن طريق مدارس الخدمة الاجتماعية، والمدارس التي تعد مديرين لبرامج الترويح، ولا شك أن في أي مكتبة عامة يوجد أكثر من دليل للمؤسسات التعليمية، كما أن أمين المكتبة مدرب على استخراج هذا النوع من المعلومات اللازمة.

أما إذا كان من المقرر إنشاء مركز للترفيه وتناول المرطبات فقط، فيلزم في هذه الحالة وجود رقابة من الكبار على المكان طوال ساعات فتحه ويمكن تنظيم عملية الإشراف هذه بطريقة دورية. فتتولى أمهات المراهقين المهمة في الساعات التي تعقب الانتهاء من المدرسة، كما يُمكن للفتيات الراشدات من الموظفات، وكذلك الشبان، تولى هذا العمل في فترات

المساء، أما آباء المراهقين فيمكنهم تولي ما بقى من ساعات اليوم حتى ساعة الإغلاق، كما أن زوجين شابين ممن لم ينجبا بعد، يصبحان من أنجح الأشخاص في إدارة مثل هذا العمل، فالمراهقون يحبونهما، ويشعرون بأنهما أكثر فهما لهم، وأقل نقدا لهم من آبائهم وأمهاتهم. وكثيرا ما يشترك مثل هذين الزوجين مع المراهقين في مرحهم ولهوهم. ومن الواضح أنه ليس من الصعب العثور على الراشدين الذين يرغبون في مثل هذا العمل.

وربما يكون من الضروري عمل محاولة في البحث تختلف عن السابقة، إذا ما كانت خطة مؤسسة المراهقين تتجه نحو تكوين جماعات مستقلة، أو تدعو إلى تكوين مثل هذه الجماعات فقط، وفيما يلي بعض المقترحات في هذا الشأن:

١- يستحسن تنظيم حديث تقوم أنت بإلقائه، وتدعو إليه أعضاء بعض أندية الخدمات مثل "اللايونز" والروتاري وأعضاء الجمعيات النسائية، والجمعيات الدينية أو الجماعات المدنية.

ويجب إعداد الكلمة مقدما وبعناية، وإلقاؤها بروح من التحمس والتفاؤل والصراحة، وأن توضح فيها باختصار أهمية إقامة أندية للمراهقين، ثم يعقب ذلك عرض للخطوط العريضة لمهمة القائد الراشد، على أن يتضمن هذا العرض تحديد الحد الأدنى للساعات الفعلية للخدمة المفروض أن يؤديها الراشد، وكذلك عرض لأنواع الاتجاهات الأساسية اللازمة للراشد ليكتسب ثقة المراهق، ويمكن في هذا الصدد الاستفادة بما حدده الفتيان والفتيات أنفسهم من صفات للقائد.

يجب عليك بعد ذلك إعطاء صورة عامة للبرنامج المقترح، فإذا كان يحوي البرنامج تكوين بعض جماعات للهوايات أو التمثيل أو أية جماعات لها رغبات تتطلب نوعا معينا من التخصص، فيستحسن توضيح هذا كله، إذ ربما يهتم البعض بتخصص معين، لا بعملية القيادة ككل، كما يجب توضيح نوع المساعدة التي يُمكن للمؤسسة المسئولة تقديمها، كالمساعدة في تخطيط البرامج، وتنظيم اجتماعات للرواد، وما شابه ذلك.

ويُستحسن أن تختم كلمتك بإثارة الحماسة الحقيقية لديهم، وبمعنى آخر: انقل الفكرة إليهم بحيث يقبلون عليها باعتبارها عملية تستحق أن يبذل الراشد فيها أحسن ما عنده، وأنها تحتوي على المتعة والمرح للراشد إلى جانب العمل الذي يحتاج إلى جهد، وأبرز لهم الفكرة بأن هذه العملية فرصة سنحت لهم، كما أنها أمر واجب الأداء.

أن من الأخطاء الفاحشة التوسل إلى الأشخاص لكي يصبحوا قادة، كما أنه من الخطأ إشعارهم بسهولة المهمة وبأنها لن تحتاج إلى الكثير من الوقت أو الجهد.

أن هذا الاتجاه كثيرا ما يحدث، ولا ريب أنه يسيء إلى الراشد الذكي المشغول والذي يشعر بالمسئولية ويقدرها. وأن من يستجيب منهم لمثل هذه الاستغاثة المستضعفة، يتحولون بعد مدة إلى عبء ثقيل يضغط على عنق المسئول عن هذه العملية، كما أنهم حينما يدركون مقدار ما يحتاج إليه العمل من وقت وجهد، يبدأون في الهروب من الميدان.

أما إذا اتبعت الأسلوب الصحيح في الدعوة إلى هذا العمل، فستجد بعض الأشخاص يستجيب للإثارة وللدعوة التي وجهتها، وهؤلاء نظرا لإحساسهم القوي بعظم المسئولية، سيداخلهم الشعور بعدم القدرة على أداء هذا العمل بطريقة مرضية، ولذلك يجب تشجيعهم على المحاولة أولا، فإذا ما قبلوا بعد ذلك العمل، فسيرحبون تماما بأي إشراف إضافي يساعدهم حتى يشعروا بالثقة في أنفسهم، وقطعا سنجد من الأشخاص من سيرحب بهذه المهمة الإشرافية.

٢- يستحسن كذلك الاستعانة بالصحافة المحلية إذ أنها ترحب دائم بالمقالات والأحداث الجديدة البارزة في المجتمع، فمثلا يهم المحرر معرفة خطط اللجنة المشكلة لتنظيم المؤسسة، كما يهمه معرفة الأفكار الأساسية التي برزت أثناء الأحاديث المختلفة، كما يجب أن يتضمن مثل هذا المقال قائمة بأسماء أعضاء اللجنة المشكلة، لا سيما المراهقين منهم، وما لم يكن الشخص الذي سيوكل إليه أمر نقل مادة هذا المقال إلى الجريدة فطنا ولديه المقدرة لكي يخلق فيها قصة جذابة، فمن المستحسن ترك الأمر للجريدة نفسها لإخراجها في الصورة المناسبة، مع ضرورة إلمام محرر الأخبار بالجريدة بالنقط التي تود اللجنة التركيز عليها وإبرازها. وقد يؤدي مثل هذا المقال إلى اهتمام بعض القادة المتخصصين، وقد استرعى انتباههم الأمر.

٣- يُمكن إرسال خطابات إلى أكبر عدد من سيدات ورجال المدينة، بالقدر الذي يُمكن للجنة تحمله، على أن يأتي الخطاب في فحواه متضمنا العناصر الهامة التي دارت في الأحاديث، ولكن بطريقة مختصرة. وهذا الخطاب سيحقق غرضين: فهو - إلى جانب ما سيحققه من إعلان عن

المشروع وما سيخلفه في المجتمع من وعي واهتمام به– كذلك قد يساعد على اكتشاف من لديهم الاستعداد الفطري للقيادة.

٤– يُمكن تنظيم اجتماع لأولياء الأمور في المدرسة الثانوية، وأن يدعي للحديث في هذا الاجتماع شخص يعرف فائدة الأندية للمراهقين ويستطيع أن يثير في أولياء الأمور الحماسة لتقبل فكرة العمل كقادة متطوعين وإذا حدث أن تولي أولياء الأمور مهمة قائد ناد، فمن الحكمة أن ينضم ابنه إلى جماعة أخرى.

٥– وحينما يكتمل لديك عدد كاف من القادة الذين لديهم الاستعداد للعمل، وجه إليهم دعوة للاجتماع بهم لمناقشة الخطط بالتفصيل. وأنه لمن الضروري مُنذ البداية إثارة حماسة وتعاون القادة أنفسهم، تماما بالصورة التي تود أن ينتقل بها هذا التحمس والتعاون إلى أعضاء جماعة النادي نفسها. وقد يحدث نتيجة هذا الاجتماع الأول أن ينسحب بعض الأفراد، ولكن الغالبية تستمر طبقا للخطة، إذا ما توافرت الصراحة وكانت هي رائدنا في أعمالنا، فالراشدون الأذكياء لا يرحبون بأن تفرض عليهم الأشياء تماما كما هو الشأن بالنسبة للمراهقين.

فإذا حدث أن كان عدد القادة المتطوعين للعمل يزيد على ما يلزم فيجب عليك الاحتفاظ بالباقي منهم للعمل كقادة فيما سينشأ في المستقبل من أندية، وكذلك يُمكن استخدامهم في حالة الطوارئ أو ما يستجد من ظروف.

ولكي تضمن دائما عدم فقدانهم التحمس للعمل، فاحرص دائما على إعلامهم بأخبار الجماعات، وطريقة سيرها ومدى تقدمها، كما يجب دعوتهم إلى كل الاجتماعات الخاصة بتدريب رواد المستقبل.

ويظهر للعيان بوضوح، بعد تشكيل الجماعات واستمرارها، أهمية استمرار الصحافة في مهمتها. ولكن على الصحافة أن تراعي الدقة والحياد فيما تنشر، فحينما تود إظهار الفضل في نجاح الجماعة يجب عليها ألا تعزو ذلك فقط إلى القائد دون أن تذكر دور الأعضاء. فالمراهقون يحبون مطالعة أسمائهم على صفحات الجرائد كما أن الأصدقاء والمعارف الذين يطالعون أسماء من يعرفون على صفحات الجرائد تتولد لديهم الرغبة أحيانا في الانضمام إلى الجماعة أو في تكوين جماعة من بينهم.

الفصل الرابع عشر

التوجيه والإرشاد كإحدى عمليات القيادة

الجماعة ليست غاية تنظيمية في حد ذاتها، أنها تمثل بيئة من بيئات المراهقين، فيها ينمو الصغار كأفراد وكجماعة.

وأن الرائد الراشد عليه مسئولية ذات شقين: أولهما هو اكتشاف ومساعدة الفتاة أو الفتى الذي لديه مشكلة فردية، وثانيهما هو مساعدة الجماعة لكي تصل إلى مرحلة من التضامن والنشاط التعاوني البناء، وكذلك الخروج بأعضاء النادي من حيز اهتمامهم بذاتهم فقط إلى الاهتمام بالآخرين.

أما المسئولية الأولى فإنه يُمكن القيام بها عن طريق التوجيه الفردي، إذا توافر في الرائد الذكاء والحكمة والفهم الصحيح للأمور. وأما المسئولية الثانية فيمكن أن تتحقق بنفس الصفات السابقة عن طريق التوجيه الجماعي، ومن الواضح أن مشكلات الجماعة التي تحتاج إلى مساعدة القائد تتصل اتصالا وثيقا بنوع البرنامج المختار، ومدى الكافية المتوافرة في تنظيم النادي، ولذلك فالتوجيه الجماعي يعتبر أسهل بكثير من التوجيه الفردي.

وإن بذل بعض الوقت مع دقة الملاحظة، يساعد رائد النادي حالا على اكتشاف الفتيان والفتيات الذين تم اختيارهم كرؤساء للجماعات، وعليه بعد ذلك أن يبذل جهده ليكتسب ثقتهم، ثم يقدم لهم اقتراحاته وتوجيهاته المناسبة، فإذا ما أثارت هذه التوجيهات اهتمام الرؤساء، فسوف ينقلونها

بالتالي إلى زملائهم في النادي، وتتم في هذه الحالة عملية مناقشة وتقويم هذه المقترحات دون أن يحس القائد بذلك، كما سيتولى هؤلاء الرؤساء إبداء رأيهم في رائدهم لباقي الأعضاء، فإذا ما نشأت ثقة متبادلة بهذه الطريقة بين الرائد ورؤساء الجماعة فيمكن الاعتماد على الجماعة نفسها للقيام بالمبادأة وتقبل اقتراحات الرائد وتحمل مسئولية تنفيذها.

ولا ريب أن أي عمل يقوم به القائد لمساعدة رؤساء الجماعة ولجانها لتأدية المسئوليات بطريق مرضية، وأن أي عمل يساعد به الرائد الجماعة للوصول إلى درجة من التضامن بين أعضائها، ولتنمية النشاط الخلاق بين الجماعة والجماعات الأخرى، هو في واقع الأمر يتضمن عملية من عمليات التوجيه الجماعي.

وسينصب اهتمامنا الآن هنا على الطرق التي يُمكن بها معرفة متى تكون عملية مساعدة الفرد ضرورية، وكيف يُمكن تقديم المساعدة بحيث تكون متقبلة من الأفراد، ولا ريب أن توجيه الأفراد مسئولية لا يُمكن للكبار التنصل منها، وإن كل شخص يحب الصغار مخلصا لا يحاول التنصل من هذه المسئولية، لذلك فالقائد المحب لعمله، يتعلم بسرعة، كيف يكتشف الفتيان والفتيات المحتاجين إلى المساعدة.

وحينما يتم هذا الاكتشاف لابد للقائد أن يتحين الفرصة ليظهر للمراهق اهتمامه بالأمر، ويحاول أن ينشئ معه نوعا من الثقة المتبادلة، وهذا من غير شك يتطلب حذقا ومهارة معينة. فالمراهق يعرف دائما أن هناك موضوعا ما يضايقه، ولكنه لا يستطيع بالضبط تحديده، لذلك فهو لا يرغب في أن يشاركه الراشد في حل مشكلته ما لم يتأكد أن هذا الراشد لديه الوعي والفهم

الكافيان وأظهر أمامه دليلا على مقدرته لتقديم المساعدة، ومن البديهي أنه مهما طال الأمد أو قصر، فلابد أن تسنح الفرصة التي كان يترقبها القائد، ليقدم للمراهق الدليل على استعداده لمساعدته.

ويحدث في بعض الحالات أن يكتشف القائد الأسباب الحقيقية لمشكلة الفتى أو الفتاة حين لا تكون هذه الأسباب واضحة في ذهن المراهق نفسه، وفي حالات أخرى يكون المراهق شاعرا بطبيعة مشكلته وعارفا بها، في حين لا يكون القائد مدركا لها، وفي كلتا الحالتين يعتبر المراهق دائما أن مشكلته وحيدة ولا مثيل لها.

ويجب أن يكون لدى القائد الاستعداد لتقبل هذا الأمر، حتى لو كانت خبرته تؤكد له أن كل مشكلة ليست فريدة في نوعها إلا من حيث شكلها الخاص فقط.

وربما تؤثر المشكلة الفردية بطريقة واضحة على سلوك الشخص، في المنزل والمدرسة وفي جماعة النادي، وقد تكون للمشكلة جذور وأسباب معقدة، وأحيانا تكون أسباب المشكلة بسيطة تتعلق بأمر أو أكثر من الأمور الطبيعية التي تشغل أذهان المراهقين في تلك الفترة وتقلقهم، وأحيانا تكون المشكلة متعلقة بعدم قدرة الفرد على القيام بإحدى المسئوليات في النادي، ومثل هذا النوع من المشكلات لا يؤثر تأثيرا مضادا أو سيئا في سلوك الفرد، وأن تقديم المساعدة المطلوبة للفتى أو الفتاة في مثل هذه الحالات كفيل بمعاونته على تأدية العمل المختار بطريقة أفضل.

وإن معظم التوجيه الفردي يتركز حول المشكلات العادية الخاصة بهذه المرحلة من السن، وأن الوسائل التي يستخدمها القائد في معظم الأحوال لمساعدة الفرد هي:

– فهم أنواع القلق والاضطرابات التي لدى الفتيات والفتيان.

– الإلمام بنواحي النشاط العقلي والجسمي والاجتماعي والروحي لهؤلاء المراهقين، إلماما يمكنه من مساعدتهم على التخلص من كثير من الصعاب التي تعترضهم.

– الاهتمام الصادق بالمراهقين، وإظهار المودة والحب لهم كأناس.

أما المراهقون من طوائف الجانحين فإنهم يحتاجون إلى مساعدة أشخاص متخصصين، فالجانح الذي اعتاد الجنوح قد مر بعمليات من الأذى والخوف وأصبح قاسيا نتيجة تجارب لم يفهمها تماما، وأن إعادة تكيفه حتى يصبح مراهقا سويا عملية تستغرق وقتا طويلا. كما أن خطوات هذه العملية، لابد أن يفهمها الراشد، ويقوم بدراستها أولا والتخطيط لها بعناية.

لذلك يجب على القائد المتطوع غير المدرب على العمل مع هذه الفئة من الفتيات والفتيان، ألا يحاول إلا نادرا تشخيص مشكلة المراهق الجانح وألا يقدم له أي معاونة إلا تحت إشراف وتوجيه أحد المتخصصين؛ لأن أسباب الجنوح الحقيقية التي تبدو بسيطة لأول وهلة تصبح معقدة بعد مدة، كما أن السبب أو الأسباب الأصلية للمشكلة قد تصبح غامضة وغير واضحة وأن من المستحيل على التشخيص الكامل للأسباب الرئيسية للسلوك غير السوي للفرد.

ويوجد بين السلوك السوي للمراهق الذي يعاني فقط من المشكلات العادية التي تعترض عملية النمو، وبين السلوك غير السوي الذي يتسم به المراهق الجانح الحقيقي، نوع من السلوك الثالث الذي يختلف عن سابقيه، والشخص الذي يتصف بهذا النمط من السلوك، يُمكن أن نجده في أي جماعة من جماعات المراهقين سواء أكانت جماعة منظمة أم غير منظمة.

وأنه لأمر بالغ الأهمية أن تكون لدى القائد القدرة على معرفة السلوك العادي للمراهق، والسلوك الجانح الأكيد، والسلوك الذي ليس هذا ولا ذلك ولكنه سلوك على أية حال يستوجب اهتمام الراشد وتفكيره، ويحتاج إلى نوع خاص من الدراسة والعلاج.

ومن الأهمية بمكان ضرورة معرفة القائد أو القائد حدوده، فلا يتردد إطلاقا في البحث عن نصيحة أو مشورة تعاونه على معالجة سلوك أحد المراهقين الخارج عن المألوف.

وهذا التنبيه ليس المقصود به إخافة القائد حتى لا يخطئ، أو أن يتردد بالنسبة لما يجب عمله في الواضح من الأمور، ولكن المقصود به هنا هو إشعار القائد أن في استطاعته اتخاذ نمط المراهق السوي، كأساس ومرشد يقيس عليه ما عداه من سلوك، وأن أي اختلاف واضح في السلوك عن هذا النمط، يكون بمثابة النذير للقائد، فيهيئ نفسه ليكون مستعدا لمعاونة المراهق أو أن يطلب المعونة له من مصدرها المناسب.

(بعض نماذج لحالات من التوجيه الفردي)

حالة "بتي"

"بتي" فتاة في السادسة عشرة، أبواها متوفيان، وتقيم مع جدتها الأرملة المسنة، وكانت الجدة ذات دخل محدود، لذلك كان مصروف "بتي" ضئيلا، وقد تعودت أن تمد يدها لأخذ عملات صغيرة تتراوح بين عشر وربع دولار كلما أتيحت لها الفرصة، كما كانت تمد يدها لأخذ الحلي الرخيصة الخاصة بتجميل الملابس، ولم تكن "بتي" متكيفة مع جماعتها الدينية، كما كانت معظم اتجاهاتها تختلف عن اتجاهات أي مراهقة سوية، وقد سبب ذلك لقائدة الجماعة قلقا شديدا، لاسيما أن "بتي" كانت فتاة جميلة وجذابة. وقد قامت القائدة بزيارة جدة الفتاة التي اتضح أنها أيضا قلقة نتيجة لسلوك الفتاة في المنزل، وقالت الجدة أن "بتي" فتاة صامتة، وأنها لا تعرف عنها أين تقضي وقتها، أو ماذا تعمل، فهي ترجع دائما إلى المنزل في الساعة السادسة مساء وتبقى فيه، ولا يحدث أن يزورها أي فتيان أو فتيات، كما أنها لا تتحدث أبدا عن أصدقائها.

وقد علمت القائدة عن طريق بعض "عضوات" النادي أن "بتي" تعمل بعد المدرسة في محل بيع للحاجيات، وأنها كانت تسرق النقود والحلي الرخيصة منه. ولما لم يكن لدى القائدة الخبرة الكافية لمعالجة مثل هذا السلوك، فقد لجأت إلى مديرة برامج التربية الدينية، واقترحت عليها أن تتولى مسئولية إحالة الفتاة إلى محلل نفسي لمعاونتها، ولكنها لم توافق على رأي القائدة واقترحت على المديرة أن تتولى بنفسها عملية معاونة "بتي" وقد شخصت مديرة البرامج متاعب الفتاة بأنها مشكلة أخلاقية فقط، ونظمت

الأمر بحيث تحضر "بتي" إلى مكتبها صباح كل يوم قبل ذهابها إلى المدرسة، وأخذت تتحدث إليها يوميا وأعطتها نسخة من الكتاب المقدس لتحتفظ بها في حافظتها، ولم تتغيب "بتي" عن هذا الميعاد طوال عدة شهور مما يدل على أنه كان لديها الاستعداد لتقبل المعاونة، وبالرغم من ذلك فقد استمرت في أخذ العملات الصغيرة والحلي الرخيصة من المحل الذي تعمل فيه وقد اضطر صاحب المحل إلى طردها حينما يئس منها، وحينما حدث هذا توقفت "بتي" عن التردد على دار العبادة. ومن وقتها لم يسمع أحد عن أخبارها شيئا.

ويُلاحظ من الحالة السابقة أن القائدة أدركت من اللحظة الأولى أن مشكلة "بتي" ليس في مقدورها معالجتها، فسعت للحصول على المشورة وتقرر اتخاذ إجراء معين حيال هذا الموقف، ولكن النتيجة التي وصلت إليها الحالة لم ترض القائدة، لقد كانت مقتنعة بأنه لو توافرت المساعدة الفنية "لبتي" لحققت نتيجة أحسن وشعرت القائدة بتأنيب الضمير نظرا لعدم استطاعتها معرفة ما يُمكن عمله، ولكنها أدركت أخيرا وبطريقة مقنعة أنها قد أدت واجبها وبذلت كل ما استطاعت من جهة فعادت وكرست جهودها للعمل مع أعضاء النادي الآخرين.

إن قائد الجماعة يجب أن يكون مثل ولي الأمر الواعي الذي يعالج كل موقف بكل ما لديه من طاقة وقدرة، ويتعلم من الأخطاء التي تصادفه، ولا ييأس من محاولة تحسين مستوى عمله، ويرفض الركون إلى الانسحاب من عمله أو إخماد نشاطه بسبب الندم أو تبكيت الضمير على سوء التوفيق الذي قد يصادفه.

حالة "جين"

كانت "جين" الابنة الوحيدة في الأسرة، وحدث أن انتخبها النادي لتمثيله في أحد المؤتمرات، وقد وافقت الأم بعد إلحاح شديد أن تسمح لابنتها بالذهاب للمؤتمر، ولكن حدث في اليوم السابق لموعد سفر المندوبين، أن اتصلت الأم تليفونيا برائد النادي الذي كان عليه مصاحبة المندوبين البالغ عددهم ستة، ثلاثة فتيان وثلاث فتيات. وكانت الأم تبكي بشدة، وأخبرت الرائد أنها لا تستطيع بأي حال ترك "جين" ببساطة تذهب للمؤتمر لأنها ستظل قلقة عليها لدرجة قد تدفعها إلى عدم النوم وكان قرار الأم في هذه الحالة نهائيا.

وقد بكت "جين" كذلك عندما عرفت بهذا القرار، فقد شعرت بأنها خذلت جماعتها وبالرغم من أن النادي قد نقص عدد ممثليه في المؤتمر إلا أن أعضاءه لم يوجهوا أي لوم إلى جين ولكنهم القوا اللوم على والدتها واعتبروها حمقاء كما عبروا عن اشمئزازهم منها.

وانقطعت "جين" عن الذهاب إلى اجتماعات النادي عدة أسابيع، وقد تحدث إليها الرائد طويلا عدة مرات إلى أن استطاعت "جين" أن تقتنع بوجهة نظر والدتها، وأن تتغلب على الضيق الذي كانت تشعر به نحوها، وقد استغرق الرائد معها وقتا أطول حتى استطاع أن يقنعها بأن الفتيات من أعضاء ناديها ما زلن يعتززن بصداقتها، ويرغبن في رجوعها إلى اجتماعات النادي. وكانت الصعوبة الكبرى التي واجهتها بعد ذلك هو في محاولتها التخلص من الشعور بالفشل حيال جماعتها ولكن صديقاتها ساعدنها على ذلك، فأخذن

يرحبن بها، عندما وجدت في نفسها الشجاعة إحدى المرات وذهبت لحضور اجتماع النادي.

إن المشكلة التي استعرضناها في الحالة السابقة، جاء نتيجة لفشل أحد الراشدين في موقف من المواقف، وهي الأم في هذه الحالة، في حين ساعد "جين" في التغلب على الصعوبة راشد آخر، أما صديقاتها فلم يفهمن الأسباب التي دعت الأم إلى القيام بهذا العمل، لذلك ضقن هن و"حين" بعملها هذا.

حالة "توم"

كان توم يتميز بالضخامة والقوة والمظهر الحسن وكان يبدو دائما كصبي مشكل، ولكنه كان محبوبا من الفتيان أعضاء ناديه، حتى أنهم كانوا يفتقرون إلى خصائصه المتعية، فكثيرا ما كان يقاطع اجتماعات الجماعة برواية النوادر والفكاهات، وكان يبدو دائما متعاليا شامخا، ولم يكن يؤدي أعماله وواجباته المدرسية، كذلك كان مغرورا بنفسه ويميل إلى أن يفعل ما يشاء، وكانت لديه أفكار كثيرة، كما كانت لديه القدرة على التعبير عن نفسه، مرتجلا دون سابق تحضير أو إعداد، ولهذا السبب انتخبه الفتيان ليمثل ناديهم في اجتماع كبير يعقد بين الأندية المختلفة، وكان من الضروري له أن يتغيب يوما عن المدرسة حتى يستطيع حضور هذا الاجتماع الذي سيعقد في مدينة أخرى، ولكن رائد المدرسة تردد في منحه الإذن بالتغيب، وقد قام رائد النادي بمناقشة هذا الأمر مع "توم" ورائد المدرسة وبمقارنة الملاحظات التي دونت عنه في المدرسة وفي النادي اتضح للرائدين أن سلوكه في كلا المكانين متصل ومتشابه. وقد أمكن لهما عند دراسة حالته اكتشاف أن أسبابها هو فقدان

"توم" الثقة بنفسه وأرجعا الأمر إلى أن "توم" من أصل إيطالي وربما تكون معرفته بهذا أدت إلى عدم شعوره بالثقة بنفسه، لذلك فقد وصل الرائدان إلى قرار يقضي بأن التجربة التي سيمر بها "توم" بتمثيله لناديه، ستكون أكثر فائدة بالنسبة له من اليوم المدرسي الذي سيتغيبه، وفعلا كان هذا صحيحا.

وقد تحسن سلوك "توم" في النادي بعد حضوره هذا الاجتماع، تحسنا ملحوظا لفت إليه نظر الرائد، حتى أصبح الرائد مشغوفا بمعرفة ماذا حدث لـ "توم" في المدرسة كذلك، وفعلا كان تحسنه في المدرسة مماثلا لتحسنه في النادي.

ونلاحظ في الحالة السابقة أن التوجيه لم يحدث فيها بطريقة مباشرة، ولكنه تم بطريقة غير مباشرة فكلا الرائدين في المدرسة والنادي كانا مهتمين بحالته، وكان يدرك هو هذا.

وقد أدرك كل منهما حدوده وطاقاته، وكانا مستعدين لعمل كل ما في طاقتهما لمعاونته على اكتساب ثقته بنفسه، التي كانا يشعران أنها تنقصه. وكانت ثقتهما به حقيقية ومثمرة، إذ أصبح متقدما في تحصيله الدراسي، وقد سمح له أن يلتحق بالكلية، وهو الآن يدرس الطب.

حالة "جيري"

كان "جيري" صغيرًا في الحجم عن أي عضو من أعضاء النادي ولكن كان يبدو عليه الاستعداد والقدرة على القيادة، وقد تحدث عنه بعض أعضاء جماعته ورشحوه لتولي أحد المناصب القيادية في الجماعة.

وكان قرارهم الأخير أنه: "سوف يصبح جيري من أعظم رؤساء الجماعات في الفصل الدراسي التالي، ولكنه الآن أقرب ما يكون إلى الصبي الصغير حتى يتولى زمام المسئولية".

وكان واضحا لقائد الجماعة أن هناك شيئا ما يقلق "جيري".

وقد أتيحت للقائد فرصة غير متوقعة للتحدث مع "جيري"، ومن هذا الحديث اتضح له أن "جيري" ليس متقدما في المدرسة، وأنه يرسب دائما في مادة الحساب، ولكنه مولع بدراسة التاريخ ويحصل دائما على نتائج حسنة فيه، أما باقي المواد الدراسية فقد كانت درجة تحصيله لها متوسطة وقد تسببت مادة الحساب في رسوبه فترتين دراسيتين مما ثبط من عزيمته وجعله يفكر في تزوير عمره ليتمكن من الالتحاق بالبحرية.

وكان ضمن شروط العضوية في النادي الملتحق به "جيري" شروط تقول بضرورة استعداد العضو لمساعدة أي زميل له من الأعضاء ولما كان النادي يسعى جاهدا ليصبح أعضاؤه على مستوى عال من التحصيل الدراسي، لذلك غالبا ما كان يساعد الأعضاء بعضهم بعضا في مواد الدراسة.

وقد اكتشف القائد أن "جيري" يخجل من طلب معونة أو مساعدة أي عضو من الأعضاء، ولكن القائد استطاع أن يقنعه بأنه لا داعي للخجل، ما دام يبذل قصارى جهده للتقدم في مادة الحساب، وقد وافق "جيري" بعد ذلك على أن يساعده القائد دون أن يعلم أحد في ترشيح أحد الزملاء له من المتفوقين في مادة الحساب، وقد عثر القائد على فتى آخر لديه الاستعداد لتقديم هذه المعاونة وتم إعداد إحدى الحجرات في مبنى النادي كمكان يتلقى فيه "جيري" دروسه الخصوصية في الحساب دون أن يعرف أي عضو آخر من أعضاء النادي بهذه الدروس الخاصة.

ونجح "جيري" في امتحان الفترة التي أعقبت هذه الدروس والتحق بمدرسة صيفية حتى يتمكن من بلوغ المستوى المطلوب في هذه المادة، وقد نجح في هذا كذلك وانتخب في الخريف رئيسا لناديه، وأصبح بعد ذلك رئيسا لمجلس الإدارة المشترك للأندية، فمنذ أن استطاع "جيري" التغلب على صعوبته في مادة الحساب أخذ في النمو بكل سرعة وتقدم، وبعد تخرجه في المدرسة الثانوية أمكن له الالتحاق بالكلية.

وهذا المثال السابق يوضح نوعا من أبسط أنواع التوجيه، ولكنه رغم بساطته فهو ذو فائدة كبيرة للفتيان والفتيات، فالعلاقة الوطيدة التي ربطت قائد الجماعة السابقة بأعضائها مكنته من معرفة آراء أعضاء الجماعة واتجاهاتهم بالنسبة لـ "جيري"، كما أنها أظهرت للقائد أسبابا غير أساسية بالنسبة لمشكلة "جيري" الخاصة، ثم مكنته بعد ذلك علاقة الصداقة التي كانت تربطه بـ "جيري" من اكتشاف الخيوط الأولى لمشكلته، والتي على أساسها استطاع معرفة الأسباب الحقيقية لها، واستطاع تقديم المساعدة المطلوبة.

حالة "بيت"

كان "بيت" فتى نحيلا يبلغ طوله ست أقدام، لذلك كان يبدو عليه دائما الحرج في حركاته، ورغم ذلك فقد كان بطلا من أبطال الجري، وكان أيضا خجولا، لذلك فقد دهش رائد النادي، وكذلك المشرف العام على جميع الأندية، حينما انتخب "بيت" رئيسا لمجلس الإدارة المشترك للأندية، ولم يجد المشرف العام تفسيرا لذلك، وأصيب بقلق شديد وخوف من هذا الموقف نظرا لأن مجلس الإدارة يعتبر بمثابة العمود الفقري بالنسبة لمؤسسة أندية المراهقين. وقد كانت الصعوبة الشديدة التي يعانيها "بيت" في القراءة

تثير تساؤلا عن مستوى الذكاء الذي يتمتع به، فحيثما كان يطلب منه أن يقرأ أي شيء، كان صديقه الجالس بجواره يعاونه على النطق.

ومضت عدة أسابيع لم يستطع "بيت" خلالها أن ينظم مجلس الإدارة، واستطاع رائد المجلس أن يوجد علاقة صداقة وطيدة مع "بيت" وبدأ في مساعدته عن طريق إرشاده إلى بعض القواعد والإجراءات البرلمانية البسيطة التي تتبع في الاجتماعات، وبعد عدة شهور أمكن له أن يتقدم في عملية رياسته للجلسات، ورغم ذلك فلم يتمكن المجلس من الوصول إلى أي قرار أو القيام بأي عمل طيلة هذه المدة، ولم يبد على المندوبين أعضاء المجلس أن لديهم أية موضوعات ذات بال يُمكن مناقشتها.

واتصلت أم "بيت" بالنادي تليفونيا لتعبر عن امتنانها لكل ما كان يناله ابنها من رعاية، وأوضحت أن "بيت" يعاني من صعوبة تفوقه في القراءة وهو يعالج منها تحت إشراف أحد المتخصصين وأنه يحاول الالتحاق بالكلية. وفي نهاية الفترة الدراسية ظهر واضحا أن "بيت" قد أحرز تقدما ملحوظا، وأخذت الموضوعات التي كانت ترد للمجلس تزداد في أهميتها ولما كان "بيت" رئيسا لمجلس إدارة يمثل ١٥ ناديا، فقد لزم الأمر أن يحضر اجتماع الولاية الخاصة بمجالس إدارة أندية الصبيان. وقد حضر معه هذا الاجتماع رائد ناديه، ولم يبد على "بيت" الخجل في أية لحظة، بل أنه قدم عدة أفكار مفيدة وبناءة أثناء الاجتماعات.

وحينما أنهى "بيت" المرحلة الثانوية، قبل في الكلية وكان يقيم في منزله أثناء التحاقه بالكلية وحافظ على اهتمامه بأندية الصبيان، حتى أنه عمل لمدة فترتين بنجاح عظيم كرائد لناديه، وكان شقيقه الصغير يتولى رياسة النادي.

وهناك شيء مثير للاهتمام يلقي بعض الضوء على هذه القصص فقد حدث أن مجموعة من الفتيان والفتيات بينهم بعض أعضاء مجلس الإدارة كانوا يتحدثون إلى الرائد عن أعمال المجلس فقالوا له: "لقد كنا نعلم سلفا أن المجلس ليس بمستطيع الوصول إلى أي شيء جدي و"بيت" رئيس له، ولكنه شخص طيب وهو محتاج إلى أن يكون رئيسا".

وهذا نموذج حي وجميل يمثل كيف يُمكن للمراهقين أن يساعد بعضهم بعضا في المؤسسة التي تتيح لهم الحرية الكاملة ليحكموا أنفسهم بأنفسهم. لقد كانوا مستعدين للتضحية بمؤسستهم في سبيل مساعدة فتى اتضح لهم أنه يستحق ويحتاج إلى هذه المساعدة.

ربما يحدث في المؤسسات التي يديرها الكبار أن يقوم الصغار بتوجيه من الكبار بانتخاب شخص يُمكن أن يقود المجلس بطريقة أفضل، ولكن الصغار في المثل السابق كانوا يعلمون تمام العلم ماذا يعملون، ولماذا يعملون، ومدى الأهمية التي تترتب على عملهم، أنهم كانوا الموجهين الحقيقيين في هذه الحالة، أما المشرف العام على الأندية فقد كان موجها غير مباشر فقط.

إن التجارب والخبرات المماثلة لما سبق عرضه والتي تشمل البسيط والمعقد منها، دائما تصادف الكبار الذين حباهم الله البصيرة التي ترى، والوعي الذي يدرك ويحس.

إن الحكمة والتروي والرغبة في بذل الوقت في سبيل الصغار ربما تؤدي إلى تغيير حقيقي في حياتهم، لأنه في معظم الحالات، يكون مجرد فقد الثقة بالنفس، لسبب من الأسباب أساسا جذريا لكثير من مشكلاتهم.

الفصل الخامس عشر

القرارات التي يتخذها القائد

يستوجب عمل القائد الراشد اتخاذ قرارات تتعلق بنشاط الجماعة أو تتعلق بمشكلات أو اتجاهات الفتى أو الفتاة الخاصة، ولكل عملية من العمليات قرار خاص بها يتوقف على اتجاهات القائد بالنسبة لكل موقف غير عادي. فمثلا: ماذا يجب عمله لفتاة أو فتى يسبب إشكالا بالنسبة لباقي أعضاء النادي؟ وما هو الحل بالنسبة للمواقف التي تستدعي التدخل للمحافظة على النظام؟ وماذا يجب عمله عندما يتعارض حكم القائد مع حكم المشرف، وإلى أي حد يُمكن أن نسمح للجماعة بأن تجرب؟ وماذا يُمكن عمله عندما ينوي أحد الأندية القيام بعمل تترتب عليه آثار خطيرة بالنسبة للمؤسسة المسئولة والتي يتبعها النادي؟ وما هو العمل حينما يرتكب القائد وهو الرائد في هذه الحالة، خطأ ما؟ وماذا يجب أن نفعل حينما يفشل أعضاء ناد في محاولة الوصول إلى أهدافهم التي وضعوها؟

وسنستعرض فيما يلي عدة مواقف قام الرائد فيها باتخاذ قرار من القرارات التي سبق سردها.

الموقف الأول

جماعة من ثلاثين فتاة خليط من طالبات المرحلة الثانوية والمرحلة الإعدادية، كانت لهن رائدة لناديهن من بين مدرساتهن، وكانت الرائدة شخصية ممتازة ومحبوبة ومحترمة من جميع الزميلات كما كانت رائدة رائعة.

وقد حاولت جاهدة خلق جو من الحرية الكاملة في جماعتها، وقد لاحظت أن مستوى النظام في اجتماعات النادي بدأ في التحسن، وأن الإجراءات البرلمانية بدأت تتبعها الجماعة بدقة وأصبحت "عضوات" الجماعة أكثر أدبا بعضهن مع بعض، إذا ما قيس ذلك بما عليه الحال في سائر النوادي التي من نفس النوع.

ولقد لاحظت أن هناك من جانب "العضوات" ميلا لا شعوريا لإرضاء مدرستهن. وأدركت المدرسة أن هذه الظاهرة ليس مرجعها إلى خطأ في اتجاهاتها نحوهن بل هو انطباع لاتجاهاتهن في المدرسة نحوها، لا يستطعن التخلص منه في النادي. ولقد حاولت جهدها مواجهة هذا الموقف، وبعد وقت ليس بالقليل استطاعت أن تنجح أكثر مما كانت تتوقع.

وفي إحدى الأمسيات اضطرت أن تتغيب عن الجماعة، ولذلك قامت مديرة الأندية بالمؤسسة، بالمرور على الجماعة أثناء اجتماعها، ولكنها لم تجد هناك اجتماعات وكانت "العضوات" يضحكن ويتحدثن على هيئة ثلل صغيرة. كما كانت بعض "العضوات" يتسلين بأداء طائفة من الألعاب الخفيفة.

وحينما فتحت المديرة عليهن الباب سكنت الضجة والتزمت كل مكانها في هدوء، وشاع في جو المكان شعور بالذنب على الرغم من أنهن لم يكن يفعلن شيئًا مُخالفًا؛ إذ أن لكل جماعة الحق في القيام بنشاط اجتماعي على هيئة حفل سمر مرة في الشهر، ولم تكن هذه الجماعة لتهتم بإقامة مثل هذه الحفلات.

وحينما أدركت المديرة الحرج الذي تشعر به "العضوات"، حاولت تخفيف الموقف بالنسبة لهن، فقالت: "مساء الخير، يبدو أنكن تقمن اليوم حفلة السمر الشهرية وتستمتعن بها، كم أنا سعيدة برؤية ذلك، لقد مررت عليكن لأرى إذا ما كنتن في حاجة لأية معاونة لاسيما وقد عرفت أن رائدتكن غائبة الليلة"، وقد وجدت المديرة صعوبة كبيرة لتمنع نفسها من الضحك، وشعرت "العضوات" براحة كبيرة من موقف المديرة.

الموقف الثاني

كانت "سالي تتمتع بشعر جميل فاحم وعينين سوداوين، وكانت تبدو من ناحية الشكل أكبر من سنها، وكانت ترتدي ملابس جذابة وتنفق عن سعة أكثر من معظم "عضوات" الجماعة، لقد كانت الطفلة الوحيدة في أسرتها. وكان لدى "سالي" شغف وحب لناديها، كما كان لديها العديد من الأفكار الخاصة ببرامج النادي والحفلات الاجتماعية، ووسائل جمع المال لصالح مشروعات الخدمة العامة. وكانت "سالي" تصر على أن تتبنى "عضوات" النادي كل أفكارها ومشروعاتها، وكان معظم "العضوات" يوافقن على هذه المشروعات ضجرا وبرما بإلحاحها. ولكن كان يحدث بمجرد أن يتم قبول مشروعاتها وأفكارها بواسطة الجماعة أن تفقد "سالي" الاهتمام بهذه الأفكار والمشروعات حتى لو انتخبت هي مقررة للجنة المسئولة عن تنفيذ البرامج. وبناء عليه كانت تخلق مشكلات جعلت رئيسة النادي تأتي باكية للرائدة تطلب منها المشورة فيما يجب أن تفعله حيال تصرفات "سالي" وكانت الرائدة على علم بما كان يحدث، وشعرت بالقلق نتيجة لعدم الاستقرار الذي بدا واضحا في الجماعة، وقد سببت "سالي" كذلك مشكلة للقائدة إذ كانت دائما تبحث عنها قبل اجتماعات الجماعة أو بعدها تدفعها الرغبة في أن

تقص عليها نشاطها الاجتماعي وخدماتها التي تقوم بها في المجتمع، وحدث في إحدى المناسبات أن اتصلت "سالي" بالرائدة تليفونيا وأخذت تحدثها زهاء نصف ساعة عن خبراتها كقائدة جماعة في أحد المعسكرات الصيفية. وقد لاحظ أعضاء النادي اهتمام الرائدة "بسالي" وظنوا أنها تنحاز لصفها، ونتيجة لذلك نظمت الرائدة اجتماعات لجميع رؤساء لجان النشاط بالنادي لمناقشة الموقف معهن، وقد أوضحت لهن الرائدة أن "سالي" هي الطفلة الوحيدة في أسرتها، ولذلك فهي تجد من السهل عليها أن تتصل بالراشدين عن أن تتصل بمن هن في مثل سنها. ولكن رئيسة النادي قالت: "ربما يكون هذا صحيحا ولكني أن الأخرى الابنة الوحيدة في أسرتي، ووالداي يكبران في السن عن أولياء أمور زميلاتي، ولكني رغم ذلك لا أفعل ما تفعله سالي". وقد اقترحت الرائدة أن تقوم بعض الفتيات بدعوة "سالي" إلى منازلهن، وربما يحسن أن توجه إليها أكثر من دعوة في وقت واحد، ولكن الفتيات قلن أنهن لا يحببنها وكذلك الفتيان في المدرسة فالكل يعتقد أنها شاذة. لذلك لم يصل الاجتماع إلى حل بالنسبة لمشكلة "سالي" بل اقترحت المجتمعات على رئيسة الجماعة أن تكون أكثر حزما في إدارة الاجتماعات وألا تسمح "لسالي" بمناقشة كل موضوع إلا مرة واحدة حتى تتاح الفرصة لباقي "عضوات" الجماعة للتعبير عن آرائهن، وقد نفذت الرئيسة هذه الاقتراحات وترتب على هذا زيادة اهتمام "العضوات" باجتماعات الجماعة. وقد دعت الرائدة "سالي" لتناول الغداء معها، على أمل أن يتيح ذلك فرصة إلقاء الضوء الذي قد يساعدها على معرفة أسباب سلوك وتصرفات "سالي" ولكن "سالي بدأت تتفاخر أمام زميلاتها بهذا الميعاد الذي بينها وبين الرائدة، وربما كان هذا يؤدي إلى إساءة موقف الرائدة بالنسبة "لعضوات" الجماعة، لولا أنها

كانت قد أخبرت مندوبات الجماعة من قبل بخطتها حيال "سالي". وكان واضحا أن "سالي" تحتاج إلى صداقة مخلصة من واحدة أو اثنتين من الفتيات أو الفتيان، لأنه ما لم يكن هناك فهم وتعاون صادق من جانب "عضوات" الجماعة فمن الصعب عمل شيء. ولكن "عضوات" النادي ازددن إهمالا لأفكار ومقترحات "سالي" وأصبحت لا تستطيع بعد ذلك فرض رأيها على أحد. وأخيرا استقالت من الجماعة ولم تقدم لها بعد ذلك أية معونة، وعادت الجماعة إلى حالتها الأولى من الشعور بالانسجام.

الموقف الثالث

كانت "ايرين" تتمتع بلون بشرة تحسد عليه، وبوجه جميل جذاب، ولكنها كانت مفرطة الوزن بشكل يثير الشفقة، وكانت تصر على أن تقذف بحذائها في وسط الحجرة كلما كانت هناك مسألة هامة تناقش، مما كان يثير ضحك باقي أعضاء الجماعة، وذلك يسبب الحرج غالبا، ولكن الضحك كان يشجعها على أن تقوم بمثل هذا العمل مرات ومرات. وقد تغاضت رائدة النادي عن هذا التصرف عدة اجتماعات محاولة أن تقرر على مهل ماذا يجب أن تفعل، ولما تحدثت إلى واحدة أو أكثر من قائدات الجماعة، قلن لها أنهن يحببن "ايرين" ولكن الفتيان يسخرون من سمنتها، والفتيات يرفضن الخروج معها لأن بعض الفتيان يتهكمون عليها، وبعضهم يصفرون في وجهها أو ينادونها يا "سمينة". وبهذه المعلومات انتهزت الرائدة أول اجتماع للجماعة تغيبت فيه "ايرين" واقترحت على أعضاء الجماعة أنه ربما يرجع سلوكها هذا إلى محاولة لفت النظر بقذفها لحذائها، وأبدت أنه ربما تكون "ايرين" في حالة إلى معاونة، وقالت لهم أنهم إذا استطاعوا أن يبذلوا جهدا خاصا ليصبحوا أصدقاء لها ولا يضحكون منها عندما تقذف بحذائها، فقد

يتحسن الموقف، وقد أوضحت لهم أنه ربما تكون "ايرين" مصابة باضطراب في النمو الجسمي يسبب لها هذه الزيادة في الوزن. وقد فهمت "العضوات" ذلك وتعاون مع الرائدة، لأنهن كن يحببن "ايرين" وفي الحال توقفت "ايرين" عن قذف حذائها، واتصلت الرائدة بعد ذلك بوالدة "ايرين" وأخبرتها بما حدث، واقترحت عليها ضرورة عرضها على طبيب، ليضع لها نظاما للتغذية، وحينما ذهبت الأم بابنتها للطبيب اكتشف الطبيب أن زيادة وزنها ترجع إلى اختلال في الغدد، وقد أمكن معالجة ذلك بالتدريج، وبطبيعة الحال استطاعت "ايرين" أن تكتسب صداقة كل من تحتاج إلى صداقتهم من فتيان أو فتيات على السواء. وبعد مضي عام انتخبت "ايرين" رئيسة للنادي.

الموقف الرابع

أثير موضوع التدخين في مناقشة أثناء اجتماع مجلس الإدارة المشترك للأندية، وقد تمت الموافقة على التوصية لدى الأندية بمراعاة عدم التدخين أثناء الاجتماعات لأن التدخين يعطل العمل، على أن يترك لكل جماعة الحرية في القرار الخاص بالسماح للتدخين للأعضاء أثناء الاجتماعات أو عدم السماح به. وحدث أن إحدى الجماعات التي لا يدخن أعضاؤها أثناء الاجتماعات، اعتادت أن تجتمع في حجرة تسبقها إليها باستمرار جماعة أخرى اعتاد أعضاؤها التدخين، وقد قدمت رئيسة الجماعة الأولى شكوى إلى المديرة العامة للأندية، توضح فيها أن هواء الحجرة يصبح فاسدا، كما أن أعقاب السجاير تملأ أرجاء المكان، وقد طالبت في شكواها بضرورة قيام إجراء سريع حيال هذه الحالة.

وكان على المديرة أن تقرر إما أن تأخذ الأمر على عاتقها، وإما أن تحيله إلى مجلس إدارة الأندية لدراسته، وقد فضلت الاتجاه الأخير، وأخطرت بذلك رئيس مجلس الإدارة، الذي قام بعقد اجتماع للمجلس، وفيه شرحت المديرة الموقف بدون إحراج لأي من الجماعتين، وطالبت المجلس باتخاذ الإجراء المناسب.

وقد اتخذ المجلس قرارا بأن أي ناد يدخن أعضاؤه يجب أن يحضر معه "منافض" للسجاير، ويجب عليه تنظيفها بعد انتهاء الاجتماع وجمعها من فوق الموائد. كما يجب على الأعضاء قبل مغادرة الحجرة فتح النوافذ كافة لتجديد الهواء واقترح المجلس أن تقوم المديرة بإخطار جميع الأندية بهذا القرار، ومنحها سلطة منع التدخين في أي ناد لا يلتزم بهذه القواعد.

ومن العجيب أن كل الأندية – ما عدا ناديين – امتنعت عن التدخين في الحال، وقد امتنع أحد هذين الناديين عن التدخين بعد أسابيع قليلة، والتزم النادي الآخر بالقواعد التي قررها مجلس الإدارة، وهذا طبعا لا يعني أن كل الأعضاء امتنعوا عن التدخين قبل الاجتماعات، ولكن نسبة التدخين بينهم قد قلت على أية حال.

وقد اعترف بعض الأعضاء أنهم لا يهتمون حقيقة بالتدخين، ولكن كل ما في الأمر أنه كان محرما عليهم التدخين في منازلهم، لذلك كانوا يدخنون حينما يكونون خارجها، وقد اتضح لهم هذا السبب أخيرا.

كان على إحدى الرائدات مسئولية مصاحبة خمسة عشر طالبا وطالبة من مرحلة التعليم لم تتح لهم فرصة البعد عن منازلهم والمعيشة في فندق بمفردهم، لذلك فقد دعت الأعضاء إلى العشاء معها قبل ميعاد سفرهم

للمؤتمر بأسبوع. وشرحت لهم باختصار أهداف المؤتمر ومسئولياتهم فيه، وأمام جماعاتهم التي كانت تمول الرحلة، وقد شرحت لهم أن الفندق يتوقع منهم سلوكا مهذبا ومحافظة على محتوياته، وأخبرتهم كذلك أنه أثناء وجودها في حجرتها بالفندق ستترك بابها مفتوحا لأي واحد منهم ليأتي إليها إذا رغب في ذلك.

وكانت اللجنة التحضيرية المشتركة للمؤتمر والمكونة من الكبار والصغار قد قررت– تنظيما للمؤتمر– أن على جميع أعضائه ضرورة الوجود في حجراتهم عند منتصف الليل من كل مساء. وقد استغرق المؤتمر يومين ونصف يوم من الاجتماعات والمناقشات وحدث في الليلة الأولى أن آوى الأعضاء الخمسة عشر المسئولة عنهم الرائدة إلى فراشهم في الساعة ١٠,٣٠ مساءً، ولكن من خبرتها السابقة بالمؤتمرات، كانت الرائدة تعرف أنه في الليلة الثانية من المؤتمر تصبح دائما أعصاب الأعضاء مرهقة، فيصعب عليهم النوم حتى بعد منتصف الليل، لذلك أخبرت الرائدة الأعضاء بأن حجرتها ستكون مفتوحة لاستقبالهم عند منتصف الليل بعد عودتهم من حفلة الترفيه، ولم تكن الرائدة مستعدة لمواجهة ما حدث بعد ذلك؛ لأنه بلغ عدد من حضر إلى الحجرة من الأعضاء في وقت ما حوالي خمسة وسبعين فتى وفتاة، وقد حضر أعضاء جماعتها للحجرة حوالي الساعة ١١ مساء. ومن حسن الحظ كانت تحتفظ ببعض التفاح والكعك لأعضاء جماعتها ليتناولوه في وقت فراغهم، وقد ازدحمت الحجرة بالأعضاء، ولكن كل ما كان يؤده الأعضاء هو الجلوس بعضهم مع بعض على الأرض وقد خلعوا أحذيتهم، وقد ذهب القليلون منهم بعد برهة لينـاموا، وكان لزاما على الرائدة أن تجعلهم يلتزمون الهدوء وهم يسيرون في ردهات الفندق حينما يحضرون إلى حجرتها

أو يذهبون عنها إلى حجراتهم، ولقد شعرت أنها كرجل البوليس ولكن كان يجب عليها أن تفعل ذلك، وكان التعاون مثمرا وناجحا، وحينما كانوا يتركون حجرتها كانوا يقولون لها: "شكرا جزيلا لك" وأخيرا، وحوالي الساعة الثانية صباحا، كان لا يزال في حجرتها حوالي ٥٠ عضوا أو يزيدون، لذلك قالت لهم: "من المستحسن أن ننهي جلستنا هذه الآن، فقد سعدنا جميعا بوقت طيب معا، ولقد تجاوزت أنا القواعد المعمول بها في المؤتمر حينما سمحت لكم بالبقاء حتى هذا الوقت معي، ولكني شعرت بحاجتكم إلى مثل هذا الاجتماع العائلي الذي عقدناه، لذلك فأنا أتوقع منكم الآن أن تذهبوا في هدوء إلى حجراتكم لتناموا بأسرع وقت ممكن".

وقد لبى الأعضاء رغبة الرائدة، وذهبوا إلى حجراتهم، واستمر الهمس في حجرات أعضاء جماعاتها حوالي نصف ساعة، ثم ران الصمت والهدوء على المكان.

وفي صباح اليوم الثاني، وفي تمام الساعة التاسعة، وهو موعد بدء اجتماع المؤتمر، كان جميع أعضاء جماعتها حاضرين في الميعاد بالضبط، وكذلك معظم باقي أعضاء الجماعات.

وبعد مضي أسبوع أو أسبوعين على المؤتمر كانت تتحدث الرائدة إلى أحد الحاضرين من الفتيان حول المؤتمر، وأخذت تعبر له عن اغتباطها وتقديرها لروح التعاون التي بدت من كل الفتيان والفتيات أعضاء المؤتمر. فقال لها الفتى: "لقد كنت رائعة، لقد دعوتنا إلى اجتماع واحد طيلة مدة المؤتمر وكنا نعلم أن هذا الاجتماع مهم وأنت جعلته مفاجأة، كما أن كل فرد منا قدرك حينما تركتنا نحضر إلى حجرتك، أن كثيرا من الأعضاء الآخرين

كانوا يتسربون إلى خارج الفندق بعد أن ينام روادهم ويتجولون في الشوارع نظرا لعدم قدرتهم على النوم، ولقد تحدثت أنا شخصيا إلى بعض هؤلاء الأعضاء الذين لم يكونوا يعودون إلى الفندق قبل الساعة الثالثة أو الرابعة صباحا". ثم سكت الفتى لعدة ثوان ثم استطرد قائلا: "ربما لا تعرفين أن أعضاء مجموعتنا عقدوا اجتماعا بعد ظهر يوم السبت، قبل عودتك من آخر اجتماع للمؤتمر، وقد اتفقنا جميعا على أنك كنت عظيمة ورائعة، ويجب أن نعاونك، وكنا نعلم أن عليك الاحتفاظ بهدوء وسكون الأعضاء، إذا ما حضروا إلى حجرتك، لذلك فقد أخبرنا كل الأعضاء الذين دعوناهم بضرورة التزامهم الهدوء وإطاعة أوامرك، إذا ما رغبوا في الحضور إلى حجرتك، وإلا فسوف نطردهم إلى الخارج".

أن هذا الموقف السابق يبرز نوعا من القرارات التي اتخذها الرائد نتيجة لحكمه المستقل، وتقديره الذاتي للأمور، كذلك يبرز الموقف مدى استعداد المراهقين لتقبل السلطة حينما تمارس بطريقة يفهمها الصغار ويقتنعون بها.

وكذلك فهذا الموقف يبرز استعداد الفتيان والفتيات الطيب لتقدير الأمور ورغبتهم الشديدة في الوقوف إلى جانب رائدتهم حينما يستدعى الأمر ذلك.

الموقف الخامس

كانت نتيجة أحد الاستفتاءات الضابطة التي تضمنت المسائل الخمس العامة التي تهم المراهقين أن اختارت إحدى الجماعات "العلاقة بين الأجناس" كأساس لسلسلة من البرامج المتنوعة، وكانت نسبة ٧٥ في المائة من مجموع أعضاء هذه الجماعة من أصل أجنبي، وقد أثيرت في هذه

الجماعة عدة مناقشات حية. وذات مساء جاء الرائد مهرولا إلى مكتب مديرة الأندية وقال لها: "أن أعضاء جماعتي يتأهبون لدعوة اثنين من الأولاد الأجانب للالتحاق بجماعتهم، ويجب عليك أن تسرعي، اذهبي وتكلمي معهم وأوقفيهم". وقد حدث أن حضر رئيس النادي المنتخب، وقام بمناقشة هذا الموضوع من شتى زواياه مع مديرة الأندية، التي قامت بدورها بمناقشة الموضوع مع الرائد، ولكن وجهات نظرهما لم تتلاق، ورغم ذلك فقد هرعت المديرة إلى مكان اجتماع الجماعة واستأذنت رئيس الجماعة في الكلام، الذي رحب بها وقال: "بكل تأكيد، تحدثي في كل ما يعن لك". وفعلا قامت المديرة بإخطار الجماعة بعلمها بتفكيرهم في دعوة اثنين من الفتيان الأجانب للالتحاق بالجماعة، وتساءلت عما إذا كان أعضاء الجماعة، قد أخذوا في الاعتبار ما يُمكن أن يحدث للفتيان الأجانب إذا لم يقابلوا قبولا حسنا وكاملا من كل أعضاء الجماعة، وقد جاءها الرد منهم، بأنهم قد ناقشوا هذا الأمر وقرروا أنه ما لم يتقبل كل عضو بمفرده فكرة انضمامهم للجماعة وتمتعهم على قدم المساواة بكل نواحي النشاط الموجودة في الجماعة، فإنهم لن يقوموا بدعوة الفتيان الأجانب.

ثم تساءلت المديرة بعد ذلك عما إذا كانوا قد أخذوا في الاعتبار ما يُمكن حدوثه للفتيان الأجانب إذا ما حاول بعض أعضاء الأندية الأخرى التحرش بهم، واتضح للمديرة أن أعضاء الجماعة لم يعملوا حسابا لهذا الاحتمال، لذلك اقترحت عليهم تأجيل البت في هذا الموضوع حتى تتم دراسة جميع الاحتمالات، وطلبت من رئيس الجماعة أن يكتب لها تقريرا عن نتيجة مناقشة هذه المسألة.

وقد كتب رئيس الجماعة إليها أخيرا أن الجماعة قررت دعوة الفتيان الأجانب في الاجتماع القادم. وقررت الجماعة أن توضح لهم بصراحة، أنه بينما ستقبلهم هي في عضويتها، فربما يقاوم بعض الفتيات والفتيان من الجماعات الأخرى هذه العضوية واقترحوا أن يأخذوا رأي الفتيان الأجانب فيما إذا كان باستطاعتهم التعرض لهذه المخاطرة، وكان يبدو أن اتجاه الجماعة هذا معقول، لذلك لم تقم أية اعتراضات ضده.

وكان الفتيان الأجنبيان من المبرزين في المدرسة: أحدهما بطل في ألعاب القوى، والآخر عضو في حكومة المدرسة.

وقد حضر الفتيان الأجنبيان الاجتماع التالي للجماعة، وحضرت هذا الاجتماع مديرة الأندية بإذن من رئيس الجماعة، وقد كانت روح التعاطف والأسلوب المحنك الذي قاد به رئيس الجماعة المناقشة يماثل إلى حد كبير أسلوب الدبلوماسي ذي الخبرة الواسعة، عند تناوله لنقطة من النقاط الحساسة، وكانت هناك صراحة تامة تسود الاجتماع، وقد قال المتحدث الأكثر لباقة من بين الأجنبيين: "لقد كنا ملونين طيلة حياتنا واعتدنا الإهانات، ونحن متأكدان من أن أمامنا وقتا طويلا لنعامل بالأسلوب الذي نود أن نعامل به، فإذا ما وافقتم على انضمامنا لجماعتكم، فإنه يسعدنا الانضمام إليها، ولن نضار من أي شيء يحدث لنا".

وقد كان الفتيان الأجنبيان ينضمان بحرية أثناء أمسية حفلات الترفيه إلى الجماعات والشلل الموجودة بالحفل، للحديث ولتناول المرطبات، وانتهى الأمر بأن انضم إلى الجماعة ثلاثة فتيات أجنبيات وآخرون، انسحب منهم واحد بعد فترة وجيزة نظرا لعدم اهتمامه، أما الفتيان الأجنبيان الأولان فقد بقيا

وانسجما مع الجماعة واشتركا في شتى نواحي النشاط، وكان لقرار هذه الجماعة السابقة أثران بعيدان، فقد أثارت إحدى جماعات أندية الفتيان هذه المسألة ووضعتها تحت أنظار مجلس الإدارة المشترك للنادي والمكون من الجنسين (الفتيان والفتيات) إذ خشيت هذه الجماعة أن تضطر إلى القيام بنفس العمل وهي لا ترغب فيه، وقد استمر مجلس الإدارة يناقش هذا الموضوع زهاء الساعتين، واستقر الرأي أخيرا على أن أي جماعة من جماعات النادي لها الحق في ضم أعضاء من أبناء الأجانب إليها إذا رغبوا في ذلك، ولكن لا يصح أن يصبح هذا قاعدة تلتزم بها باقي الجماعات التي لا ترغب في ذلك، والأثر الثاني الذي خلفه قرار الجماعة بضم الأجانب إليها وما ترتب عليه من قرار مجلس إدارة النادي، أن لفت هذا العمل وهذا القرار أنظار أعضاء مجلس المديرين المسئولين عن إدارة هذه النوادي، واقترح المجلس أن من الحكمة محاولة المديرة التأثير في باقي الجماعات حتى لا تقبل عضوية الأجانب بها، ولم يكن اعتراض هؤلاء المديرين على عضوية الأجانب يرجع إلى أساس معين، ولكن لأن المجتمع الذي كانت تعتمد عليه هذه الأندية في التمويل لم يكن مستعدا لمثل هذه المساواة.

وكان المديرون قد وصلوا فيما سبق إلى هذا الرأي بسبب حادث مؤسف، لذلك أصدر المجلس تعليمات إلى المديرة لكي تخطر الفتيان الأجانب ومجلس إدارة أندية الصبيان بأنه غير مسموح لهم بعد ذلك أن يصبحوا أعضاء عاملين في نوادي الشباب، وكان على المديرة أن تشرح لهم أنه في الوقت الحالي، لابد من إتباع هذه السياسة، نظرا لضغط المجتمع الخارجي وعدم تقبله للفكرة. وقد اجتمع مجلس إدارة أندية الصبيان مرة أخرى، وأوضحت المديرة فيه وجهة نظر مجلس المديرين، وخلال هذا

الاجتماع الذي استغرق ساعتين، ناقش كل مندوبي الأندية المسألة من جميع زواياها، وجاءت آراء الأغلبية مرة ثانية توافق على أن أية جماعة لها الحق في السماح للفتيان الأجانب بالانضمام إليها إذا رغبت في ذلك، كما أن أية جماعة لها الحرية في أن ترفض القيام بمثل هذا الإجراء، وقد قالوا: "على أية حال، نحن نحاول أن تكون متدينين حقيقيين، فهناك إله واحد هو الذي خلقنا جميعا، ونحن نعتقد أن أي شخص يصلح أن يكون عضوا نافعا في أنديتنا يجب أن نسمح له بالانضمام لجماعاتنا؟ وقد أصدروا بعد ذلك القرار الآتي مع التعليمات بأن تقوم المديرة بتبليغه إلى مجلس المديرين: "أنها ستكون دائما سياسة أندية الصبيان، في أنه لا يصح أن تتم أية تفرقة بين أعضائها لا بسبب الجنس أو اللون أو العقيدة".

وقد مس هذا القرار قلوب وعقول أعضاء مجلس المديرين، وكذلك أعضاء اللجنتين الذين كان لابد أن يمر عليهم هذا القرار للتصديق عليه. وقد قرروا جميعا تقبل هذا القرار الذي أصدره مجلس إدارة أندية الصبيان، حتى لا يبدو عليهم أنهم يخالفون تعاليم الدين التي على أساسها أصدر الفتيان هذا القرار.

الموقف السادس

كانت هناك مؤسسة تتبعها عدة أندية، مقسمة بالتساوي بين أندية للفتيان وأخرى للفتيات. وكان هذا وضعا مثاليا، لأنه يسمح بالاجتماعات المشتركة والنشاط الاجتماعي المشترك بين الجنسين، في وقت يكون لدى الصبيان والفتيان فيه دافع طبيعي، وأحيانا الرغبة الملحة للاختلاط. وكان يوجد هناك ناديان أحدهما للفتيات والآخر للفتيان، وبكل منهما ٨ أعضاء،

وقد طلب رئيسا هذين الناديين من المشرف السماح لهما بضم الناديين أحدهما للآخر على هيئة ناد واحد مشترك، ورغم أن المشرف كان يشك في نجاح هذه الفكرة إلا أنه سمح لهم بذلك، إذ من الملاحظ أن الفتيان والفتيات يتفقون معا من حيث نوع الأشياء التي تشغل بالهم، ولكن الموضوعات التي يناقشونها وأسلوب المناقشة يبدو مختلفا. فالفتيات يهتممن ببعض الأشياء التي لا يشاركهن فيها الفتيان، وكذلك لدى الفتيان أشياؤهم الخاصة التي تهمهم وحدهم.

وقد أبرز المشرف هذه الحقائق للجماعتين، وجاء الاقتراح بأنه يُمكن للجماعتين أن تنتظما على هيئة جماعة واحدة مشتركة على أساس الاختبار لمدة ستة شهور.

واقترح كذلك أن تبقى الميزانيات منفصلة أثناء فترة التجربة، وأن يحتفظ كل سكرتير من سكرتيري الجماعتين بسجلاتهما منفصلة، وأن ينضم الرائدان الخاصان بالجماعتين ليقدما خدماتهما للجماعة المشتركة الجديدة على أساس التعاون المتبادل بينهما، وقد قبلت كل هذه الاقتراحات بصورة مرضية.

وعندما بدأ الأعضاء في تنفيذ هذا التنظيم الجديد، انتخبوا رئيسين أحدهما فتى، والآخر فتاة، يتولى كل منهما على التوالي رياسة الاجتماعات، وقد انتخبوا كذلك نائبين للرئيس وسكرتيرين: أحدهما للتسجيل، والآخر للمراسلات، وكان نائبا الرئيس من الفتيات، والسكرتيران من الفتيات. وقد أخذ مستوى نمو الجماعة الجديدة خلال فترة التجربة يتأرجح بين الصعود والهبوط، ولكن نسبة العضوية ازدادت.

وعند انتهاء فترة التجربة عقد اجتماع للمناقشة، وقد قرر الأعضاء في هذا الاجتماع أنه بالرغم من عدم نجاح التجربة في شتى نواحيها فإنها لم تفشل في بعض النقط، والمواقف الهامة. وقد طالبوا بالسماح لهم بالاستمرار في التجربة على نفس الأسس ستة أشهر أخرى قبل أن يتخذوا قرارهم النهائي، وقد منحت لهم هذه الفرصة الجديدة للتجربة، وكانت تجربة جديرة فعلا بالملاحظة والدراسة.

وقد عقد المشرف عدة اجتماعات مع الرائدين ليتعاون معهما في مساعدة الجماعة على تحقيق النجاح الذي تنشده. وعند انتهاء الستة الأشهر الثانية قررت الجماعة بالإجماع، أن تنقسم إلى جماعتين مرة أخرى، ولكن الصداقة والعلاقة الطيبة بقيتا مستمرتين بين أعضاء الجماعتين، وزاد عدد الاجتماعات المشتركة وحلقات المناقشة عما كان عليه قبل تجربة الاختلاط. كما زاد التعاون بين الجماعتين فيما يتعلق بالنشاط الاجتماعي ومشروعات الخدمة العامة.

وحدث أثناء السنة التي أجريت فيها هذه التجربة أن طلبت بعض الأندية الأخرى محاول تطبيقها أيضا، ولكن المشرف رفض السماح لها بذلك حتى تظهر النتيجة النهائية للتجربة القائمة.

الموقف السابع

تطوع ثمانية عشر ناديًا للصبيان بأن يجمعوا تبرعات بحوالي ١٣٠٠ دولار، لرفعها إلى صندوق المجلس القومي لأندية الصبيان. وهذا الصندوق كان لصالح دعم أندية الشبان المسيحية في أوربا وآسيا، ولإنشاء عدة أندية أخرى بين زنوج الجنوب في الولايات المتحدة، وكان لكل جماعة الحرية في

تحديد المبلغ الذي تنوي جمعه، وكذلك تحديد الوسيلة التي سيتم بها هذا الجمع. ولم يلتفت المدير إلى أن بعض الجماعات ربما تختار طريقة بيع اليانصيب، والتي تعتبر ضد سياسة جمعيات الشبان المسيحية، وفعلا اختار أعضاء إحدى الجماعات هذه الطريقة، وحصلوا على راديو ليعطي جائزة للفائز، وطبعوا تذاكر يانصيب كلفتهم ١٥ دولار، كل ذلك قبل أن يكتشف المدير هذا العمل. ولما كانت سياسة الجمعية واضحة ومحددة فيما يتعلق بهذه المسألة، لذلك كان هذا العمل من قبل الجماعة شيئا لا يُمكن التغاضي عنه، وكان واضحا أمام المدير أنه لابد من الوصول مع هذه الجماعة إلى حل وسط لهذه المسألة، نظرا لما تكبدته من تكاليف في طبع تذاكر اليانصيب وشراء جهاز الراديو.

وقد شرح المدير للنادي سياسة الجمعية واعتذر عن تقصيره في عدم تبصيرهم سلفا بهذه الاتجاهات، وأخبرهم بأن عليهم تقرير ما يجب أن يفعلوه الآن، ولكن بشرط ألا يظهر اسم الجمعية على تذاكر اليانصيب.

وقد اعتذر أعضاء النادي ولكنهم أوضحوا أنهم لم يدركوا أنهم يقومون بعمل مخالف، حيث أنه تركت لهم الحرية في اختيار الوسيلة التي يستطيعون بها جمع التبرعات. ولما كان هذا المنطق صحيحا، فقد قرروا أن يستمروا في تنفيذ عملهم هذا، ولكنهم اتفقوا مع المطبعة أن تطمس باللون الأسود اسم الجمعية من على تذاكر اليانصيب.

وضمانا لعدم قيام إحدى الجماعات الأخرى بنفس هذا العمل المخالف، عقد اجتماع مجلس إدارة للأندية، وطلبت المديرة الإذن من رئيس المجلس للتحدث إلى أعضائه حول هذه المسألة، وفي الحال تساءل الأعضاء عما هو الخطأ في بيع "تذاكر يانصيب" وقد أجابت المديرة على

هذا التساؤل بقولها: "أنه ربما لا يكون هناك أي عيب يشوب هذه المسألة، غير أنها صورة من صور المقامرة، ومن أجل ذلك تشعر الجمعية أنه لا يحق لها أن تشجع الصغار على القيام بعمل شيء ربما يسبب لهم مشكلات مستقبلة".

واستطاعت المديرة نتيجة لخبرتها السابقة كباحثة اجتماعية متطوعة في محكمة من المحاكم التي تبحث في العلاقات الأسرية، أن تضرب أمثلة تؤيد بها وجهة نظر الجمعية فيما يتعلق بالمقامرة وضررها. فقد قالت أن أكثر من نصف حالات السيدات التي كانت تتولى دراستها واللائي كن يشتكين من ضيق ذات اليد وعدم وجود ما يكفي لسد احتياجاتهن، كن يؤكدن أن مرجع ذلك هو أن أزواجهن يراهنون في سباق الخيل بالنقود المخصصة لطعام وملابس الأطفال، كما أن كثيرا من الرجال كانوا يحضرون إلى المحكمة ليستشيروا الأخصائية في أفضل وسيلة لمنع زوجاتهم من صرف مصروف المنزل على لعبة "البنجو" (وهي لعبة منزلية من ألعاب القمار).

وحينما كانت المديرة تتحدث، كان أعضاء المجلس يتابعونها باهتمام بالغ وجد وهدوء، واختتمت المديرة كلمتها، بأن أخبرتهم بأنه نظرا لسياسة الجمعية في هذا الشأن، فلن يسمح لأي ناد آخر بجمع تبرعاته وزيادة حصيلتها بهذه الطريقة، وقد اعتذرت للمجلس عن خطئها في عدم توضيح هذه الفكرة للأندية مُنذ البداية.

وبدا على أعضاء المجلس أنهم قد تقبلوا عن اقتناع سياسة الجمعية، وكذلك اعتذار المديرة. وطبعًا كان من الصعب تقرير ما إذا كانت الأغلبية قد وافقت على السياسة أم لا، ولكن لم يكن هناك أي دلالة للاعتراض على تصرف المديرة، كما أنه لم يكن هناك أدنى اعتراض على الجماعة التي كانت

تبيع "تذاكر اليانصيب"، والتي كانت أول جماعة ترفع حصيلة التبرعات التي جمعتها وبلغت ١٠٠ دولار.

الموقف الثامن

كان يوجد داخل إحدى المؤسسات عدة أندية للفتيان، وقد وضعت هذه الأندية عدة قواعد لتنظيم النادي وبرامجه وشروط العضوية بالنسبة للأندية الجديدة، وكان على أية جماعة جديدة أن تتقبل هذه المستويات قبل أن يسمح لها بتكوين ناد والانضمام إلى المؤسسة.

وحدث أن حضر عدة فتيان إلى المشرف على جميع الأندية وطلبوا الإذن بالسماح لهم بتكوين جماعة، وبالانضمام إلى عضوية المؤسسة، فناقش المشرف معهم الشروط والمستويات الواجب إتباعها–وقد وضح لهم كل ما هو مطلوب منهم ووافقوا عليه، وبناء عليه تم تكوين الجماعة وأقيم الاحتفال الخاص بانضمامها إلى المؤسسة.

وقد قدمت للجماعة الجديدة كل المساعدات التي تجعلها قادرة على أن تبدأ بداية موفقة، وقد اختاروا هم بأنفسهم رائدا لهم، ولكن المشرف لم يكن راضيا عنه كل الرضا، ورغم ذلك فقد قدمت لهم كل المساعدات الممكنة.

وقد اتضح بعد مدة وجيزة أن هذه الجماعة ينصب أكثر اهتمامها على استعمال حوض السباحة، وأظهر أعضاء الجماعة عدم مبالاة بباقي برامج النشاط والشروط والقواعد التي سبق لهم الالتزام بها. ولكن حدث أن صادف الجماعة بعض التقدم خلال شهور قليلة، فيما يتعلق بدرجة فهمها للمستويات والشروط المطلوبة منها، والتي وافقت عليها من قبل، كما أن الأعضاء بذلوا بعض الجهد في قياس نمو جماعاتهم بالنسبة للجماعات الأخرى، وبمرور

الوقت كان واضحا أن تولد لدى الفتيان الإيمان بالمبادئ التي تستهدفها المؤسسة، الأمر الذي جعل المشرف يتريث في اتخاذ قراره بحل الجماعة.

وقد قام المشرف بمناقشة الوضع مع الأعضاء ورائدهم، وقدمت بعض الاقتراحات حول تحسين موقف ناديهم، وبناء عليه قرر المشرف العام تأجيل البت النهائي في موضوع هذه الجماعية، وسمح لهم بالابتداء في الموسم الثاني من نشاطهم كأي ناد من الأندية المنضمة للمؤسسة، وفي نفس الوقت عقد اجتماع لمجلس الإدارة الممثلة فيه كل الأندية، وقد وجه الدعوة لهذا الاجتماع رئيس مجلس الإدارة، وذلك بغرض مناقشة الحالة بالنسبة لهذه الجماعة الجديدة. وقد أوضح ممثلو الأندية الأخرى الحقيقة بالنسبة لهذه الجماعة الجديدة، وهي أنها لم تتعاون مع باقي الجماعات في أي نشاط أو عمل مشترك، وأن أعضاءها كانوا يعيشون لأنفسهم فقط، ولم يسعوا لنفس الهدف المشترك الذي اتفق عليه أعضاء المؤسسة، وأنهم أرسلوا مندوبا واحدا لتمثيلهم في مجلس الإدارة بدلا من إرسالهم لاثنين طبقا لما هو مطلوب منهم.

وبعد مناقشة طويلة في هذا الشأن وبعد أن سمح لممثل هذه الجماعة بالدفاع عن جماعته قرر المجلس بالإجماع أن يطلبوا من المشرف العام حل هذه الجماعة، وقد اضطر المشرف إلى تنفيذ رغبتهم هذه على مضض.

الفصل السادس عشر

خلاصة لأُسس القيادة

تجنب، كلما كان ذلك ممكنا، أن تكون العلاقة بينك وبين الأعضاء، علاقة المدرس بالتلميذ، بل يجب أن تكون العلاقة دائما هي علاقة الصداقة. وليس معنى علاقة الصداقة أن تفقد عن طريقها مركزك كراشد بين الأعضاء، أي أن تفقد احترامهم لك واحترامك لنفسك. وأن أصدقاءك الصغار يتوقعون منك هذا الاحترام لنفسك، لذلك فمن المستحسن أن تكون بالنسبة إليهم دائما المثل الأعلى الذي يتطلعون إليه ويسعون لتحقيقه.

وإذا كانت هناك حاجة إلى إعادة النظام بالنسبة لموقف أو حالة معينة، فوضح المشكلة كلما أمكن ذلك، ثم ضعها بين أيدي ممثلين من أعضاء الجماعة، وأعرض عليهم كل الحقائق المتعلقة بالمشكلة، واطلب منهم أن يبحثوا عن حل لأسبابها، وستجدهم أكثر حزما وشدة من الراشدين في مثل هذه المواقف، سوف يتقبلون أي قرار يصدر في هذا الشأن ويلتزمون به، ويستفيدون منه، ما دام صادرا من أقران لهم.

وإذا اضطرك الأمر إلى استعمال سلطتك في أمر من الأمور، فيجب أن يكون تدخلك إيجابيا، واشرح للأعضاء بوضوح السبب الذي يضطرك إلى مثل هذا التدخل، واسمح بالأسئلة والاستفسارات ولكن لا ينبغي لك التراجع. ويجب عليك قبل اتخاذ قرارك باستعمال السلطة أن تحلل الموقف بدقة لتتأكد من أن قرارك صحيح وتدخلك لصالح الجماعة.

وحينما تنوي الجماعة اتخاذ قرار تترتب عليه آثار هامة بالنسبة لها أو للمؤسسة التابعة لها، فيجب عليك أن تتأكد أنك قد حللت وشرحت الموقف بكل دقة، وأنك قد أوضحت كل الصور والاعتبارات التي يجب أن تؤخذ في الحسبان، ويجب أن تتأكد أن جميع جوانب الموضوع وزواياه الصحيحة الهامة قد أصبحت واضحة أمام أعين الجماعة، وبعد ذلك دع الجماعة تتخذ قرارها، وستدهش حتما حينما ترى أن قرار الجماعة كان موفقا ورشيدا.

وعليك أن تبحث عن المراهقين الذين يحتاجون إلى مساعدة فردية، فلا تمسك عنهم أي مساعدة تستطيع أن تؤديها لأحدهم، وكن منتبها إلى المشكلات السلوكية غير العادية، ولا تحاول أن تعالج هذا النوع منها إلا إذا كنت متأكدا من صحة تحليلك للمشكلة، كما يجب عليك ألا تتردد في طلب معونة أو مشورة الأخصائيين، وعليك أن تبحث عما يخفى وراء الاتجاهات والسلوك الظاهري، لتعرف الأسباب الحقيقية لمظاهر عدم التكيف الفردي، ويجب أن تكتسب القدرة على التفريق بين مشكلات المراهقين العادية وبين هذه المشكلات ذات الأسلوب والجذور العميقة المعقدة، التي لا يُمكن علاجها أو حلها عن طريق الرائد الهاوي غير المتخصص.

وكن مُستعدًا للاعتراف بالخطأ، ولا تخشى أبدا أن تقول: "أنا لا أعرف".

وفوق كل ما سبق يجب ألا تخاف؛ فالمراهقون لديهم غالبا أفكار سليمة بدرجة مدهشة، ويمكنهم أن يتحملوا تنفيذ مشروعات هامة بنجاح تام، وبطريقة لا يحلم الراشدون بأن الصغار في وسعهم تحقيقها. ودع القادة الطبيعيين للجماعة يقودوا هم الجماعة نحو الطريق المنشود، وما عليك إلا أن تشعرهم بأنك من خلفهم مستعد لمعاونتهم، وتأكد أنهم سوف يلجأون إليك.

الفصل السابع عشر

كيف تنمو الجماعة؟

مثل الذي يهتم اهتماما شديدا بنمو جماعة ما أو فرد معين، كمثل الطفل الصغير الذي يزرع حبة قمح، ويأخذ في استخراجها من التربة بين يوم وآخر ليرى هل هي تنمو أم لا. ومما لا شك فيه أن رؤية مظاهر النجاح تشجع على الاستزادة منه، كما أن معرفة نواحي النقص والفشل تعاون على التقدم، وأن من الحكمة أن يكون الإنسان مُستعدًا وعارفا لما يجب أن يعمله في كلتا الحالتين.

ويكفي في سبيل ذلك بالنسبة للجماعة أن تراجع نفسها مرة واحدة على الأقل في العام، وبالنسبة للرائد أن يفعل نفس الشيء، حتى يُمكن عن طريق ذلك إدراك مقدار التقدم والنمو الذي حدث فعلا خلال هذه الفترة، كما أن هذا العمل يساعد كلا من الجماعة والرائد على تلمس الأخطاء وإيجاد السبل الكفيلة بتلافيها في المستقبل.

تقويم الجماعة لنفسها

إن الفائدة الرئيسية من وجود هدف محدد للجماعة هو أنه يُمكن استخدامه كمقياس لتقدم الجماعة أو عدم تقدمها، إذ يصادف كل جماعة فترة يشعر فيها أعضاؤها أنهم ما زالوا واقفين حيث بدأوا، أو أنهم في تأخر مستمر. وهذه الفترة تعتبر هامة لتقرر الجماعة فيها أي أنواع النشاط له قيمة وأي الأنواع لا قيمة له.

ويُمكن إجراء عملية مسح منظمة لجميع برامج النادي مرة على الأقل كل عام، ويمكن للرائد أن يقترح أن يقوم رئيس الجماعة بتعيين شخص من بين أعضائها، أو الاكتفاء بسكرتير الجماعة، لتقديم ملخص مكتوب عن جميع نواحي نشاط النادي، ومثل هذا الملخص يُمكن مناقشته في اجتماع للنادي لمعرفة ما تم تحقيقه من أغراض الجماعة بالنسبة لهدف النادي المحدد من قبل، وطبعا إذا تم هذا العمل عند انتهاء موسم نشاط النادي كل عام، فإن الاقتراحات الجديدة التي ستنبثق من المناقشة، يُمكن أن يحتفظ بها، وتتخذ كأساس للمناقشة والتخطيط لبرامج نشاط النادي في العام الجديد.

تقويم الرائد لنفسه

ولقياس مدى العلاقة الفردية بين الرائد والأعضاء، يُمكن للرائد أن يسأل نفسه من وقت لآخر: "هل أعرف اسم كل عضو في الجماعة، وبعض المعلومات عن ظروفه الأسرية، وهل أعرف هواياته الخاصة؟ ومن يتخذهم من أصدقاء خاصين داخل الجماعة وخارجها؟ وما هي أحواله الدراسية في المدرسة؟ وهل هو سعيد أو غير سعيد في ناديه؟".

"وهل اكتشفت حالة فتى أو فتاة في حاجة إلى مساعدة فردية؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل هناك شيء فعلته أو استطيع أن افعله حيال هذه الحالة؟ وهل أنا في حاجة إلى مشورة أحد المتخصصين لمعرفة ما يجب أن أفعله؟ وكم من الفتيات أو الفتيان يشعرون بالحرية الحقيقية في أن يقولوا ما يفكرون فيه بصراحة أثناء وجودي؟ وهل أنا صديق مخلص وصادق بالنسبة إليهم؟ وهل أنا أفهم لغتهم الخاصة ورغم ذلك أتكلم وأعمل بالصورة التي يمليها

على مركزي وسني؟ وهل أنا ألاحظ أن هناك حُبًا أو إعجابًا بي من جانب أعضاء الجماعة فأسعى جاهدا إلى أن أكون جديرا بهذه المحبة والثقة، ولا أحاول فقط أن أستزيد من هذه المحبة إرضاء لذاتي؟".

تقويم الرائد للجماعة

أن هناك سجلا واحدا دون سائر السجلات في النادي يوضح مدى نجاح البرنامج بالنسبة لأعضاء الجماعة، وهذا السجل هو سجل الحضور والغياب، فإذا كانت نسبة الحضور مرتفعة في إحدى الجماعات الاختيارية، فإنك تستطيع أن تقترض – ويكون افتراضك صحيحا ومعقولًا – أن هذا الارتفاع في نسبة الحضور مرجعه إلى أن البرنامج يقابل احتياجات أعضاء النادي. أما إذا كانت نسبة حضور الأعضاء في تناقص مستمر، أو نقصت نقصانا ملحوظا، فربما يكون مرجع ذلك إلى سبب أو أكثر من الأسباب الواضحة.

فربما يكون البرنامج قديما، وغير متطور ويحتاج إلى تغيير، وربما يكون رئيس النادي متحكما أكثر من اللازم، أو على العكس خاملا يحتاج إلى مساعدة ليقوم بعمله بطريقة أفضل، وربما تكون الجماعة نشطة إلى أبعد حدود النشاط، ولديها مشروعات كثيرة ولكن أولياء الأمور يعترضون، لشعورهم بأن نشاط النادي يتعارض مع الواجبات المدرسية؛ إذ تنتهي الاجتماعات المسائية للنادي في ساعة متأخرة، فيمنع أولياء الأمور الأبناء من التردد على النادي لهذا السبب وربما يرجع انخفاض نسبة حضور الأعضاء إلى تدخل الرائد في كثير من الأحوال، أو بصورة متكررة في أعمال الجماعة، أو إلى محاولة الرائد تقديم أفكاره وآرائه بسرعة للجماعة.

وربما يكون الرائد غير مواظب على الحضور بانتظام، أو ربما يكون مقصرا في مساعدة الأعضاء ممن لهم وظائف قيادية في الجماعة، أو في مساعدة اللجان المساعدة الكافية، وربما تكون هناك بعض الاضطرابات الشخصية، مما ينتج عنه شعور الجماعة بفقدانها لروح الحماسة والاهتمام الذي كان يسودها، وأحيانا يحدث– نتيجة لضعف رئيس الجماعة في الحكم، أو لعدم وجود مساعدة له من الرائد– أن تقع مسئولية كل الأعمال الخاصة بالجماعة على عاتق فئة قليلة من أعضائها، وربما ينتج عن هذا تكوين عصبة داخل الجماعة نظرا لأن الأمر أصبح في يد قلة من الأعضاء لهم الكلمة الأخيرة في كل شيء. وربما يرجع تناقص نسبة الحضور إلى أن مواد البرنامج لا تجمع بين النواحي الجادة ونواحي النشاط الاجتماعي والترويحي بطريقة متوازنة، فربما لا يكون هناك نشاط كاف، أو لا يكون هناك نشاط متنوع تنوعا كافيا بحيث يقابل احتياج وأذواق كل الأعضاء. ولابد في هذه الحالة من القيام بعمل دراسة تحليلية للموقف في الحال، وبمجرد أن تبدأ نسبة الحضور في التناقص، هذا إذا أريد للجماعة نفسها ألا تفتر همتها. ويمكن للرائد أن يعمل شيئا بالنسبة لهذا الموقف. وفيما يلي بعض الأفكار التي تصلح في هذا الشأن: من الممكن أن يطلب الرائد الإذن من رئيس الجماعة للتحدث إليها ويخبرهم بصراحة بما لاحظته من تناقص في نسبة الحضور، ويسألهم عما إذا كانوا يعرفون أسباب ذلك، فإذا ما كانت هناك علاقة طيبة بين الرائد والأعضاء فسيحصل على نتائج حقيقية عندما يطرح عليهم هذا السؤال.

فإذا كان سبب قلة نسبة الحضور للنادي متعلقا "بمشكلة أولياء الأمور"– كما يطلق عليها الصغار هذا الاسم– فسيخبرون رائدهم بذلك، وربما تكون لديهم بعض الاقتراحات في هذا السبيل، ويمكن للرائد أيضا أن يقترح عليهم أن يقوم النادي بتنظيم اجتماع خاص وهام، يدعو إليه أولياء الأمور، وتقدم فيه المرطبات، كما يُمكن للرائد أن يقوم بزيارة أولياء الأمور المعارضين في ذهاب أبنائهم للنادي، وهذا يساعد على تعارف أولياء الأمور بالرائد، كما يتيح الفرصة، لتعريف أولياء الأمور ببرامج النادي، ويسمح لهم بشرح وجهات نظرهم في أسباب اعتراضهم؛ إذ أحيانا يكون لدى أولياء الأمور متاعب تتعلق بأبنائهم أو بناتهم، ويرحبون بأية فرصة تتاح لهم للتحدث عنها مع شخص يبدو عليه الاهتمام بأبنائهم.

وربما يرجع سبب تناقص نسبة حضور الأعضاء إلى ما قد يصادف رئيس النادي من عدم توفيق في قيامه بمهام منصبه، ويميل الأعضاء دائما في هذا الموقف إلى احترام شعوره، وعدم إحراجه ما داموا هم الذين انتخبوه، ولم تنته بعد مدة رياسته، ولكن إذا كانت هناك ثقة متبادلة بين الأعضاء ورائد الجماعة، فسيخبره بعض الأعضاء بصفة خاصة بهذه الموقف ليدرك أسباب تناقص نسبة الحضور.

وكذلك الحال إذا كان برنامج الجماعة يحتوي على كثير من المواد الجادة وليس لدى الأعضاء وقت كاف للمرح، فسوف يخبرون الرائد بذلك، والعكس صحيح، إذا كان البرنامج كله برنامجا ترويحيا ولا توجد أي موضوعات جادة في محتوياته، فسوف يجد الرائد من بين الأعضاء، من يصارحه بذلك.

وتجب مُلاحظة أن نسبة الحضور تنخفض في أغلب الأحوال تدريجيا، لذلك فمن الأهمية بمكان الانتباه إلى البوادر الأولى لهذا الانخفاض وتحليل أسبابه ومساعدة الجماعة لمعالجته في وقت مبكر، والرائد المجرب يحتفظ لنفسه دائما بسجل للحضور، ولا يعتمد في هذا الشأن على الذاكرة، أو يتأثر بجمله عدد الحضور اليومي.

أما إذا كان الرائد غير مرفق مع الجماعة في بعض أعماله أو اتجاهاته، فمن المحتمل أن يحترم الأعضاء هذا الموقف، ولا يخبروه بشيء، لذلك فعلى الرائد أن يكشف هذا الأمر بنفسه، فقد يكون تقويمه لبرنامج النادي في حد ذاته غير دقيق، أو أن يكون قد توقع من الجماعة مستوى من الطموح لا يتناسب مع مستوى النضج العقلي والوجداني للأعضاء، أو ألا يكون الأعضاء على مستوى مناسب من الطموح، وقد تكون هناك تيارات مقاومة خصبة؛ لأن الرائد يحاول تغيير برنامج الجماعة.

وإذا كان الرائد في شك من أن برنامج النادي لا يتميز بالصلاحية الكافية، فما عليه إلا أن يطلب من رئيس النادي السماح له بالتحدث إلى الأعضاء، ويمكن عن طريق مُناقشة صريحة وعرض للموقف، مع اقتراح لبعض البرامج البناءة المفيدة ومشروعات الخدمة العامة الجديرة بالاهتمام، الوصول إلى نتائج حسنة مع أعضاء الجماعة. وأن تعبير الرائد عن آماله وتحمسه للجماعة جدير بأن يحرك الأعضاء ويدفعهم إلى الأمام.

ويجب أن يثق الرائد بأنهم سوف يناقشون فيما بينهم ما سمعوه منه أثناء حديثه معهم، وسيصلون إلى بعض القرارات في هذا الشأن، وما عليه إلا أن ينتظر ويترقب عملية النمو التي ستظهر بعد ذلك، وربما لا تظهر نتائج سريعة لمدة بضعة أسابيع، ولكنه قد يشعر فجأة بعد ذلك بروح جديدة في الجماعة.

وقد يحدث أن يلمح الرائد الجماعة، وقد بدأت حالا في السعي قدما نحو تحقيق أحد اقتراحاته فيطير فرحا.

وهكذا لا يُمكن أن يعرف الإنسان مقدما ما سيحدث بالضبط، ولكن الحقيقة المؤكدة في هذا الموضوع، هو أن الرائد المخلص، الذي يهتم دائما بجماعات أندية المراهقين، لن يشعر على الإطلاق بملل أو ضجر في عمله معهم.

الفصل الثامن عشر

الهدف من القيادة

يجب على أي رائد لجماعة أو أي مشرف على عدة جماعات، أن يفكر مليا ويحدد لنفسه ما يود أن يحققه بما لديه من قدرة قيادية، ويجب أن تكون أغراضه وأساليبه متمشية مع أغراض وأساليب المؤسسة المسئولة عن الجماعة أو الجماعات التي يعمل بها، فإذا كان هذا مستحيلا فيجب على الرائد إذا كان محبا لمهنته ومخلصا لها، أن يبحث عن مؤسسة أخرى يمكنه فيها أن يقدم خدماته. فتعارض الأغراض والأفكار والأساليب يعوق الرائد عن القيام بعمله على الوجه الأكمل، فالرائد يجب أن يكون حرا وقادرا ولديه الاستعداد ليبذل أقصى جهده في عمله.

وإن مثل هذا الكتاب لن يحقق هدفه إذا لم يناقش ويتناول بالبحث الأهداف العامة للمواطن الراشد. وبالرغم من أن هذه الأهداف لها صفة العموم والتجريد، فإنها متصلة بالأغراض النوعية لأية مؤسسة مسئولة. فمنذ اللحظة التي أصبح فيها المخلوق الآدمي كائنا حيا يفكر، أخذ يعبر عن أهم أفكاره في صورة مبادئ وأهداف عامة، وكانت هذه المبادئ والأهداف توضع موضع الاعتبار على مر العصور وفي مختلف الأجيال، كما كان يعاد تحديدها وتعريفها من جديد وفي بعض الحالات على ضوء المعارف والخبرات والمواقف الجديدة المختلفة.

وقد اختفت بعض هذه المبادئ والأهداف، ثم ظهرت ثانية في أماكن أخرى جديدة، كما ظلت بعض المعاني مستمرة وباقية على مر العصور، مثل الصدق، والجمال والخير والعدالة والحرية والتضحية والإيمان بالخالق وبما يخلق، وحب الإنسان لأخيه الإنسان، وتحمل المسئولية والأمانة، والقيادة، والديمقراطية.

ولكنا نجد في عصرنا هذا وبكثير من الأماكن المتفرقة في العالم، أن رسوخ هذه المعاني والقيم واستمرارها، تصادفه تيارات قوية تنادي بالتغير. لذلك فنحن نحتاج أكثر من أي وقت مضى إلى شجاعة فردية لتقوم بإعادة التفكير في هذه القيم والمعاني، ثم لنعلن على الملأ بعد ذلك ما يصلح منها لحياتنا.

أنه ليجب علينا الآن، أكثر من أي وقت مضى، أن نحسب حسابا لتدخل عوامل المهادنة والحلول الوسط، ويجب أن نقرر إلى أي مدى سنسمح بها بالنسبة للقيم والمعاني السابقة، ويجب أن نقرر عند أي حد يجب أن نتخذ موقفنا الصحيح ونرفض أية مهادنة أو حلًا وسطًا، حتى لو أدى وقوفنا هذا الموقف الحازم إلى احتمال نشوب صراع أو حرب.

إن تفكيرنا جميعا كشعب أمريكي قد انتهى إلى شعورنا جميعا بضرورة تحديد المعاني والقيم اللازمة لحياتنا أولا، ثم الوقوف في حزم وإصرار حول بعض المبادئ الأساسية لها، التي لا يُمكن أن نقبل فيها مهادنة أو مساومة، هذا مع ضمان عدم المخاطرة بأرواحنا. وأن هذا التفكير وتلك القرارات اللازمة للحياة هي من مسئوليات الكبار.

وإن جميع هذه المبادئ الأساسية التي تشغل تفكير الكبار وتحكم حياتهم يُمكن إيجادها وتطبيقها بصورة مصغرة في حياة المراهق، خلال حياته مع أقران من نفس عمره، في المدرسة والمنزل ومكان العبادة وحياته الاجتماعية.

فمثلًا على المراهق أن يقرر هل من الصواب أن يغش في المدرسة كي ينجح في الامتحان أم لا، وعليه أن يقرر هل يحترم أم لا يحترم الفتيان والفتيات الذين من غير جنسه أو لونه أو عقيدته، وعليه أن يقرر أكثر من ذلك أيقبلهم أم لا يقبلهم في مجتمعه؟ كما أن الفتيان والفتيات أن يقرروا هل عليهم أن يلتزموا بأسس وأنماط معينة من السلوك والعلاقات فيما بينهم، من أجل تأمين مستقبلهم وضمان السعادة في حياتهم الأسرية المقبلة، أم أن عليهم فقط أن يسعوا إلي لذاتهم كلما أمكنهم ذلك، تاركين للمستقبل أن يرعى نفسه بنفسه.

كما أن على المراهقين أن يقرروا أمن الأوفق لهم، في سبيل اكتساب رضا أصدقائهم في بعض المواقف، أن يتغاضوا عن الأشياء التي يرون من الواجب إتباعها.

إن هذه الأشياء السابقة وغيرها من القرارات التي تواجه المراهق تتضمن تحديد الكثير من الأسس والقيم الهامة.

إن شتَّى مظاهر حياة الراشد، بما فيها من قيم وضوابط، تواجه المراهق ولكن بصورة صغيرة ومحددة.

إن المراهقين لا يستطيعون تحمل مسئوليات الكبار المرتبطة بعالم الكبار نفسه، ولكنهم يستطيعون، ويجب عليهم أن يتعودوا تحمل المسئوليات التي تظهر في عالمهم الخاص، ومن الواجب عليهم أن يتدربوا على وضع أسس لتفكيرهم ولأعمالهم كمراهقين، بحيث تكون قابلة للتطبيق في حياتهم التي يعيشونها في عالمهم الخاص بهم.

إن لدى رائد جماعة المراهقين عملا حقيقيا وهاما إذ عليه أن يكون قادرا على فهم واجتلاء حقيقة حياة الجماعة التي يعيشها المراهقون، وإن عليه أن يترجم إلى لغة وأسلوب المراهقين، المبادئ الهامة التي توجد في عالم الكبار، وبذلك يضمن إقامة جسر دائم بين العالمين، يكون على المراهق أن يسير عليه ليصل إلى الهدف المنشود من النضج المتكامل، والسعادة، والرشد المثمر.

وطريق المراهق على هذا الجسر، قد يكون سهلا، ومعقولا وممتعا، وقد يكون خشنا مليئا بالحفر والعراقيل، وكل هذا يتوقف إلى حد كبير على نوع المساعدة والتوجيه اللذين يتلقاهما من الراشد قبل وأثناء مرحلة الاجتياز.

"إن التجربة، هي مخاطرة تتطلب منا أن نكرس لها نفوسنا وكل ما نملك من مقدرة".

وإن المراهقين – دون غيرهم في سائر مراحل العمر المختلفة – يشعرون بلذة في الحياة ويرغبون في الاستزادة من التجارب، وهم مستعدون أن يهبوا حياتهم بأكملها لمثل هذه التجارب، لذلك يجب على القيادة الصالحة أن تخلق الفرص المناسبة للفتيان والفتيات لاكتساب الخبرات المفيدة.

وتكون الفائدة من هذه الخبرات مؤكدة لو تضمنت بذلهم لمجهود بناء، يحققون به ما يحتاجون إليه، كما أن هذه التجارب تصبح ذات قيمة، إذا استطاعوا عن طريقها اكتشاف وتحديد بعض الاحتياجات التي لم تكن واضحة المعالم من قبل بالنسبة إليهم، وتحقق هذه التجارب فائدتها القصوى حينما يجد المراهقون فيها – إلى جانب إشباعها التام المرضي لاحتياجاتهم – فرصة يعرفون من خلالها احتياجات الآخرين. وأخيرا تكون فائدة هذه التجارب قد عمت وآتت ثمارها إذا توصل المراهقون عن طريقها إلى اكتساب النضج الذي يجعلهم يرغبون في مساعدة الأفراد الآخرين، والمجتمع والعالم أجمع.

فالهدف الرئيسي للقائد الراشد هو أن يؤثر ويوحي ويساعد المراهقين على النمو قدما من مرحلة الاهتمام الذاتي بالنفس، إلى الاهتمام بالمجتمع والعالم الخارجي. ويُمكن هنا أن نحدد ببساطة الأهداف الرئيسية للقائد من قيادته للمراهقين في ثلاثة:

١– إتاحة جميع الفرص الممكنة للمراهقين ليكشفوا بأنفسهم معاني القيم والاتجاهات السائدة في المجتمع.

٢– خلق الفرص للمراهقين لترجمة هذه القيم والاتجاهات إلى أعمال ذات مغزى ومعنى خلال حياتهم الحالية أثناء فترة المراهقة.

٣– أن يتحلى القائد ببعض الاتجاهات الشخصية والقيم السلوكية الصالحة التي يُمكن للمراهقين اتخاذها قدوة حسنة، ومثلا عليا يجتهدون ويحاولون الوصول إليها.

وهناك وسائل هامة يُمكن بها تحقيق الهدفين الأول والثاني، فالقائد يجب عليه أن يخلق الفرص التي تسمح للفرد، داخل إطار جماعته، أن ينمو روحيا وعقليا وبدنيا بنسب متساوية تقريبا، وفقًا لما تتيحه إمكانيات المؤسسة المسئولة، ويجب أن يطبق ذلك على أحسن وجه، حتى يُمكن للمراهق أن يدرك أنه كل متكامل وليس شخصا مقسما إلى ثلاث وحدات كل منها منفصلة عن الأخرى تمام الانفصال.

ويجب على القائد أن يهيئ أكبر عدد من المواقف التي تتيح للأعضاء أن يمارسوا تجربة حقيقية لنظام الحكم الديمقراطي. وهذا يجب تحقيقه على أحسن صورة، حتى يُمكن للمراهقين أن يدركوا حقيقة، وبما لا يدع مجالا للشك، أن الإنسان يعيش من أجل شيء، وأن في وسعه الاحتفاظ بكيانه ونفوذه كفرد، ومع ذلك يستطيع أن يعمل متعاونا مع الآخرين من أجل سعادة الجميع، ويجب على القائد كذلك أن يشجع على إيجاد الجو والتنظيم المناسبين مما يسمح باكتشاف واختبار وتقويم شتى ألوان المعرفة، وبحيث لا تقتصر ألوان المعرفة على المواد الدراسية فقط، ويجب أن يطبق هذا على أحسن وجه حتى يتوصل المراهق الصغير إلى إدراك قيمة الحرية بالنسبة للروح البشرية التي تنشد الحقيقة، وحتى يُمكن له أن يحدد لنفسه في الحياة صورة للحقيقة المجردة تساعده على أن يحيا حياة كاملة المسئولية يحترم فيها الأشياء التي تعتبر حقا للآخرين. ويجب على القائد أن يخلق الفرص التي تسمح لكل فرد أن ينمي ويستخدم بطريقة بناءة، قدرتي الابتكار والقيادة لديه، وبالقدر الذي تسمح به إمكانية كل فرد واستعداداته، ويجب تطبيق هذا على أحسن وجه حتى يتمكن المراهق من تحديد مسئولياته حيال العالم الخارجي طبقا لقدرته على تحمل هذه المسئولية.

كما يجب على القائد أن ينمي بين أعضاء الجماعة وبينه روح "الأخذ والعطاء" التي تمكن القائد بعد ذلك، وبصفة مستمرة، من أن يفتح أمام أعضاء الجماعة مجالات وآفاقا جديدة، يُمكن لهم ارتيادها. ويجب أن يطبق هذا على أحسن وجه، حتى تتاح الفرصة لنمو روح البحث والاستطلاع في نفوس المراهقين، وحتى يجدوا باستمرار أساليب مفيدة وهادفة تقابل احتياجاتهم.

ويجب على القائد أن يهيئ الفرص لينشأ نوع من الزمالة والأخوة بين الأعضاء خلال فترات العبادة، كما يجب عليه أن يهيئ لهم الفرص لاكتشاف الحقيقة من خلال أسمى القيم الروحية في العالم، ويجب أن يطبق هذا على أحسن وجه حتى يشعر المراهقون بالأمان المتزايد في هذا العالم، حتى يداخلهم الشعور بأن هناك صلات تربط بين الإنسانية جمعاء.

أما الهدف الثالث، وهو تحلي القائد بالمثل العليا والقدوة الصالحة، فيمكن للقائد أن يحققه بمجهوده الشخصي، وذلك لكي يبدو متكامل الشخصية في كل علاقاته مع المراهقين كأفراد وكجماعات، فالفتيان والفتيات يتطلعون إلى نموذج للراشد الذي يتميز بالثقة في نفسه، لأنهم يحاولون جاهدين الوصول إلى هذه المرحلة من الثقة بالنفس، ومن البديهي أن المراهقين ليسوا دائما على درجة من النضج بحيث يُمكن لهم تقويم صفة الثقة بالنفس التي يتحلى بها قائدهم، وليست لديهم الخبرة الكافية ليتأكدوا مما إذا كانت هذه الثقة بالنفس مبنية على أساس من الأنانية الشخصية، وتبدو للأعين على العكس من ذلك، أم أن هذه الثقة بالنفس هي نتيجة لعملية النضج المتزن التي تؤدي إلى ظهور اتجاهات صادقة تبعد كل البعد عن الأنانية.

أن الحاضر يمثل أهمية قصوى بالنسبة للمراهقين حتى أنهم لا يستطيعون التنبؤ بما ينتظرهم في المستقبل، حينما يتبعون راشدا يسعى في سبيل مصلحته الشخصية نحو السلطة والنفوذ.

والذين يرون الشباب الشيوعي وهو يزاول نشاطه، يقتنعون بأن التحمس لهذه الحركة ليس أساسه فقط الإجبار أو الضغط، بل ربما لا يكون للضغط أو الإجبار أثر واضح، ولكن هذا التحمس لمثل هذه الحركات يرجع كما سبق أن أوضحنا إلى اهتمام الشباب المتزايد بحاضرهم فقط.

فالمراهقون يتبعون القائد الحقيقي سواء أكان صالحا أم غير صالح، وسواء أكان من نفس سنهم أم من الراشدين. وهذا كله يجعل من الواجب ومن الأهمية بمكان على الكبار أن يفهموا ويحللوا دوافعهم هم، التي تكمن خلف اهتمامهم ومحاولتهم العمل كقادة للشباب.

ويجب عليهم أن يفكروا بإخلاص في المبادئ الأساسية للحياة التي يتخذونها ويتمسكون بها في حياتهم. كما أن على القادة من الراشدين أن يدرسوا ويقوموا على مهل مبادئ العالم الذي يعيشون فيه، ثم يختاروا من بينها ما يصلح منها كذخيرة يُمكن الاحتفاظ بها لخير الجنس البشري، وعليهم بعد ذلك أن يختبروا سلوكهم وأعمالهم الشخصية ويجعلوها تتمشى مع أحسن المبادئ والقيم التي اختاروها.

الفصل التاسع عشر

معنى القيادة

إن أساس القيادة الصالحة هو أن يعتبر القائد نفسه وسيلة أو أداة وضعت بين يدي أعلى القيم الروحية التي اتخذها لنفسه. والقيادة الصالحة هي المساعدة التي يقدمها للأفراد وللجماعة لكي يفهموا أنفسهم، وهي المساعدة التي يقدمها إلى كل أعضاء الجماعة ليستطيعوا الوصول إلى أحسن الوسائل الكفيلة بالرد على استفساراتهم وحل مشكلاتهم بطريقة بناءة، ومن خلال برامج النادي كافة.

إن القيادة الصالحة توجه الأفراد حتى يبلغوا مرحلة النضج، وهي لا تفرض على المراهقين تحقيق أي مستوى في الحياة، هو في حقيقة الأمر خاص بالكبار. والقيادة هي عملية تعليم غير مباشر لا تتقيد بحيز حجرة الدراسة.

وهي تدرك أن الجماعة تتعلم وتستفيد من الأخطاء، لذلك فهي ترغب في أن تدع الجماعة تتعلم بهذه الطريقة، وفي نفس الوقت يعاون القائد الجماعة على حماية نفسها من الأخطاء التي قد ينجم عنها إيذاء للأفراد أو للجماعة.

والقيادة الصالحة تدع الجماعة تحدد لنفسها بعض الأهداف الخاصة، في صورة تساعدها على مقابلة احتياجاتها بطريقة فعالة. والقيادة الصالحة تدرك أن المراهقين يعيشون في عالم خاص بهم، لا يشبه عالم الطفولة ولا

عالم الراشدين، وهي تحاول أن تفهم هذا العالم، بمستوياته الحسنة والسيئة، وبلغته وعاداته، وتحاول أن تعرف مدى تأثيره في المراهقين.

والأدوات التي يستعملها القائد في هذا السبيل، هي النادي كمؤسسة، والنظرة المخلصة الصادقة إلى الفتيان والفتيات كأناس عاديين، وكذلك البرنامج الشامل لنشاط النادي.

وحجر الأساس لأي مؤسسة شباب ناجحة، هو أن تهيئ أكبر عدد ممكن من الفرص، لكي يصل الأعضاء إلى تقرير مصيرهم بأنفسهم من خلال مرورهم بعدة تجارب للديمقراطية السليمة.

وأن حجر الأساس بالنسبة لتخطيط برنامج ناجح، هو أن يكون لديك أو تعمل على إيجاد وخلق مصدر للعديد من مواد البرنامج، تساعد بها الأعضاء على الاستفادة منها عند اختيار برنامجهم. وتعتبر القيادة بمثابة صمام الأمن الذي يحرص على أن تبقى نظم المؤسسة والبرنامج في حالة توافق مستمر، ومع ذلك تظل محتفظة بأشكالها المحددة لها.

كما أن القيادة الصالحة تملك القدرة على إدراك احتياجات الفرد والجماعة، أنها تخلق درجة من الثقة بين أعضاء الجماعة، تسمح للقائد أن يشاركهم ويعاونهم إلى أبعد الحدود.

والقائد الراشد هو خير من يوجه المراهقين إلى فهم عمليات الديمقراطية السليمة في المجتمع الحر. كما أن النادي، كمنظمة، هو أحسن وسط يُمكن أن يقوم فيه مثل هذا التوجيه.

ولا ريب أن القائد الراشد هو الصديق الحكيم الناضج للأفراد في الجماعة، وأن هذه الصداقة المخلصة للجماعة ككل، تسهل عملية المساعدة الفردية.

والقائد الراشد هو المصدر الذي تصدر عنه الأفكار للبرامج المناسبة، التي تساعد أعضاء النادي، وأن ملكة التخيل التي يمتلكها وكذلك المنبع الذي ينصب من الخبرات، هما المساعدان الرئيسيان له في عمله.

وعلى كل راشد يأخذ على عاتقه القيام بهذه الخدمة أن يضع في اعتباره مقدما أن هذا العمل لن يكون في الغالب صفقة رابحة له،ويجب أن يكون لديه الاستعداد والرغبة في بذل كل ما لديه من وقت وطاقة. ولن يستطيع أحد تقدير المثوبة أو المكافأة التي تنتظر القائد إلى أن يتم بذل الجهد المطلوب منه.

القسم الرابع

تخطيط البرامج مع جماعات المراهقين

الفصل العشرون

ما هو تخطيط البرنامج؟

إن تخطيط البرنامج بمعناه الواسع هو اصطلاح يستعمل ليشمل كل الجهود التي تبذل لتنظيم ومعاونة الجماعات في الأندية من أجل الوصول بالأعضاء إلى أقصى حد ممكن من الرضا والاغتباط، ولكن من الناحية العملية يُمكن تقسيم تخطيط البرامج إلى قسمين، يطلق على أحدهما التخطيط طويل المدى، وعلى الثاني التخطيط قصير المدى.

التخطيط طويل المدى

وهذا النوع من التخطيط للبرامج يكاد يكون مسئولية الكبار دائما، فبالرغم من أن لدى الصغار الفرص لإبداء رأيهم فيما يتعلق بنوع المؤسسة التي يرغبون فيها، ونوع الأشياء التي يرغبون في القيام بها، إلا أن على الكبار أن يتخذوا أغلب القرارات والخطط المتعلقة بهذه الأمور، والتي ليس بمقدور الصغار أن يشاركوا فيها. وفيما يلي أهم النواحي التي تؤخذ في الاعتبار عند القيام بعملية التخطيط طويل المدى:

مكان الإدارة والأدوات

يجب أن يعمل حساب مكان للإدارة، يستخدم كمقر للمشرف العام على الأندية سواء أكان هذا المشرف محترفا أم متطوعا، ومن المهم كذلك أن يكون هناك مكان مركزي يُمكن للفتيان والفتيات أن يقصدوه للحصول منه على المعلومات التي يحتاجون إليها، فيما يتعلق بنشاط ناديهم، كما أن

الكتب والأدوات الأخرى الخاصة ببرامج النادي تحتاج إلى تخصيص مكان لها،

وهناك بعض السجلات يجب أن تحفظ، وهذه قد تختلف من مؤسسة إلى أخرى، طبقا لنوع المؤسسة المسئولة عن الجماعة، ولكن الحد الأدنى المفروض وجوده منها، هو بطاقة تسجيل لحالة كل عضو، والحجم المناسب لها هو حوالي ٥×٧ بوصات، ويسجل في هذه البطاقة اسم العضو سواء أكان فتى أم فتاة، والعنوان، ورقم التليفون، واسم الأب والأم، والديانة، والجنسية، وهذه البيانات هامة جدا في حالة إصابة العضو بمرض أو حادثة أثناء فترة وجوده بالنادي.

كما أن حجم هذه البطاقة يسمح بإضافة بعض المعلومات الأخرى عن العضو قبل فرقته في المدرسة، ونشاطه بها، والمناصب القيادية التي تولاها في النادي، أو المسئوليات الأخرى التي اضطلع بها في النادي ومن المهم كذلك أن يسجل الرائد في هذه البطاقة رأيه وتقويمه للعضو، حتى يستفاد بذلك في حالة الاضطرار إلى تغيير الرائد. فإنه من المفيد حقا للرائد الجديد أن يعرف شيئا عن أعضاء النادي. كما يحدث في بعض الأحيان عندما يتقدم الفتى أو الفتاة للالتحاق بعمل في غير أوقات الدراسة، أن يضطر إلى ذكر اسم الرائد أو المشرف العام، للرجوع إليه عند الحاجة إلى أية بيانات، وفي هذه الحالة تفيد المعلومات المدونة في مثل هذه البطاقة لهذا الغرض.

نظام وسياسة المؤسسة

لابد من وجود بعض القواعد يقوم بوضعها الكبار، وتتعلق بما يجب أن يفعله الفتيان والفتيات، ومن الحكمة كذلك أن يؤخذ في الاعتبار ما لا يستطيع الفتيان والفتيات القيام به، وأنه لجزء من التخطيط طويل المدى، أن يُحاول الإنسان التنبؤ بما يحتمل أن يقوم به النادي ويكون مخالفا لنظم ومبادئ المؤسسة المسئولة.

وقد جاء ذكر ذلك في فصل سابق عند سرد حالة النادي الذي اعتمد في جمعه للمال على بيعه لأوراق اليانصيب، أن من الواجب تحديد وتوضيح جميع القواعد والنظم المراد إتباعها، سواء أكانت تتصل بما يجب عمله أو بما لا ينبغي عمله.

ويجب مُنذ البداية أن يلم الرواد وأعضاء الأندية بهذه القواعد، ويجب على الأندية أن تعلم تماما أنه لا يصح خرق أو مخالفة أية قاعدة منها، وفيما عدا هذه القواعد – التي يستحسن أن تكون قليلة العدد – فلأعضاء النادي مطلق الحرية فيما يفعلون.

وهذا بالطبع كفيل بإرساء دعائم التوازن بين سلطة الكبار وحرية الصغار، هذا التوازن الذي سبق أن أوضحناه في هذا الكتاب وأكدنا أهميته كأساس لقيام تنظيم ناجح لأندية المراهقين. وأن على الكبار أن يقرروا القدر من سلطة الراشدين الواجب توافره في مثل هذا التنظيم.

مالية النادي

يجب أن يتقرر من بادئ الأمر هل الاشتراكات ستدفع إلى المؤسسة، جماعية عن طريق الأندية، أم فردية عن طريق كل عضو، وعلى كل حال يجب أن يتحمل الأعضاء بعض الأعباء المالية لصالح النادي، ويتوقف مقدار مساهمة الأعضاء في هذه الحالة على المستوى الاقتصادي لغالبية الأعضاء، وعلى مقدار ما يتكلفه المشروع الكلي للنادي، وعلى الأسلوب الذي تتبعه المؤسسة في تغطية معظم النفقات، ومن المعروف أن طلبة وطالبات المدارس الثانوية لا يستطيعون غالبا دفع أكثر من دولارين ونصف دولار سنويا كاشتراكات للعضوية من هذا النوع، وهناك تنظيم عملي لعملية الاشتراكات يسمح للفتى أو الفتاة أن يدفع مباشرة للمؤسسة المسئولة دولارًا وربع دولار كل ستة أشهر، ويجب أن يفهم الأعضاء أن هذا المبلغ المدفوع يساهم مباشرة في نفقات الإنارة والتدفئة وأجرة الصيانة والحراسة وثمن المواد والأدوات اللازمة للبرامج.

وبالإضافة إلى المبلغ المدفوع سابقا يُمكن للنادي أن يجمع اشتراكات خاصة به من الأعضاء تتراوح بين خمسة وعشرة و٢٥ سنتا أسبوعيا، ومهما يكن مقدار المبلغ الذي قرره النادي فإن الحصيلة الكلية له يجب أن تبقى دائما ملكا خاصا به يستخدمه الأعضاء كيفما يشاءون.

وأحيانا تقوم المؤسسة المسئولة بوظيفة البنك بالنسبة للأندية، وفي هذه الحالة يزود أمين صندوق كل ناد بمبلغ كسلفة مؤقتة، ويزود كذلك بدفتر إيصالات للمنصرف من أصل وصورة، وعليه في كل معاملة مالية أن يحتفظ بصورة من الإيصال ويرسل الصورة الأخرى إلى المؤسسة، وهذا التنظيم رغم

أنه يضيف عملا كتابيا جديدا إلى المشرف العام للأندية– فإنه يتيح فرصة حسنة لتدريب أمين الصندوق بالنادي، على تحمل المسئوليات المالية، وعلى العمليات المصرفية البسيطة، فإذا ما طلب من أمين الصندوق أن يضبط حساباته مرة كل شهر ويراجع النتيجة على المشرف، فإنه بهذه الطريقة يتعود الدقة والنظام في مسك حسابات النادي.

ولهذه الطريقة كثير من الفوائد، فهي طريقة تربوية، وفي الوقت نفسه تجنب البنوك التجارية مضايقات فتح حسابات للأندية ذات الميزانيات الصغيرة، وكما تخلص أمين الصندوق من الإغراء، الذي يدفعه إلى حمل أموال النادي إلى بيته. وأموال النادي تكون معدة للسحب منها باسم النادي عندما تكون الأندية مجتمعة، أو عندما يكون مكتب المؤسسة مفتوحا. وفي حالة تطبيق هذا النظام يجب أن تعتمد إيصالات المنصرف من رئيس النادي بعد التوقيع عليها من أمين الصندوق. ويحدث في أغلب الأندية أن يوجد عضو أو اثنان ممن يتفننون في بعثرة نقود النادي، متحدين بذلك آراء أغلبية الأعضاء، فإن لم يكن هناك طريقة لمسك ومراجعة حسابات النادي كالطريقة السابق شرحها مثلا، فإن هؤلاء الأعضاء غالبا ما ينجحون في تنفيذ ما في رءوسهم، ويقضون بذلك على ميزانية النادي.

والمسألة الأخيرة التي تؤكد أهمية هذا النظام، هي أن أغلب أمناء الصندوق ينسون الاحتفاظ بسجل يبين من دفع الاشتراك ومن لم يدفع، وهذا يترتب عليه احتكاك الأعضاء بعضهم ببعض، ولكن إذا ما احتفظ أمين الصندوق بسجل رسمي– وهذا السجل بدوره يُمكن مطابقته على السجلات الحسابية للمشرف– فإن النادي يستفيد من هذا الوضع حيث تقل إلى حد كبير عملية التهاون في تحصيل اشتراكات الأعضاء.

تدريب القادة الطبيعيين

يجب أن يؤخذ في الحسبان معاونة جميع القادة الجدد من الأعضاء الذين تم انتخابهم قبل أن يبدأوا في تولي مهام مناصبهم، أن الفتيان والفتيات يشعرون بشرف عظيم لانتخابهم في المناصب القيادية للجماعة، وغالبا ما يشعرون بعظم المسئولية الملقاة على عاتقهم، ويخشون ألا يؤدوا عملهم على الوجه الأكمل، لذلك فهم يرحبون بالمعاونة التي تستهدف تعريفهم بما هو مطلوب منهم عمله بالضبط.

ومن الممكن أن يتم عقد اجتماع لكل القادة المنتخبين في وقت خاص، وليكن صباح يوم من أيام السبت، ومن المستحسن افتتاح الاجتماع بكلمة توجيه تستغرق حوالي خمس دقائق، ثم يتبع ذلك تقسيمهم إلى جماعات متجانسة، تجلس كل منها مع أحد الراشدين ليناقش معهم مسئولياتهم. ويجب أن يسمح بوقت للأسئلة، ويستحسن تزويد رؤساء الجماعات المنتخبين بمجموعة مبسطة من النظم والقواعد البرلمانية، كما أن من المفيد كذلك أن تكون هناك نماذج للسجلات الحسابية، ونماذج لسجلات السكرتيرية ليطلع عليها أمناء الصندوق، والسكرتيريون، ويستحسن أن تكون سجلات السكرتيرة مجلدة بدلا من أن تكون أوراق منفصلة، ومثل هذه السجلات يجرى العمل بها في أي ناد منظم من أندية الراشدين، لذلك فمن المستحسن أن يتدرب عليها المراهقون عند بدء خبراتهم في الأندية.

وهناك وسيلة أخرى لتدريب القادة الجدد من الأعضاء، وذلك بأن يقوم رائد كل ناد بعقد ندوة تدريبية يجمع فيها جميع القادة الجدد من الأعضاء في وقت واحد، وهذه الطريقة لها فوائدها كذلك، لأنه عندما يجتمع جميع القادة

الجدد معا، تتاح لكل واحد منهم معرفة واجبات الآخر. وسواء أطبقت تلك الطريقة الأخيرة على القادة الجدد في أول تدريب لهم، أم لم تطبق، فإن رواد الأندية يجب أن يوجهوا إلى ضرورة قيامهم بتقديم الاستشارات الدورية للقادة الجدد، حتى يسهل عليهم القيام بأعباء وظائفهم.

مجالس إدارة الأندية

لما كان أحد أهداف تنظيم أندية للمراهقين، هو إكساب الأعضاء خبرة في نظام الحكم الديمقراطي، لذلك فإن تكوين مجلس الإدارة على أسس من التمثيل الصحيح يعتبر من الأهمية بمكان.

وهذا المجلس يكون مسئولا عن سن القواعد والنظم الخاصة بإدارة الأندية الأعضاء بالمؤسسة، كما أن كثيرا من مشكلات عدم النظام التي تنشأ من وقت لآخر في أحسن الأندية، يُمكن تحويلها إلى مجلس الإدارة الممثلة فيه الأندية ليدرسها ويعمل على حلها، ويمكن لمجلس الإدارة أن يتولى مسئولية تخطيط شتى نواحي النشاط المشترك بين الأندية، كحفلات الترويح التي تقام في أيام العطلات، والبرامج الخاصة للاحتفال بالأعياد والمناسبات الوطنية.

وكلما كان الجهد المبذول للتقريب بين الجماعات المتعددة كبيرا، ازدادت مؤسسة المراهقين قوة. ويمكن لمثل هذا المجلس أن تمتد فائدته، وتعم الأندية كافة، إذا ما أخذ على عاتقه المبادأة بتنظيم مجلس تنسيق مشترك في المجتمع، يضم كل جماعات الشباب التابعة للمؤسسات الأخرى.

ولا ريب أنه في التخطيط طويل المدى يجب على الكبار، أن يعملوا حسابا لمثل هذه الأشياء، التي قد تكون ذات قيمة وفائدة للمراهقين كأفراد وجماعات، وبذلك يستعدون لواجهتها وتحقيقها في الوقت المناسب عندما تظهر الحاجة إليها.

اجتماعات الرواد

جانب مهم من التخطيط طويل المدة أن يعمل ترتيب لاجتماعات دورية لرواد النادي، حيث أن هذه الاجتماعات ذات فائدة عظيمة بالنسبة إليهم، يتبادلون فيها الأفكار ويقارنون فيها بين الملاحظات التي يبديها بعضهم لبعض عن أعمالهم، وهذه الاجتماعات تتيح الفرصة كذلك للمشرف العام ليعرض ويناقش أية مواد لبرامج جديدة، ويخطئ بعض المشرفين في مثل هذه الاجتماعات، فيتولون هم الكلام طوال الوقت، في حين أن من الأصوب والمفيد حقًا، أن تتاح الفرصة لكل رائد أو رائدة، فيأخذ دوره في الكلام، ليناقش شئون ناديه، قبل أن يبدأ المشرف كلامه، وأنه لمن النادر أن تكون مشكلات أحد الرواد في ناديه فريدة من نوعها، بل أحيانا نجد أن أحد الرواد قد تغلب بنجاح على إحدى المشكلات التي تصادفه، في ناديه، في الوقت الذي تكون هذه المشكلة مثارا للمتاعب لرائد ناد آخر.

وعن طريق تبادل مثل هذه الخبرات، يكتشف الرواد أن الجماعات كافة بصفة عامة تتساوى فيما بينها، فلا تمتاز إحداها أو تقل عن الأخرى، فلكل منها مشكلاتها، ولكل منها مميزاتها، وأنه لمن الأهمية بمكان أن يشعر جميع رواد الأندية شعورا صادقا بأهمية تضامنهم وتعاونهم في العمل، وحينما يدرك

الرواد عن طريق التجربة قيمة التعاون، فإنهم يتجهون اتجاهات كليا نحو التمسك بالعمل الجماعي أثناء معاونتهم للمراهقين.

ولا ريب أن المشرف العام أو مدير أندية المراهقين يستطيع دائمًا – بعد أن يسمح للرواد بمناقشة شئون جماعاتهم بحرية فيما بينهم – أن يقدم لهم الأفكار الملهمة، والتشجيع المثمر، والآراء السديدة.

الإعلان

يعتبر الإعلان هاما، حيث يظهر دائما نواحي نشاط الأندية للمجتمع الخارجي، ومما لا شك فيه أن مؤسسة المراهقين الناجحة، تهم أخبارها أولياء أمور الفتيان والفتيات، كما تهم المراهقين أنفسهم، لذلك يجب أن يوضع النظام الذي يضمن الإعلان عن أخبار المؤسسة دائما.

وإن لدى بعض الصحف المحلية، مخبرا صحفيا خاصا، يتصل بالمشرف على النادي بصفة منتظمة في أيام اجتماعات النادي وطبعا من المستحسن أن تكون هناك أخبار هامة يُمكن نشرها، ومن النادر ألا يحدث شيء هام في مثل هذه الاجتماعات، لا سيما أنه من المعروف أن الصحافة المحلية تهتم دائما بنشر صور لقادة الأندية، أو صور لاحتفالات النادي أو بعض نواحي نشاطه.

بعد الاستعراض السابق، يُمكن أن نقرر هنا أنه من الصعب أن نسرد بالتفصيل كل شيء فيما يتعلق بعنوان الموضوع الذي تكلما عنه، وهو التخطيط بعيد المدى، لقد ذكرنا الآن ما فيه الكفاية من الاقتراحات، ونحن نهدف من وراء ذلك إلى أخذها في الاعتبار عندما نفكر في وضع خطة بعيدة المدى. وخلاصة القول أن التخطيط بعيد المدى يجب أن يشمل كل

الإمكانيات التي تضمن خلق واستمرار نجاح مؤسسة للمراهقين، أنه يأخذ في اعتباره احتمالات النمو الحالي، والميزانية الحالية ومبادئ وأسس وسياسة المؤسسة المسئولة، وعدد المراهقين المنضمين للأندية. وأنه لجزء مكمل للتخطيط طويل المدى، ضرورة تصور وتقدير التوسع المحتمل للبرنامج الحالي، حتى يُمكن على ضوئه تحديد ما هو مطلوب من الكبار من استعدادات لمواجهة الاتجاه نحو التوسع المنتظر في البرنامج.

ولاستكمال التخطيط يجب علينا حين نتوقع ونقدر احتمالات التوسع في المستقبل، أن نأخذ في اعتبارنا ما يلزم هذا التوسع من أعباء مالية وإدارية لمواجهته، ولا ريب أن هذا النوع من التخطيط للبرامج هو مسئولية الكبار، ولابد أن نؤكد هنا أهمية تعاون الكبار في مثل هذا النوع من المسئولية.

التخطيط قصير المدى

إن الخطط قصيرة المدى، هي القلب النابض والروح المنتفضة لجماعات أندية المراهقين. وربما تكون هذه الخطط عبارة فقط عن اجتماع واحد، أو سلسلة من الاجتماعات، أو تكون اجتماعا مشتركا بين أكثر من ناد، أو مشروع خدمة عامة، أو مناسبة اجتماعية، أو نشاطا رياضيا، أو مشروع جمع تبرعات. ومهما يكن نوع النشاط فلا بد أن ينبع وينشأ أصلا من الجماعة نفسها، وعند التخطيط لمثل هذا النوع من البرامج، يكون الدور الرئيسي فيه للجماعة نفسها، أما القائد فهو دائما خلف الستار، يقيس نبض الجماعة وحيويتها ويلاحظ عوامل القوة والضعف في الأفراد حينما يقومون بوظائفهم أو يخفقون في القيام بهذه الوظائف داخل الجماعة، وهو يحدد من بينهم من يحتاج إلى مساعدة خاصة، وهو يفكر دائما في الطرق والوسائل

التي يمكنه بها معاونة القادة الجدد من الأعضاء ليصبحوا أكثر فاعلية، وهو إلى جانب كل هذا يمتلك قلبا وعقلا متيقظا، ومستعدا للمساعدة في أي وقت.

وقد يتبادر إلى الأذهان سؤال مؤداه: "إذا كان على الرائد أن يبقى وراء الستار، فلماذا إذن نشغل بالنا بضرورة وجود رائد؟؟" وأحسن رد لهذا السؤال هو: أن الرائد بالنسبة للجماعة كالجذر والساق بالنسبة لفروع الشجرة، فالرائد منبع يغذي الجماعة، بمعنى أنه معين لا ينضب من الأفكار والإلهام والتشجيع، وأن سر فاعليته يتركز في درجة حساسيته بالنسبة لاحتياجات الفرد واحتياجات الجماعة، فإذا ما اكتملت لديه هذه الحساسية استطاع أن يقدم المعونة الملائمة في الوقت المناسب.

ودور القائد الرئيسي بالنسبة لهذا النوع من التخطيط للبرامج قصيرة المدى، هو في قدرته على اكتشاف المواد المناسبة لاجتماع النادي، وفي قدرته المتزايدة على توفير هذه المواد المناسبة وفيما يبدو عليه من فهم للأفراد وللجماعة ككل، وفي معاونته لأعضاء النادي لاكتساب أكبر فائدة ممكنة من أية برامج مختارة، ولا ريب أن العمليتين الأولى والثانية تعتبران من عمليات التخطيط، أما العمليتان الثالثة والرابعة فهما من عمليات القيادة. ومن الواضح أن التخطيط والقيادة لا يُمكن الفصل بينهما، فهما كالتوأمين ولو أنهما غير متشابهين تماما.

ويوجد على الأقل عاملان تتحدد بهما مواد البرامج المناسبة لاجتماعات النادي، وأول هذين العاملين هو مدى الأسئلة التي تشغل بال المراهق والتي يُمكن تجميعها تحت خمسة أو ستة عناوين رئيسية عامة،

وبذلك يُمكن للرائد من الكبار أن يعرف سلفا نوع الأسئلة التي قد تثار حتما، ولكنه لن يستطيع أن يعرف مقدما متى، أو كيف أو في أية صيغة، أو طبقا لأي ترتيب، سوف تثار هذه الأسئلة وسنورد هنا للمرة الثانية التصنيف العام لأهم الموضوعات والمشكلات التي تهم أو تعترض المراهقين والتي تثار حولها الأسئلة منهم.

ونحن إذ نعيد سردها هنا فذلك لا لأهميتها فحسب، ولكن لأنها ذات قيمة لا تقدر بثمن بالنسبة للرائد؛ فهي تساعده على معاونة الجماعة في برامج نشاطها. وهذه الموضوعات والمشكلات العامة هي:

المشكلات الشخصية: وهذه المشكلات تشمل كل ما يتعلق بحاجاتهم لفهم أنفسهم من زواياها المختلفة، العقلية والجسمية والروحية، وبكل ما فيها من دقائق وتفصيلات، وما فيها من قلق يتعلق بمظهرهم وملابسهم ونماذج شخصياتهم... وكيف يبدون في نظر الآخرين. وكذلك ما يتعلق منها بالزمالة أو الصداقة العامة وبأنماط السلوك، والمستوى المادي للفرد، وعلاقاتهم بالكبار وعلى الأخص أولياء الأمور، والمشكلات المدرسية بما في ذلك المدرسون.

العلاقة بين الفتى والفتاة: وتتدرج هذه المسألة ابتداء من عملية الصداقة التي تنشأ بين الفتاة والفتى مُنذ أول لقاء يتم بينهما حتى تصل في تدرجها إلى محاولة فهم المزيد عن حياة الأسرة وكيف يمكنهما الاستعداد للزواج وتكوين بيت مستقل.

استكمال التعليم أو الخروج لميدان العمل: وهذا يتضمن ضرورة تقويم فرص استكمال التعليم، ونوع التعليم المناسب للمراهق، وكذلك تقدير نوع وفرص العمل المتوافر ومعرفة الترتيبات اللازمة التي قد يتطلبها استكمال الدراسة أو العمل أو الاثنين معا.

المسائل الدينية: يحرص المراهقون ويهتمون بتعمق المسائل الدينية؛ فهم يريدون معرفة كنهها، وما إذا كانت تؤثر في حياتهم، وكيف يتسنى لها ذلك، وكيف يمكنهم أن يستنتجوا منها وجهة نظر مريحة تفسر لهم الحياة بصورة عامة.

مسئولياتهم نحو المجتمع والعالم: يصل المراهقون بسرعة أحيانا، وقبل أن يتوقع الراشدون ذلك منهم، إلى النقطة التي يريدون فيها معرفة ماذا يمكنهم عمله الآن وفي المستقبل لمساعدة العالم الخارجي.

أما العامل الثاني الذي يساعد على تحديد المواد المناسبة لاجتماعات النادي، فهو إدراك القائد أنه يجب عدم استنفاد مادة البرامج الموجودة مرة واحدة أو في موضوع واحد.

فإنه ليس من عادة المراهق أن يستفسر عن كل صغيرة وكبيرة تتعلق بموضوع سؤاله، لذلك فإن تحديد نوع وكمية مادة البرنامج اللازمة للجماعة تتوقف على درجة الاهتمام التي يبديها الأعضاء حيال موضوع معين.

وتظهر القيادة الناجحة حينما يشعر الرائد في الوقت المناسب أن الجماعة بدأت تفقد اهتمامها بموضوع معين، أو فقدت الاهتمام به كلية. وفي هذه الحالة فالرائد الناجح الفاهم لعمله هو الذي لا يجبر الجماعة على الاستمرار في التمسك بهذا الموضوع أكثر من ذلك، فالمراهقون هم الذين

يعرفون هل هم قد حصلوا على ما يكفيهم من موضوع معين، وهم الذين يقررون هل هم مستعدون لتركه والانتقال إلى شيء آخر.

ومثال ذلك أن سمعت فتاتان تتناقشان في برامج النادي أثناء وجودهما في أحد المؤتمرات، فقالت إحداهما:

(نحن الآن في نادينا ندرس موضوع العلاقة بين الفتى والفتاة). وقد ردت عليها الثانية باعتداد وتفاخر ظاهري مما يتسم به المراهقون في هذه السن:

(أو ما زلتم تدرسون هذا الموضوع؟ لقد انتهينا من هذه المرحلة مُنذ مدة طويلة ونحن ندرس الآن موضوع العلاقات بين الأجناس والتفرقة العنصرية).

لذلك يتوقف ظهور أثر القيادة الناجحة وأساسها الصحيح عند تخطيط البرامج، على قدرة الرائد واستعداده لفتح آفاق جديدة من الأعمال والأفكار لجماعته، وعلى قدرته واستعداده كذلك على تحديد مجال هذه الآفاق إذا ما لاحظ أن جماعته ما زالت غير مستعدة لتقبلها.

وفي بادئ الأمر لابد للرائد أن يبذل جهدا كبيرا ووعيا وسيعا كي يعد للنادي مواد لموضوعات مناسبة تصلح للمناقشة في الاجتماعات، وبعد ذلك، وبالتدريج، نجد أن الرائد قد تكونت لديه حاسة إضافية يستطيع بها أن يقول مثلا: "أن هذا الشيء يصلح لجماعتي".

وتسجيل الرائد المستمر لأفكاره، يولد لديه القدرة على أن يحتفظ في ذاكرته دائما بصور واضحة لاحتياجات ومطالب جماعته، كما تجعل هذه الاحتياجات والمطالب تعيش دائما مع الرائد في دائرة اهتمامه وضمن نواحي نشاطه المختلفة.

والأفكار والمقترحات المفروض أن يتقدم بها الرائد إلى لجنة البرامج في النادي، يُمكنه أن يستقي مصادرها من قراءاته العادية للمجلات والأخبار والقصص المصورة في الجرائد اليومية، ومن برامج الراديو، ومن النقط التي تثار أثناء المناقشات العامة التي يحضرها، وكذلك من الملاحظات العابرة التي يبديها المراهقون أنفسهم.

والدليل على ذلك أن مجلة واحدة خلال شهر واحد صدرت فيها عدة مقالات يصلح معظمها لأن يكون مادة للمناقشة في اجتماعات النادي وهي:

١- ماذا تعني الولايات المتحدة بالنسبة لي- وهو مقال كتبه واحد من الزنوج استطاع عن طريق إيمانه بحقه ومثابرته وإصراره عليه، ضد أي نوع من أنواع الشذوذ أو التفرقة في الحياة، أن ينجح في تأسيس عمل مريح له، وذلك في أعماق جنوب الولايات المتحدة. وهذا المقال لا ريب يمد الجماعة بأفكاره كثيرة إذا ما فكروا في مناقشة موضوع العلاقة بين الأجناس والتفرقة العنصرية.

٢- عرض بياني تخطيطي "للقانون الأمريكي لحقوق المواطن" ويمكن أن يصبح كل حق من الحقوق الواردة في هذا القانون كأساس للمناقشة مع أعضاء النادي حول المعاني التي يتضمنها هذا الحق، والمسئوليات الطبيعية المترتبة عليه.

٣- "تعليم مواد التربية الأساسية، مادة بعد مادة".

وهذا عرض لنظرية جديدة في التربية يصلح أساسا للمناقشة. وتنادي هذه النظرية بضرورة معالجة تعليم كل مادة من المواد الأساسية (القراءة- الكتابة- والحساب) على حدة، ولوقت طويل وكاف حتى يتولد لدى الأفراد الإحساس بها واستساغتها.

ولا ريب أن لدى طلبة وطالبات المدارس الثانوية أفكار هامة يودون التعبير عنها حول هذا الموضوع.

٤- وثمة مقال آخر هام يدور حول "الطريق إلى الإيمان الصادق" ولا شك أن كل كلمة وكل نص في هذا المقال، يُمكن أن يثار حولها الكثير من الأسئلة والاستفسارات.

٥- "كما يرانا الآخرون" وهو عرض وتلخيص لكتاب بطريقة مختصرة ولكن فيها إثارة كافية تدفع المراهقين ليناقشوا وجهة نظر الأجانب في المجتمع الأمريكي.

٦- "العناصر التافهة المستهترة تستنزف قوة الأمة". وهي مقالة في صفحة واحدة توضح تزايد المسؤوليات نحو الشعب والتي أخذت الحكومة في أن تتولاها؛ ويثير المقال في آخره تساؤلا هو: "ما الذي ستفعله هذه السياسة نحو الشباب وروح المبادأة والابتكار عنده؟".

كما أن هناك مجلة أخرى نشرت مقالة تستعرض فيها سلسلة من الكتيبات التي تتحدث عن التوجيه المهني للمراهق، وقد تناول كل كتيب نوعا من العمل أو المهنة، وحدد المؤهلات المطلوبة له ومستقبل المهنة أو الوظيفة والمرتب الأساسي بالتقريب الذي سيبدأ به الموظف.

ولا ريب أن في المجلتين السابق الحديث عنهما، مادة تصلح لما لا يقل عن عشرين اجتماعا للنادي، والقائد الناجح هو الذي يصر على أن يعرض كل ما يُمكن جمعه من مواد تصلح للبرنامج، ويدرس أولا بواسطة لجنة البرامج بالنادي، وهناك احتمال أن ترفض اللجنة كل ما يعرض عليها.

ورغم ذلك فالحقيقة التي تبقى دائما هي أن الرائد بذل كل جهده ليعاون الجماعة، وهذا بلا شك يؤكد اهتمامه الإيجابي بالجماعة ويجعله واضحا في عقول أعضائها، وربما يحدث بعد أسابيع قليلة أن يطلب أعضاء الجماعة بعض الأشياء التي سبق لهم رفضها أول الأمر.

وقبل أن نترك الحديث عن هذا الموضوع العام المتعلق بالتخطيط قصير المدى، نود أن ننوه هنا ببعض الاتجاهات السلبية للراشدين، والتي تبدو في تصرفاتهم وأفكارهم، وهي اتجاهات يحسن أخذ الحذر والحيطة منها، حيث أنها تقيد من الحرية الممنوحة للمراهقين ليخططوا بأنفسهم برامجهم. فمثلا هناك رواد يفترضون أنهم يعرفون أحسن من الأعضاء، هذا إلى جانب الفكرة الخاطئة التي تقول بأن المراهقين يتوقعون من الراشد أن يجيب عن كل أسئلتهم حتى لو لم يكن عارفا بالجواب.

كما أن لدى بعض الرواد استعدادا خاصا نحو عدم المرونة، وهذا يبدو واضحا حينما يشعر الرائد بالقلق وعدم الصبر، نظرا لأن جماعته غير مستقرة وتنتقل من موضوع إلى آخر دون أن يكون لديها القدرة على الثبات وتحديد مطالبها.

كما أن عدم مرونة الرائد يظهر حينما يبدو عليه الخوف، من أنه إذا لم يتلق المراهقون الإجابة الكاملة لأسئلتهم في حينها، فلن تسنه لهم الفرصة بعد ذلك لتلقيها، وينسى الرواد أن هناك العديد من السبل والوسائل ليتعلم منها المراهق معاني الحياة، وأن المراهق يريد أن يكتشف ويجرب شتى هذه السبل والوسائل، لا أن يكتفي بالوسيلة التي اكتشفها الرائد واتخذها لنفسه.

وأخيرا، وبالإضافة إلى المواد الخاصة بالبرنامج وإلى ضرورة أخذ الحذر من الاتجاهات السلبية المذكورة آنفا، فإن تخطيط البرنامج قصير المدى يتضمن الوسائل والأساليب التي تمكن الرائد من بذل الجهد، لمساعدة أعضاء النادي لكي يعملوا ويلعبوا متضامنين وفي تجانس مستمر كأعضاء في جماعتهم الخاصة، وفي مجال أكبر من ذلك خلال النشاط المشترك بين أكثر من ناد، كما أنه يتضمن الوسائل والأساليب التي من شأنها تعليم المراهقين كيف يضعون ويُحددون لأنفسهم أفكارا وأهدافا وأغراضا خاصة بهم، وكيف يمكنهم الفهم والتسامح مع الآخرين ممن لديهم آراء تخالف آراءهم، وكيف يمكنهم معرفة وتحديد الظروف والأحوال التي لا يسمح فيها بالمساومة والمهادنة، والظروف التي يسمح فيها بذلك وكيف تكون المهادنة. ومتى يُمكن لهم اتخاذ الموقف الحازم في بعض الأمور دون أدنى تحيز في سلوكهم واتجاهاتهم.

وهكذا نرى أن التخطيط للبرامج طويلة المدى هو في الواقع محصل مجهود الكبار، الذي يبذلونه في التنبؤ وحسبان شتى احتمالات ومتطلبات المستقبل حتى يُمكن على أساسه توجيه طاقة المراهقين نحو مواجهة احتياجاتهم والوصول بها إلى أحسن النتائج.

أما تخطيط البرامج قصيرة المدة فيكون نتيجة لمجهود أعضاء النادي، لمواجهة احتياجاتهم الخاصة، من خلال الاجتماعات الجدية، ومن خلال النشاط الاجتماعي ونواحي النشاط الرياضي، كل ذلك داخل إطار تنظيم النادي. وطبعا تتم مساعدة الأفراد والجماعات في هذه الحالة عن طريق سعة أفق وحيلة الراشد في اختيار المواد المناسبة والمفيدة لاجتماعات النادي، كما تمتد وتتسع هذه المساعدة للأفراد والجماعات بواسطة القائد الناجح حينما يرشدهم إلى كيفية استخدام هذه المواد وكيفية تخطيط نواحي النشاط الاجتماعية المناسبة والممتعة.

ومن الواضح أن التخطيط طويل المدى، والتخطيط قصير المدى للبرامج، قد ينفصل كل منهما عن الآخر أحيانا وقد يندمجان معا أثناء عمليات التطبيق، أما من الناحية النظرية فإن الاثنين يتحدان معا ليكونا ما نسميه تخطيط البرامج.

الفصل الحادي والعشرون

تخطيط أول برنامج مع الجماعة

عندما استعرضنا في الفصل السابق التخطيط طويل المدى للبرامج ناقشنا الخطط والاستعدادات التي يُمكن اتخاذها مقدما عند إنشاء مؤسسة للمراهقين. وحينما استعرضنا التخطيط قصير المدى للبرامج ناقشنا المبادئ العامة وأساليب التخطيط اللازمة للرائد في عمله وعلاقاته مع أية جماعة من الجماعات.

ونستعرض في هذا الفصل بعض الاقتراحات الخاصة، والتي تتناول ما يجب أن يفعله الرائد من أول لحظة يتم فيها انتخاب القادة من الأعضاء لمناصب النادي المختلفة، حتى انعقاد أول اجتماع لمناقشة أغراض النادي، وما يجب أن يفعله من أول لحظة يتم فيها تعارفه فكل فرد من أعضاء النادي، حتى البدء في أول برنامج للنادي.

فإذا ما كانت الجماعة جديدة وجب أن تخصص الاجتماعات القليلة الأولى لمناقشة خطة تنظيم النادي. أما إذا لم تكن الجماعة حديثة التكوين، أو كانت جماعة عادية (أي جماعة من الفتيان والفتيات الذين يعرف بعضهم بعضا ولكنهم يجتمعون لأول مرة كناد) فربما يكون لديهم بعض الآراء المحددة فيما يتعلق بانتخاب الأعضاء لتولي المناصب القيادية في الجماعة وكذلك نوع البرامج التي يرغبونها، وهذا طبعا يسهل المسألة بالنسبة للرائد، ويعطيه الوقت الكافي ليقيس درجة نضج الجماعة. وسواء أكانت الجماعة

حديثة التكوين أم لم تكن، فيجب على الرائد أن يقوم بوظيفة رئيس الجلسة في الاجتماعات الأولى حتى يتم انتخاب رئيس دائم أو مؤقت للجماعة، ومهما تكن الظروف والأحوال الاجتماعية لأعضاء الجماعة وللرائد نفسه، فإن استخدام كشف الرغبات أو قائمة الاختيار يعتبر ذا قيمة حقيقية. فهو بمثابة الخطوة الأولى للاسترشاد عند تخطيط البرامج مع الجماعة. ويُمكن للرائد بمجرد أن يستعمله أن يعرف حالا ما هي أنواع المواد اللازمة للبرنامج، والتي قد تحتاج إليها الجماعة، كما أنه يمكنه تكوين فكرة حول الترتيب أو النظام الذي قد تظهر به رغبات الأعضاء ومداها.

وفيما يلي نموذج لقائمة الاختيار أو كشف الرغبات. وقد حددت الموضوعات التي بها، بواسطة ١٠٠ فتى وفتاة قاموا بتسجيلها على الورق فرادى، وجاءت هذه الموضوعات نتيجة لسؤالين وجها إليهم على هيئة استفتاء:

١- ما هي أهم المشكلات الشخصية احتراما وتأثيرا في الشباب هذه الأيام؟

٢- ما هي أهم المشكلات العالمية احتراما وتأثيرا في الشباب في وقتنا الحاضر؟

"نموذج لكشف الرغبات أو قائمة الاختيار"

- كيف أنمو خلقيا نحو مرحلة الرشد السوية؟
- ماذا أفعل حيال التفرقة العنصرية والتعصب؟
- هل التعليم الجامعي ضروري؟.

– كيف أوافق بين عمل المدرسة ونواحي النشاط الأخرى؟

– السلوك القويم والمشكلات المتعلقة بالجماعة.

– كيف أحصل على عمل؟

– مشكلة النقود.

– ماذا يود صاحب العمل في المستقبل أن يعرف عني؟

– كيف أحسن العلاقة بيني وبين مدرسي؟

– المشكلات مع أولياء الأمور.

– ما هي الشيوعية؟

– ما هي الاشتراكية؟

– كيف أستطيع اكتشاف أخطائي وتصحيحها؟

– ماذا نستطيع أن نفعل حيال المراهقين في البلاد الأخرى؟

– كيف نستطيع فهم السياسة الأمريكية ونظام الحكم الأمريكي.

– كيف يمكننا أن نواجه العالم الخارجي كأفراد؟

– كيف نقود سيارة؟

– من هو المواطن الصالح؟

– الصعوبات التي تعترض السلام العالمي.

– كيف نفرق بين ما نواجه به من الآراء في الدين والأخلاق والسياسة؟

– التهديد بالحرب – القنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية.

- البطالة المحتمل وجودها.
- الشك في الآراء الدينية والسياسية في العالم.
- كيف أكتسب الأصدقاء وأحافظ عليهم؟

ويمكن طبعا عند التطبيق تعديل الموضوعات السابقة أو إعادة صياغتها، أو تصميم قوائم جديدة حتى تلائم أية جماعة خاصة، ومن المهم حقا ملاحظة أن كل الموضوعات المدرجة في القائمة السابقة، يُمكن أن تندرج تحت واحدة أو أكثر من الخمس المسائل الرئيسية العامة السابق ذكرها، والتي تشغل بأن المراهقين. ويمكن استخدام هذا النوع من القوائم بإحدى الطريقتين الآتيتين:

الطريقة الأولى: وزع على كل عضو من الأعضاء نسخة من القائمة، أو اكتب الموضوعات التي تحويها القائمة على السبورة ثم خذ الأصوات الجماعية بعد المناقشة لتقرير مدى حيوية كل موضوع بالنسبة للأعضاء. ثم خذ الأصوات مرة ثانية على الخمسة أو الستة الموضوعات الفائزة بغالبية الأصوات، حتى يُمكن ترتيبها بالنسبة لأهميتها تسهيلا لعملية الاختيار بعد ذلك.

الطريقة الثانية: دع كل عضو على حدة وبدون أية مناقشة يختار خمسة أو ستة موضوعات يرى أنها جديرة بالمناقشة طبقا لأفضليتها، أو اطلب من كل عضو أن يرتب الموضوعات التي في القائمة ترتيبا تنازليا طبقا لأهميتها، وذلك على فرض أنه ستحدث عملية اختيار بينها. ثم خذ بعد ذلك أصوات الجماعة حول الموضوعات التي حصلت على الأغلبية، وذلك بقصد

أن تختار الجماعة من بينها الموضوعات التي ترى تضمينها في البرنامج وكذلك بقصد معرفة ترتيب كل منها.

ومن الواضح أن تطبيق الطريقة الأولى يتطلب اجتماعا واحدا، في حين تتطلب الطريقة الثانية اجتماعين حتى يجد الرائد الوقت الكافي له ليستخرج نتائج الاختيار الذي قام به الأعضاء.

وللطريقة الثانية فائدة اكبر من الطريقة الأولى، لأن الرائد يكتسب بها معرفة رغبات كل الأعضاء حتى لو لم تذكر الأسماء على قوائم الاختيار. إذ يجب أن تترك للأعضاء حرية التوقيع بأسمائهم إذا رغبوا في ذلك، ومن الطبيعي أن من يوقع منهم باسمه يثبت أنه يثق بنفسه ثقة حقيقية. وكذلك يستفيد الرائد من هذه الطريقة الثانية بمعرفته لموقف كل عضو في الجماعة ومدى نضجه. فالأعضاء الذين يهتمون بالموضوعات المتعلقة بالمشكلات الشخصية يكونون أقل نضجا، في حين أن الأعضاء الذين يهتمون بالمسائل الدينية وبوجهات النظر المختلفة لمعاني الحياة عامة، وبالمسائل المتعلقة بالمسئوليات الاجتماعية، يكونون في الغالب أكثر نضجا.

ولكن من الأهمية بمكان على كل حال، ألا يأخذ الرائد نتائج قوائم الاختيار هذه قضية مسلمة، طبقا لما توحي به قيمتها الظاهرية وخاصة إذا ما كان الرائد جديدا بالنسبة للجماعة، لأنه قد تتأثر عملية الاختيار أحيانا بميل المراهقين الطبيعي لإخفاء شعورهم – وعواطفهم الحقيقية، حتى يتأكدوا من أن الراشد أصبح محل ثقتهم.

وثمة طريقة أُخرى تعطي للرائد صورة أقرب ما تكون إلى الدقة عن أحوال الجماعة بالنسبة لدرجة نضجها، وهي بأن تتم مناقشة الموضوعات بطريقة جماعية، وتتم عملية تفضيل جماعية للموضوعات ثم يتبع ذلك عملية اختيار فردي تتاح الفرصة فيها للعضو أن يفكر على مهل في الموضوعات المعروضة عليه. وهذه الطريقة تتيح الفرصة للرائد ليحدد مستويات للأعضاء، فالذين لديهم الشجاعة الكافية للتحدث والاشتراك في المُناقشة، من المحتمل أن يكون لديهم الاستعداد للقيادة، وهؤلاء الذين تعوزهم الشجاعة الكافية للتحدث ولكن لديهم بعض الأفكار والآراء التي يسهمون بها لأصدقائهم، يكون لديهم الاستعداد للعمل كأعضاء في اللجان، أما أولئك الذين يختلفون عن النوعين السابقين فهم الذين يحتاجون إلى كثير من المساعدة. وبمرور الوقت سيظهر بلا شك، إذا ما كان اختلاف هؤلاء الأفراد عن ذويهم، مرجعه إلى خجلهم الطبيعي الذي يمنعهم من إظهار رغباتهم الحقيقية، والذي يخفي من ورائه في نفوسهم شعورا عميقا بعدم الأمان، أو ربما يظهر بمرور الوقت أن لهؤلاء الأفراد قدرات فذة، ويتمتعون بمواقف دون أقرانهم، تمكنهم في النهاية من المساهمة الفعالة لصالح الجماعة، إذا ما أمكن اكتشاف مثل هذه المواهب والقدرات وتشجيعها.

ولا ريب أن التقسيم السابق للأعضاء هو تقسيم تقريبي، واستخدام مثل هذا الأسلوب في التقسيم هو فقط لمصلحة عمل الرائد فبهذه الطريقة دون سواها، يستطيع الرائد أن يقيس بسرعة مدى حيوية الجماعة، كما أنه في سبيل وضع برنامج مفيد، لابد للرائد أن يلم في أسرع وقت ممكن بأحوال وظروف الأعضاء والجماعة نفسها.

وبعد أن تقرر الجماعة مادة الموضوع الذي تراه هاما بالنسبة لها، يحسن أن تترك لها الحرية لمناقشة الأسلوب الذي تريد به معالجة ودراسة هذا الموضوع، فهناك عدة أساليب مثل:

١- الاستعانة بمتحدث خارجي ليشرح لهم بعض المعلومات التي يشعرون باحتياجهم إليها.

٢- أو أن تتم مناقشة الأمر فيما بينهم ليقرروا مدى قدرتهم على القيام بهذا العمل بمفردهم.

٣- تكليف عضو أو أكثر من الأعضاء لجمع المعلومات من الخارج حول هذا الموضوع وتقديم تقرير عنه في الاجتماع التالي، ويمكن أن يتبع عرض هذا التقرير مناقشة، أو دعوة متحدث من الخارج، أو أن تتم العمليتان معا. وربما تفكر الجماعة في غير ذلك من أساليب. وعلى أي الأحوال مهما يكن قرار الجماعة فلا بد أن يكون هذا القرار نابعا منهم.

ومثال ذلك أن إحدى جماعات الفتيات قررت دراسة موضوع "العلاقات بين الفتى والفتاة" بحيث تتم دراسة هذا الموضوع على هيئة مناقشة داخلية في جماعتهن، وأثناء مناقشة هذا الموضوع ذكرت كثيرات من "العضوات" عدة أشياء يفعلها الفتيان ولا تعجب الفتيات، وذكرت "عضوات" أخريات أفعال الفتيان التي تعجب بها الفتيات، وحاولت "العضوات" تحديد الأسباب التي تدفع الفتيان إلى عمل ما يعجبهن وما لا يعجبهن من أفعال وكانت النتيجة أن قررن عمل قائمة بكل ما يمكنهن التفكير فيه من حيث هذان النوعان من الأفعال التي يقوم بها الفتيان.

وكانت الخطوة التالية هي قرار بتحويل هذه القائمة إلى جماعة من الفتيان ومطالبة هؤلاء الفتيان بإعداد قائمة مماثلة وإرسالها لهن. وقد استخدمت كلتا الجماعتين هاتين القائمتين كأساس للمناقشة في عدة اجتماعات. وفي الاجتماعات الأخيرة تبادلت الجماعتان تقارير بنتائج المناقشات التي دارت أثناء الاجتماعات المتكررة وبعد الاطلاع على التقارير، قررت الجماعتان أن هذه المناقشات أوضحت كثيرا من الأمور وقربت بين وجهات نظر الطرفين بطريقة أفضل.

وبذلك قررت الجماعتان معا إقامة حفل مشترك لأعضاء الجماعتين، وقضوا معا وقتا طيبا، وكان نتيجة هذا كله أن هاتين الجماعتين اشتركتا معا بعد ذلك في سلسلة من الاجتماعات لدراسة موضوع غير متوقع وهو: "الطريق على السلام العالمي".

وبديهي أن كل النتائج لا يُمكن أن تكون حسنة كنتيجة التجربة السالفة، ولكن النتائج الممكنة التي قد نصل إليها دائما جديرة بأن تجعلنا نترك الجماعات تجتاز وحدها تجربة تقرير ما يُمكن أن تفعله بمفردها، وإلى جانبها يقف الرائد مستعدا لمعاونتها في أي وقت. ولا ريب أن كثيرا من الكبار كان يداخلهم اليأس، لو أنهم عاصروا الخطوات الأولى لبرنامج الجماعة في المثال السابق، الذي استغرق عدة اجتماعات، إذ كان يبدو كأنه ضياع للوقت في أشياء وأمور سطحية، ولكن رائدة جماعة الفتيات هذه، كانت تدرك أن فترة المراهقة هي الفترة الطبيعية والمناسبة للفتيان والفتيات ليبدأوا فيها التعارف فيما بينهم، حتى يصبحوا أكثر تقاربا.

ولما كانت الصراحة والأمانة بين الجنسين هي من الأمور الهامة، التي تجنب المراهقين في المستقبل كثيرا من الآلام، لذلك وجدت الرائدة أنه لأمر جميل في حد ذاته لهؤلاء المراهقات، أن يكتشفن أن من الممكن للفتيان والفتيات استعمال الصراحة والأمانة بعضهم مع بعض، في حدود الآداب والتقاليد المرعية. وفي الحقيقة أن الجماعتين السابقتين قد استغرقتا وقتا قليلا في معالجة موضوع العلاقات بين الفتى والفتاة، ثم تركتاه إلى موضوع أكثر تعقيدا، وذلك في وقت قصير بالنسبة لبعض الجماعات الأخرى، التي تبدأ أولا معالجة أحد الموضوعات المعقدة.

ولا ريب أن المقارنة بين الجماعات بهذه الطريقة ليست دائما مقارنة دقيقة فربما تكون جماعة الفتيات التي اختارت البدء في دراسة الموضوع السابق، قد شعرت بالحرية مع رائدتها، أكثر مما شعرت بها بعض الجماعات الأخرى. لذلك أظهرت "العضوات" شعورهن الطبيعي ورغبتهن الحقيقية عند أول اختيار للموضوعات.

وليست هناك وسيلة لمعرفة ما هي السرعة التي تسير بها الجماعة في تقدمها، ولماذا تتقدم جماعة أسرع من جماعة أخرى، ولكن على العموم فإن العلاقة بين الرائد والجماعة تؤثر إلى حد ما في قرارات الجماعة وتقدمها.

وليست هناك قواعد ملزمة بالنسبة لكيفية البدء مع الجماعة في أول اجتماع لها. وكل ما يُمكن عمله لمساعدة الرائد ليبدأ مع الجماعة بطريقة صحيحة، هو أن نذكر له هنا بعض الأشياء التي يجب أن تتوافر لديه، ونقترح عليه بعض الأساليب فيما يتعلق بطريقة البداية مع الجماعة:

– كن صديقا مخلصا للأعضاء، ولكن لا تظهر تحمسا مفرطا في مثل هذه العلاقة، فالمراهقون يأخذون في امتحان الرائد الجديد لمدة شهر أو أكثر، ويجب عليه ألا يتوقع اكتسابه ثقتهم بسرعة، ولكن سيساعده عطفه وإخلاصه لهم على ذلك في مدة أقل.

– من الضروري أن يقوم الرائد بوظيفة رئيس الاجتماعات حتى يتم انتخاب رئيس للجماعة. فإذا كانت الجماعة جديدة، فمن المستحسن أن يتحدث الرائد مع الأعضاء عن قائمة الاختيار، ويشرح لهم أغراضها، ثم يقترح عليهم أخذ الأصوات على أي الأمرين يصح البدء به، هل هو انتخاب المناصب القيادة للجماعة، أم ملء قائمة اختيار موضوعات البرامج.

فإذا ما اختار الأعضاء البدء بقائمة الاختيار فسيتولى الرائد إدارة الاجتماع الأول وأية اجتماعات تالية تتناول محتويات القائمة وذلك حتى تتم عملية انتخاب المناصب القيادية في الجماعة. وبمجرد أن تنتخب الجماعة رئيسها، يجب على الرائد أن ينسحب ويترك للرئيس أو الرئيسة أمر إدارة الاجتماع.

وهذا الإجراء كفيل بأن يبرز للجماعة أن غرض الرائد هو معاونة الجماعة، وليس إدارتها. أما إذا قررت الجماعة اختيار المناصب القيادية أولا، فعلى الرائد أن يستأذن الرئيس للتحدث إلى الجماعة عندما يحين الوقت لمناقشة البرامج. وبديهي أن هذا الأسلوب المهذب في المعاملة يقوي من مركز الرائد في علاقته بالجماعة، أنه الخطوة الأولى لخلق جو تعود الأخذ والعطاء الضروري، حتى يتهيأ للرائد المجال الصالح لمعاونة الجماعة.

وأثناء حديث الرائد إلى الجماعة يمكنه أن يقترح عليها استخدام قائمة الاختيار، تاركا للجماعة بعد ذلك حرية رفض هذه الفكرة. ولكن الاحتمال دائما هو تقبل الجماعة لاقتراح الرائد، فإذا كانت الجماعة حائرة وليس لديها وسيلة ما، لكي يعرف الأعضاء أي الموضوعات يختارها، فيمكن للرائد أن يقترح عليهم أن يدونوا في القائمة كل ما يعن لهم من رغبات وآراء، ويمكن الوصول بعد ذلك إلى قرار عن طريق المناقشة وأخذ الأصوات.

وعند نهاية أول اجتماع تنظيمي للجماعة يُمكن للرائد أن يقترح عقد اجتماع من القادة الجدد من الأعضاء المنتخبين حديثا، ليناقش معهم الخطط القادمة الممكنة للجماعة. وكقاعدة فإن القادة الجدد يرحبون دائما بهذا الاجتماع، لأنهم كثيرا ما يشعرون بالخوف والرهبة من الحدث الجديد الذي صادفهم، بانتخابهم قادة والذي يعتبرونه شرفا عظيما لهم ومسئولية كبيرة على عاتقهم. وأنه لمن المفيد حقا أن يتم تعرف الرائد في أسرع وقت ممكن بالقادة الجدد من الأعضاء وأن يقوي الثقة به في نفوسهم، وحينما يتم ذلك تسري بين أعضاء الجماعة كالدوى كلمة تقول: "أن الرائد لا بأس به". وفي هذا الاجتماع مع القادة الجدد يُمكن مناقشة أنواع اللجان اللازمة للجماعات، كما يُمكن في هذا الاجتماع إبراز أهمية المبدأ الذي يقول بضرورة قيام كل فرد من أعضاء النادي بعمل.

والشيء الوحيد المؤكد بالنسبة للاجتماع الأول هو أن الرائد يقوم فيه مؤقتا بوظيفة رئيس الجلسة، ويتوقف على مدى التفاهم بينه وبين الجماعة ما سوف يتخذ من قرار فيما يتعلق بالخطوة التالية.

وإذا ما كان لدى الرائد أفكار وأساليب متعددة، فلن يكون من المتعذر عليه أن يختار من بينها، أو يجد فكرة أحسن منها، عندما يلتقي وجها لوجه مع الجماعة. وعلى العموم فقد ثبت أنه من الحكمة للرائد أن يحتفظ بخططه وأغراضه وأفكاره لنفسه، حتى يتأكد إلى أي مدى أصبح مقبولا من الجماعة، وحينما يتم تكوين علاقة سهلة وحرة بين الجماعة والرائد، تقل درجة الخوف من اقتراب الرائد بسرعة من الجماعة، وليس معنى ذلك أنه يجب على الرائد أن يخشى التحدث إلى الجماعة أو التأثير فيها، ولكنها مسألة تقدير للوقت المناسب والاستغلال الحسن لمبدأ الاستعداد النفسي لدى الجماعة.

وهذا المبدأ يقرر في بساطة أن أي فرد يُمكن له تقبل وتعلم أفكار جديدة بمنتهى السهولة، في اللحظة التي يكون قد وصل اهتمامه بها إلى أعلى درجة ممكنة.

وأخيرا فإن الاجتماعات التي تتم في الأسابيع القليلة الأولى لها أهمية قصوى بالنسبة لمستقبل الجماعة، وبالنسبة لأثر التخطيط طويل المدى للبرامج. ولا يخطئ الرائد الذي يعمل في هذه الأسابيع الأولى بمنتهى البطء، ولكن في ثقة ويقين.

الفصل الثاني والعشرون

تخطيط البرامج الأُخرى

لابُد من وجود لجنة للبرامج في أي جماعة من الجماعات المنظمة تنظيما حسنا، وتكون مهمة هذه اللجنة هي دراسة الأفكار التي تنبثق تلقائيا من الجماعة كنتيجة لقوائم الاختيار، أو من الاقتراحات المباشرة أو غير المباشرة التي يقدمها الرائد. ثم تعمل بعد ذلك على وضع خطة مقترحة لما يجب أن تسير عليه الجماعة.

ويستطيع الرائد عن طريق التعاون الوثيق مع مثل هذه اللجنة، أن يؤثر في الجماعة ويعاونها على التقدم بتفكيرها وعلى النمو، وأحيانا يُمكن للرائد الذي يعمل متعاونا مع اللجنة أن يقترح برنامجا مناسبا لم تكن الجماعة أو اللجنة قد فكرت فيه من قبل، وأحيانا يستطيع الرائد الفطن أن يلتقط ملاحظة أو جزءا من محادثة بين الأعضاء، تصلح لأن تكون مفتاحا لبرنامج مقترح. وسنسرد فيما يلي نموذجين: أحدهما يبين كيف أن برنامجا تم اختياره عن طريق قائمة الاختيار ثم عهد به إلى لجنة الدراسة ثم أعيد بعد ذلك إلى النادي، فتفتحت به عدة مجالات واسعة لبرامج ممكنة منبثقة من الموضوع الأصلي الذي كان قد تم اختياره. أما النموذج الثاني فهو كيف أمكن تحويل ملاحظة عابرة سمعت إلى مادة لبرنامج.

النموذج الأول: (السلام العالمي)

إذا لم تكن لدى النادي لجنة برامج، فيمكن للرائد أن ينبه رئيس النادي إلى أن دراسة مثل هذا الموضوع الكبير (السلام العالمي) يُمكن تناولها بنجاح إذا قسم الموضوع إلى أجزاء، لذلك فمن الحكمة تكوين لجنة للإعداد له، وترتيب ما يلزمه ثم يتبع ذلك الاتفاق مع رئيس لجنة البرامج المشكلة لعقد اجتماع للمناقشة مع جماعته، فإذا كان رئيس اللجنة يجيد إدارة المناقشات فمن المستحسن تركه (أو تركها) يستمر، أما إذا لم يكن كذلك فهذه فرصة سانحة للرائد ليعلم أعضاء اللجنة (الأسس والأساليب الصحيحة للمناقشة). وعند بدء الاجتماع يجب أن تترك الفرصة لكل الأعضاء ليعبروا عن أفكارهم التي يقترحونها لسلسلة من الاجتماعات.

ويُمكن للرائد أن يقترح أن تحدد اللجنة كرءوس موضوعات كل الصعوبات التي تعتقد أنها تعترض "السلام العالمي" على أن يقوم رئيس اللجنة بتقديم رءوس الموضوعات هذه للنادي، في اجتماع قادم، ويطلب أخذ الأصوات على رأس الموضوع الذي يهم الأعضاء أكثر من غيره. وقبل أن يتم اجتماع النادي التالي يجب على الرائد أن يتخير عدة مواد احتياطية للبرنامج، أو يعد مواد جديدة ذات قيمة، تصلح أساسا لمعالجة كل موضوع من رؤوس الموضوعات التي سبق أن حددتها اللجنة.

وبعد أن يعرض رئيس اللجنة تقريره الذي يحوي رؤوس الموضوعات على أعضاء النادي، وقبل أن تبدأ عملية أخذ أصوات الأعضاء عليها، يحسن بالرائد أن يطلب السماح له بالتحدث إلى الجماعة، ثم يضع أمام أعينها كل المعلومات الممكنة والتي تصلح كمواد مفيدة لاجتماع أو أكثر، لمعالجة كل

موضوع من رؤوس الموضوعات التي وردت في تقرير رئيس اللجنة. ثم يجب على الرائد أن يجلس صامتا بعد ذلك ويترك الجماعة بقيادة رئيسها، يستمر في المناقشة من حيث انتهى هو، وتختار بحرية ما تراه مناسبا لها. ولسنا في حاجة إلى القول بأن على الرائد أن يجيب عن أي استفسار يوجه إليه من أعضاء الجماعة، ولكن يجب عليه ألا يؤثر في المراهقين عند عملية الاختيار.

وهناك احتمال في أن تكون النتيجة ضرورة عقد عدة اجتماعات، فربما يقررون أن الحالة الاقتصادية هي العقبة الكبرى في طريق "السلام العالمي"، وبناء عليه يرون من الأهمية مناقشتها، وهذه المناقشة قد تؤدي إلى بحث في الاحتياجات الأساسية للفرد من الطعام والكمية المتوفرة منه للشخص في هذا البلد ومقارنة ذلك بدول أوروبا.

وقد تُؤدي إلى بحث في معدلات الغذاء لدول العالم. وربما يصل الأمر بالجماعة إلى أن تقرر إرسال تبرعات دورية لإحدى المؤسسات الخيرية، أو تطلب الجماعة اسم وعنوان أسرة محتاجة في بلد آخر وتقوم بمساعدتها عن طريق إرسال خطابات التعارف والملابس والأطعمة لها.

وقد تقرر الجماعة أن اختلاف الأجناس هو العقبة الرئيسية في طريق "السلام العالمي". فيدفعها هذا إلى القيام بدراسة شائقة للأجناس المختلفة، لمعرفة ما هي الفروق الحقيقية القائمة بينها، وما هي الفروق غير الحقيقية التي تولدت نتيجة للتحيز والتمييز العنصري، أو ربما تخرج الجماعة عند هذه النقطة عن الموضوع الرئيسي للدراسة، وتقضي بعض الوقت في دراسة المشكلات المتعلقة بالعلاقة بين الأجناس والتفرقة العنصرية في بلادنا.

وقد يرجعون أسباب عدم ضمان قيام سلام عالمي إلى الاختلاف في أشكال الحكومات وهذا قد يُؤدي بأعضاء الجماعة إلى القيام بمشروع لمعرفة الأسباب التي تدعونا إلى الاعتقاد بأن نظام الحكم في الولايات المتحدة هو أحسن النظم، وربما يقودهم هذا إلى ترك الموضوع الرئيسي جانبا لفترة ليتدارسوا فيما بينهم، ما يجب عمله ليعدوا أنفسهم لممارسة الحياة النيابية.

وقد يقرر أعضاء الجماعة أن أسباب عدم قيام سلام عالمي هو التباين والاختلاف بين الأديان، وهذا يقودهم إلى التحري عن أنواع الديانات المختلفة في العالم، وربما يقتصر الأمر على مناقشة كيف يُمكن للإنسان أن يتبين أي العقائد أحسن وكيف يختار الإنسان لنفسه عقيدته. وقد يصل أعضاء الجماعة إلى تقرير عقد ندوة يدعى للحديث فيها ممثلون عن الأديان المختلفة وربما يقررون القيام بزيارة لعدد من دور العبادة التي تمثل كل دين من هذه الأديان.

والشيء الوحيد المؤكد هو أن الجماعة ستستمر في تناول موضوع واحد ما دامت تستشعر فائدة منه.

وعلى الرائد أن يفتح باستمرار أمام الجماعة أبوابا جديدة لأي موضوع. أن القدرة على التصور والمرونة هي معدات الرائد الرئيسية التي يعاون بها الجماعة أولا، لترى إمكان قيام برنامج حول موضوع معين، ثم لتستفيد أكبر فائدة ممكنة من موضوع البرنامج الذي اختارته.

النموذج الثاني: المُلاحظات العابرة

(وإمكان تحويلها إلى موضوعات للبرامج)

حدث أن تغيب أحد الفتيان عن حضور اجتماع النادي، فقال له زميله حينما قابله: "ماذا في الأمر؟ هل كان سبب تغيبك هو حدوث مشكلة مع والديك؟" وسمعت مرة فتاة تقول لزميلتها: "يا إلهي، إن لديك عدة صديقات فهلا أخبرتني كيف تستطيعين اكتساب كل هؤلاء الصديقات؟" وسمع فتى آخر يقول لزميله وهما في سيارة عامة: "أن العلم لديه الرد على كل استفسار أو تساؤل مما يجعل الإنسان في حيرة بين العلم والدين".

ومثل هذه الملاحظات العابرة – وهي دائمًا ما تتابع – تعطي للرائد المفتاح لاقتراح برامج ممكنة، إذ ربما يأتي على الأندية وقت تجد فيه نفسها، وقد استنفدت كل ما لديها من أفكار جديدة للبرامج. ويُمكن في هذه الحالة للرائد الذي يفتح أذنيه دائما أن يستفيد مما يسمع من ملاحظات عابرة ليقدم منها مقترحات لبرامج جديدة حينما ينضب معين الأفكار لدى أعضاء النادي.

ولنأخذ مثالا لذلك، والملاحظة الأولى السابقة، وكيف يُمكن لبرنامج أن يتولد منها، وكيف يُمكن للرائد أن يقترح البرنامج؟ إن الاقتراح يستحسن أن يقدم أولا على لجنة البرامج، ويمكن للرائد بمهارة أن يذكر لها أن هذه الملاحظة قد سمعت ثم يبدأ في توجيه سؤال إلى أعضاء اللجنة: "ما هي المشكلات التي تنشأ مع الوالدين؟" "وهل تعتقدون أن كثيرا من أعضاء الجماعة لديهم مثل هذه المشكلات؟".

ومن المُحتمل أن تكون الإجابة بنعم. وربما يصل الأعضاء– نتيجة للمناقشة– إلى قرار بدعوة شخص أو أكثر من أولياء الأمور لعرض وجهات نظرهم، لاسيما إذا لفت الرائد نظرهم إلى احتمال أن يكون لدى أولياء الأمور مشكلاتهم كذلك.

وربما يتخذ أعضاء اللجنة قرارا بعقد اجتماع لأعضاء النادي، لمناقشة الأسباب التي تؤدي إلى قيام مشكلات مع الوالدين، وما يُمكن أن يقوم به المراهقون بالنسبة لهذا الأمر.

ومرة أخرى ليست هناك وسيلة لمعرفة رد الفعل الذي قد يحدث نتيجة لتقديم الرائد لاقتراح من هذا النوع إلى الجماعة.

ويلاحظ أن من الممكن قيام برنامج على أساس ملاحظة عابرة سمعها الرائد، إذا ما كانت هذه الملاحظة تتضمن في طياتها إحدى المسائل والمشكلات العامة المعروفة (السابق ذكرها)، والتي تشغل بال المراهقين. أي أنه لابد لها من أن تحمل بذرة أو نواة لمشكلة عامة، حتى تصلح أساسا للمناقشة في الجماعة.

وقد تعجب الجماعة باقتراح من هذا النوع وربما تتجاهله، فأحيانا، ونتيجة لما يثيره اقتراح الرائد، عندما ينضب معين الأفكار لدى أعضاء الجماعة يصل هؤلاء الأعضاء إلى تقرير شيء مخالف تماما لاقتراح الرائد، فقد يصيحون: (تبا للبرامج، دعونا ننظم حفلا). وفي كثير من الأوقات يكون هذا القرار بالنسبة للجماعة حلا موفقا.

الفصل الثالث والعشرون

العوامل المساعدة على تخطيط البرامج وفائدتها

ليس من الممكن في كتاب كهذا أن نقترح برامج مفصلة لاجتماعات الأندية حتى ولو كان هذا من المرغوب فيه؛ لأن أهمية الحرية بالنسبة للجماعة تكون في خلق وتنفيذ برامج مفصل من اختيارها هي، تقضي على فكرة البرامج المعدة مقدما. وأن أية محاولة لوضع خطوط رئيسية لهذه البرامج والدفاع عن أهميتها، كفيلة بتحطيم الهدف من هذا النوع من الأندية الخاص بالمراهقين، والذي سبق أن تحدثنا عنه.

وقد أشرنا في الفصول التي مرت من هذا الكتاب إلى كيفية البدء في تخطيط البرامج، وكيفية تنمية برامج أخرى كما ناقشنا بالتفصيل ثلاثة موضوعات هامة من موضوعات البرامج، ولاستكمال فائدة الكتاب لابُد أن نناقش الوسائل المعينة على تخطيط البرامج وطريقة الاستفادة منها، كما سنقدم اقتراحات خاصة ببرامج النشاط الرياضي والاجتماعي ومشروعات الخدمة العامة، مما يقبل عليها الفتيان والفتيات ويحبونها والتي من الممكن أن تقوم جنبا إلى جنب مع البرامج الجدية لاجتماعات النادي.

الكتب

رغم أن الكتب يُمكن أن تكون ذات فائدة عظيمة فإنها أقل الوسائل المعينة على تخطيط البرامج استخداما. وهناك أسباب عدة لذلك؛ فقليل من الأندية لديها المكان الهادئ حيث يستطيع الأعضاء أن يجوسوا خلال الكتب في حرية وبطريقة مريحة في الوقت الذي يروق لهم. كما أن رفوف الكتب تبدو دائما في صورة قاتمة، ومظهرها الكئيب جدا لا يشجع المراهق على قضاء وقت بين الكتب كما أن الكتب نفسها في بعض الأحيان ينقصها عنصر التشويق أو المتعة.

فبعضها يكون كبير الحجم ومعقدا والبعض الآخر لا يحتوي إلا على قوائم بموضوعات تصلح للبرامج، ولا يوجد فيه أي دلالة أو توجيه إلى طريقة استخدام هذه الموضوعات لخلق اجتماعات جذابة وشائقة منها. وأن كثيرا من هذه الكتب يشبه إلى حد كبير الكتب والمراجع المدرسية التي يتحاشاها الفتى أو الفتاة وتهرب بعيدا عنها.

وهناك طرق عدة لتلافي هذه الصعاب؛ فمثلا يُمكن تخصيص حجرة صغير منفصلة يستخدمها النادي وتوضع بها بعض المقاعد المريحة وتزود بأضواء صالحة للمطالعة ومنضدة ورف للكتب. وإذا لم يكن هذا ممكنا فيكتفي بركن من حجرة كبيرة يصلح للسمر. ولا بُد أن يبدو رف الكتب نفسه جذابا ولافتا للنظر، ويستحسن أن يطلى بطلاء زاه أو يُمكن استخدام لوحات الملصقات الملونة بعد قصها إلى شرائح وتثبيتها على حافات الرفوف الخارجية. وإذا ما كانت الكتب مقسمة إلى خمسة أو ستة موضوعات رئيسية مما يهم المراهقين فإن من الممكن استخدام هذا التقسيم وترجمة عناوين

الموضوعات الرئيسية به، إلى لغة المراهقين السهلة التي يفهمونها وكتابة هذه العناوين بحروف مناسبة على الشرائح الملونة. ويستحسن تغيير الألوان والعناوين من وقت لآخر، كما أن الكتب ذات الأغلفة الكئيبة يُمكن جعلها تبدو أكثر جاذبية بتجليدها ببعض الأوراق ذات الألوان البهيجة. كما أن وجود مجلة حائط موضوعة على لوحة إعلانات بالقرب من رف الكتب، وتحمل بعض العناوين اللافتة مثل (ما هو الجديد في برامج النادي؟) يُمكن أن تلفت النظر إلى الكتب والكتيبات الجديدة والأفكار ومقالات المجلات وقصاصات الصحف التي تتحدث عن الأعمال الهامة التي يقوم بها المراهقون. وأن أي مراهق يستطيع عمل مجلة حائط ويمكنه وضع شعار النادي عليها، ويجب أن تكون مثل هذه المجلات مرحلة ومبهجة في كل محتوياتها. وأن استخدام القليل من الخيال لكفيل بأن يغري المراهقين ويجعل من السهل التأثير فيهم للاستعانة بما هو مطبوع (كالكتب) كوسائل مساعدة في تخطيط برامجهم.

عمل رف للكتب: يجب أن تختار وتوضع الكتب بكل عناية، ويجب القيام بعملية مراجعة لها من وقت لآخر لمعرفة الكتب التي استخدمت منها فعلا. ويستحسن بالنسبة للكتب التي لم تستخدم أن تسحب لفترة معينة. ومن الطرق الناجحة لمعرفة قيمة كتاب أو كتيب بالنسبة للمراهقين هو أن تتركه مصادفة على مائدة المكتبة، وسيقوم المراهقون إما بالتقاطه وتصفحه، وإما بقراءته وإما يهملونه بحكم العادة. ويمكن للرائد أن يستخدم هذه الحيلة عندما يعقد اجتماعا في منزله لقادة الجماعة أو اللجان، ليعرف بها أنواع الكتب التي يفضلونها، وهذه الطريقة لاكتشاف رغبات الأعضاء فيما يقرأون أثبتت نجاحها بشكل مدهش.

وقد قام أحد المديرين لعدة أندية بشراء الكتب والكتيبات التي أظهرها هذا الاختبار المبدئي إيمانا منه بصحة نتائج هذا الاختبار. مثال ذلك أن هناك كتيبا صغيرا يسمى "دعوة إلى كل المراهقين"، وقد ترك هذا الكتيب بمحض المصادفة على مائدة الكتب الخاصة بمكتب النادي، ولمحة الفتيان والفتيات على حد سواء، وقد حدث أن التقطه بعضهم وتصفحه ثم إعادة ثانية إلى مكانه والبعض أمسك به وقرأه من الغلاف للغلاف في نصف ساعة ثم علق عليه بقوله (إنه كتاب جيد)، أما البعض الآخر فقد طلب أن يأخذه معه إلى منزله. وأخيرا طلب كثير من رؤساء لجان البرامج في الأندية شراء نسخة منه لأنهم رأوا فيه مادة جيدة تدور حولها عدة مناقشات في الاجتماعات، وفعلا تم ذلك وحدث مثل هذا الأمر بالنسبة لكتاب صغير لطيف للفتيات وعنوانه "أخلاقك تنم عليك".

وإنه لمن الأهمية بمكان أن تعالج جميع الكتب الموجودة على رف الكتب، بطريقة من الطرق، وجها من أوجه القلق أو رغبات المراهقين المعروفة، ولا مانع أن يكون بعض الكتب الموجودة بسيطا، وبعضها الآخر مفصلا ووافيا، ولكنها جميعا يجب أن تكون من السهل قراءتها.

فمثلا كان أحد الفتيان يمتاز بأنه شديد الخجل وكتوم مما حير الرائد. وحدث أن التقط هذا الفتى أحد الكتيبات وطلب من الرائد السماح له باستعارته في المنزل، ولم يبين للرائد اسم الكتيب الذي أخذه. وبعد أيام قليلة أعاد الفتى الكتيب للنادي وقال لرائده: "لقد ساعدني هذا الكتيب كثيرا، ولكن هل لديك كتاب يتناول الموضوع بطريقة أكثر عمقا؟" وقد أعطاه الرائد كتابا بعنوان (عندما ينمو الفتى). وحينما أعاد الفتى هذا الكتاب قال للرائد: "شكرا جزيلا لك، لقد وجدت في هذا الكتاب ما كنت أبحث عنه". ولم

يعرف الرائد أبدا ما هو الشيء الذي كان الفتى يبحث عنه، ولكن على كل حال توطدت الصداقة بينهما واختفت ظاهرة الخجل من الفتى. وهذا المثال يبين دور الرائد في الوقوف بجانب العضو بروح مستعدة لتقديم أية معونة تطلب منه، كما أن هذا المثال يبين أهمية وجود عدة مواد وإمكانيات بصفة احتياطية في متناول يد الرائد.

ويجب أن يشعر المراهقون بالحرية في طلب استعارة الكتب إلى منازلهم، لذلك يلزم تطبيق نظام مبسط للمكتبات لضمان عودة الكتب. فيمكن مثلا لصق ظرف بشكل الحافظة على غلاف الكتاب من الداخل، ويوضع بداخل هذا الظرف بطاقة مفهرسة بها عنوان الكتاب واسم المؤلف. ويحسن تدريب الفتيان والفتيات عند استعارتهم لكتاب ما، على كتابة أسمائهم على البطاقة ووضعها في صندوق مخصص لذلك، وعند إعادة الكتاب يجب عليهم أن يمحوا أسماءهم ويضعوا البطاقة داخل الظرف مرة أخرى، لأن هناك بعض الأسباب تجعل المراهقين يرغبون في اختيار الكتب واستعارتها في منازلهم دون أن يعرف الكبار نوع الكتب التي وقع عليها اختيارهم، ومن العجيب أن القليل من الكتب هو الذي فقد باستعمال هذه الطريقة في الاستعارة.

ويمكن تلخيص ما سبق ذكره من اقتراحات وتوصيات في الآتي: ضرورة وجود رف للكتب شكله جذاب بالنسبة للمراهقين ولتشجيع المراهقين على الإطلاع على الكتب الموجودة بالرف يستحسن تخصيص حجرة للمطالعة، أو على الأقل ركن من حجرة كبيرة. كما يستحسن وجود لوحة بجانب رف الكتب تعلق عليها مجلة حائط تحتوي عل كل ما يثير انتباه المراهق ويلفت نظره نحو الكتب والكتيبات الموجودة في المكتبة والتي قد تخدمه في

تخطيط برامجه ويجب إتباع نظام بسيط للمكتبة يتيح للفتيان والفتيات، حرية اختيار الكتب وأخذها لمنازلهم، وإعادتها بالتالي للمكتبة. ويجب اقتناء الكتب بالتدريج وبعناية فائقة كما يجب بذل الجهد لقياس رغبات الأعضاء واتجاهاتهم نحو أنواع الكتب. قبل القيام بعملية شراء كمية منها. ويجب اختيار مدى إقبال الأعضاء على الكتب الموجودة بالمكتبة بصفة دورية وسحب الكتب التي لا يقبل الأعضاء عليها لفترة معينة. وأن كثرة الكتب في المكتبة، أو كثرة غير المفيد منها بالنسبة للمراهقين، يجعلهم يحجمون عن استخدام المكتبة.

ملفات لمواد البرامج

إن وجود مجموعة من الأفكار والمقترحات التي تصلح كمادة للاجتماعات، وكمشروعات للخدمة العامة، وكمشروعات لجمع التبرعات، وكبرامج للحفلات، تعتبر كلها على درجة من الأهمية تعادل أهمية الكتب، بالنسبة لرئيس لجنة البرامج. ولكي تكتمل فائدتها، سيحسن تصنيف هذه الآراء والمقترحات طبقا لتجانسها وبطريقة يسهل الوصول إلى الاستفادة منها.

وأن إنشاء والاحتفاظ بسجل "ملف" يحوي مواد البرامج، يعتبر إحدى الوسائل التي تبرز لأعضاء النادي أهمية هذا النوع من المساعدة، كما أنه يساعد على إبراز أهمية وجود رف للكتب. وأن صندوقا من الخشب له غطاء متحرك، وحجمه مناسب، بحيث يسع "الملفات" الرسمية ذات الحجم العادي، يُمكن أن يخدم في هذه الحالة، كحافظة أوراق.

ويستطيع أي مراهق أن يصنع مثل هذا الصندوق، ويمكن طلاؤه بألوان زاهية، كما يُمكن وضع شعار النادي عليه، أو أي إشارة أخرى تظهر أنه يخص

أعضاء النادي لاستعمالهم الخاص، وعند بدء مثل هذا العمل لابد من وجود ما لا يقل عن خمسة سجلات "ملفات" بداخل الصندوق، كل واحد منها يخصص لإحدى المسائل العامة الخمس السابق ذكرها والتي تهم المراهق، ويمكن أن تكون العناوين الموضوعة على "الملفات" مطابقة للعناوين المكتوبة عل رف الكتب، ويستحسن وضع مثل هذا الصندوق بجانب رف للكتب، لتشجيع استخدام الاثنين.

أما محتويات "الملفات" فيمكن تجميعها بالتدريج، وكلما ظهر أن هناك مادة في محتوياتها أصبحت غير ذات موضوع، ولا تهم المراهقين، يجب رفعها على الفور من "الملفات"، هذا مع مراعاة عدم إتلافها أو التخلص منها، ولا سيما إذا كان النادي يقصر عضويته على طلبة وطالبات مدارس المرحلة الثانوية، حيث أن اقتصار العضوية على هذه المرحلة، يجعل عمر العضوية دائما في أي ناد، هو أربع سنوات. وفي هذه الحالة، فإن مادة البرامج تصبح دائما جديدة ولها قيمتها بالنسبة للأعضاء الجدد، على أن يكون الأعضاء القدامة قد استخدموا مثل هذه المادة واستفادوا منها.

ويمكن تشجيع الأندية على تضمين هذه "الملفات" تقريرا عن أهم الاجتماعات، موضحين فيه كيف تم اختيار الموضوع، وما هي النتائج التي توصلوا إليها فيه.

كما أن تقريرا عن أحد مشروعات الخدمة العامة الذي نفذ بنجاح يصلح تماما كمادة يُمكن تضمينها "الملف". وبهذه الطريقة يُمكن للأندية المختلفة مساعدة بعضها عن طريق الآراء والمقترحات المقدمة من كل. فمثلا قامت إحدى جماعات الأندية بمشروع خدمة عامة له صلة وثيقة بالاجتماعات

الخاصة بالعمل التي كانت تعقدها، فقد صنعت كل فتاة من "العضوات" أسبوعيا ملاءة لاستقبال الطفل عند الولادة، وقدمتها للمستشفى. ولم تخطر هذه الفكرة على أذهان أعضاء النوادي الأخرى، ومع ذلك فهي مشروع مفيد، يُمكن لباقي الأندية تقليده والقيام بمثيله، إذا ما عرفوا عنه شيئا.

ويمكن للرواد استخدام "الملفات"، بأن يضعوا فيها بعض مقالات الجرائد والمجلات التي بها آراء ومقترحات مفيدة لبرامج الأندية وذلك في الأماكن المخصصة لكل موضوع من "الملف"؛ فمثلا نشرت إحدى الصحف مشروعا قامت به سيدة من مدينة "بوسطن" ويتلخص المشروع في تنظيم عملية المراسلة للمراهقين الذين يرغبون في مراسلة زملاء لهم بالخارج، وكانت الفكرة تعبر عن احتياج حقيقي يشعر به المراهقون.

وكان على السيدة أن تبحث عن حوالي ستة متطوعين، يقومون بعملية تصنيف الخطابات الواردة من الفتيان والفتيات الأجانب والذين يرغبون في معرفة الكثير من المعلومات عن "أمريكا". كما كانت تحتاج إلى عدد آخر من المتطوعين، ليقوموا بتوزيع هذه الخطابات بعد ذلك على الفتيات والفتيان الأمريكيين. ولا ريب أن قصة من هذا النوع، حينما توضع في "الملف" الخاص بالمسائل المتعلقة "بخدمة المجتمع والعالم" يُمكن أن تثير في بعض الجماعات الحماسة، للاستفسار والقيام بعمل معين بخصوص هذا الأمر.

وأحيانا يلاحظ الرائد سلوكا يدل على عدم التفكير أو سلوكا فظا، من بعض طلبة المدارس الثانوية في سيارة عامة أو قطار، ولا ريب أن كتابة تقرير عن هذه الحادثة مع تذييله بالسؤال: "ما هو تأثير هذا في الرأي العام حول المراهقين؟"، يُمكن أن يصلح كمادة مناسبة توضع في "الملف".

كما أنه يُمكن عرض الموضوع كاقتراح لبرنامج تحت عنوان: "أنماط السلوك العام للمراهقين" وهو أسلوب آخر لتصنيف نفس الموضوع في "الملف".

ومن المستحيل هنا عمل شيء أكثر من إبراز أهمية مثل هذه "الملفات"، وأن استمرار عملية إنشاء مثل هذه "الملفات"، مع ترك الحرية للأعضاء والرواد لملئها وتزويدها بالمعلومات والبيانات، يحقق الفوائد الآتية:

في كثير من الحالات، يود المراهقون الحصول على بعض البيانات في اللحظة التي يشعرون فيها أنهم في مسيس الحاجة إليها، وأحيانا يريد الفتيان والفتيات بعض الأفكار، في موقف يكون من المتعذر على الرائد أو المشرف أن يتحدث معهم بشأنها، فإذا ما كانوا يعرفون أن هناك كمية كبيرة من الآراء والاقتراحات، مصنفة بحيث يسهل استخدامها، فإنهم سيتعلمون بسرعة طريقة الكشف في "الملف"، وكذلك سيتعودون الاعتماد على أنفسهم.

وإذا ما أدرك المراهقون أن "الملف" هو ملك خاص بهم. فستسارع جماعات النادي في تضمينه تسجيلا دقيقا، للاجتماعات الناجحة التي قاموا بها، حتى تستفيد منها باقي الجماعات، وربما يصادف الرائد في مثل هذه الملفات بعض الملاحظات المضحكة، أو يجد أن أحد الأعضاء قد استخدم الملف كوسيلة غير مباشرة لتوصيل رسالة إلى زميله أو زميلته.

هذا أمر يحدث كثيرا، وهو في الغالب شيء مسل، ويجب أن يقرر الرائد ماذا يعمل، إذا كان هناك شيء يُمكن عمله.

والفائدة الرئيسية لمثل هذه "الملفات"، هي إمكان تضمين كل الوسائل المعينة لوضع البرامج (عدا الكتب) في مكان واحد. وأن كثيرا من رواد الأندية، يحتفظون بمثل هذا "الملف" لاستعمالهم الشخصي. وأن الاقتراح الجديد هنا، لا يقضي بترك هذا الاتجاه من جانب الرواد، ولكنه يتلخص في ضرورة إنشاء ملف آخر أكثر سهولة وفي متناول يد جميع أعضاء النادي، طوال الوقت. وأن مثل هذا "الملف" إذا ما أعد إعدادا صالحا، جنبا إلى جنب مع رف الكتب، جدير بجعل درجة الاستفادة أكبر من الاثنين معا.

المتحدثون

يعتبر المتحدثون ممتازين، إذا ما أحسن اختيارهم من وجهة نظر المراهقين، ولكي يكونوا ناجحين لابد لهم أن يراعوا بعض النقاط وأن يعرضوها في وضوح وفي تركيز.

ويجب على الرائد، إذا كان هذا ممكنا، أن يتيح لنفسه الفرصة لدراسة استجابة المراهقين، على اقتراح اسم أحد المتحدثين، قبل دعوته (أو دعوتها) للتحدث إلى أعضاء النادي، وأن أية جماعة للمراهقين لا تستطيع أن تكون حذرة في إخفاء أشيائها أو عدم اهتمامها بل أنه بمجرد ما يفشل المتحدث في جذب انتباههم إلى حديثه، تظهر على التو، مظاهر عدم الرضا في صورة تحريك أقدامهم، والتململ في مقاعدهم، والهمس فيما بينهم، وتمرير الوريقات من شخص لآخر، وهي تحمل تعليقاتهم وملاحظاتهم، وكذلك استخدام لغة الإشارة بالأيدي أو التغامز، ورفع وتحريك الحواجب كعلامة من علامات الملل والسخرية. وربما يكون سبب حدوث مثل هذه المشكلة، إما موضوع الحديث المختار، وإما أسلوب وطريقة المتحدث نفسه، وهذا أمر

متروك للرائد، وهو الذي يكتشفه ويقرر أسبابه، ولكن على أية حال، فإن ظهور حالة من عدم الاستقرار في أية صورة من الصور تشير إلى وجود خطأ ما.

وإن أحسن المتحدثين إلى جماعات المراهقين، هو الذي يكتفي بمعالجة نقطة واحدة في حديثه على أن تكون هذه مطلوبة من المراهقين وتثير فيهم نوعا من التحدي والاهتمام، والمتحدث الناجح يشيع جوا من المرح بروايته لبعض النوادر، والتي مر بها كخبرات مع أسرته، وأن كل مثل أو نادرة يرويها لها مقصد وتخدم النقطة الأساسية التي يدور حولها حديثه. وهو لا يتحدث أكثر من عشرين دقيقة، ودائما ينهي حديثه بملاحظة جادة، وقطعا تكون نتيجة ذلك أن تظل المراهقون مشدودين إلى مقاعدهم، ويأخذون في التصفيق له مخلصين من صميم قلوبهم.

وتعتبر عملية دعوة المتحدثين كالمقامرة حتى لو أحسن اختيارهم، لأن مزاج المراهقين عند موعد بدء الاجتماع لا يُمكن التنبؤ به أو معرفة ما سيكون عليه. ولكن يُمكن للرائد القيام ببعض العمليات لكي يضمن بها نجاح الاجتماع إلى حد كبير وذلك قبل انعقاده؛ فيمكنه قبل الاجتماع بعدة أيام الحصول من الجماعة على كل ما هو ممكن من الأسئلة النوعية، التي يود الأعضاء من المتحدث تناولها في حديثه ثم يقوم بعد ذلك بتسليمها إلى المتحدث.

كما يُمكن للرائد وضع حد أقصى لميعاد الحديث، بحيث لا يزيد بأي حال من الأحوال، عن نصف ساعة، ويستحسن أن تكون مدته خمس عشرة أو عشرين دقيقة، كما يجب على الرائد أن ينبه المتحدث إلى وجود فترة

لطرح الأسئلة والمناقشة، إذا ما أرادت الجماعة ورغبت في ذلك. وحينما نتحدث عن الفترة المحدودة للأسئلة يجب أن نراعي عدم إنهاء الاجتماع فجأة، أو افتراض عدم وجود أسئلة، نظرا لأن الجماعة كانت بطيئة في التفكير ولم تسعفها الذاكرة لإثارة الأسئلة بسرعة. ويمكن تسهيل المهمة بالنسبة لهذا الجزء من برنامج الاجتماع وذلك بتوزيع بعض الأوراق التي يستطيع العضو تدوين أسئلته عليها ثم تعطى هذه الأوراق إلى المتحدث عند بدء فترة الأسئلة، فأحيانا نجد أن أحد المراهقين لديه سؤال هام، ولكن تنقصه الشجاعة ليسأله مشافهة لا سيما إذا كان سؤالا شخصيا بحتا.

ويجب على الرائد أن ينبه المتحدث إلى أن الجماعة ترغب في الإجابات الصريحة– دون أية مواربة، أو أن يقول لها المتحدث بكل صراحة: "أنا لا أعرف".

وغالبا ما يخطئ المتحدثون حينما ينزلون بمستوى حديثهم إلى مستوى المراهقين، أو يرتفعون بمستوى الحديث إلى ما هو أعلى من مستوى المراهقين. وإن كان الأسلوب الأخير أقل الاثنين خطأ، لأنه في بعض الحالات يهيئ الفرصة لوجود إثارة غير متوقعة. ومثال ذلك أن أحد المعلمين المتخصصين في علم نفس المراهقين قد اختير للتحدث إلى جماعة كبيرة من الفتيان والفتيات حول الموضوع: "ماذا نعني بكلمة النمو؟" وقد كانت لديه طريقة جذابة في الحديث، أعجبت المستمعين، وحينما كان يتحدث إلى الجماعة، افترض مقدما أن الفتيان والفتيان يعرفون عن أنفسهم الشيء الكثير، وهذا بخلاف الواقع فعلا وقد استعمل اصطلاح "النضج" أكثر من مرة، دون أن يعرفه، وكان هناك العديد من الأسئلة جاءت الإجابات عنها كذلك محيرة، وذلك نظرا لعدم تعريف المتحدث لمعنى كلمة "النضج" وحينما انتهى

الاجتماع اجتمعت الجماعات بعضها مع البعض وأخذت المناقشات تدور فيما بينها، حول سؤالين: "ماذا يقصد بكلمة النضج؟" وكذلك: "كيف تعرف أنك وصلت لمرحلة النضج؟". وقد أمكن للرائد سماع هذين السؤالين.

وقد أدرك كل من المتحدث والرائد أن الاجتماع لم ينجح تماما ولكنهما كانا مخطئين إلى حد كبير، ففي الأسبوع التالي طالبت عدة أندية بإلقاء ضوء أكثر على موضوع "النضج"، كما طالبت ببعض المواد المتعلقة بهذا الموضوع للمناقشة، وكان هذا الموضوع سببا في جعل كل المواد المحفوظة والمتعلقة بموضوع نمو المراهق ومشاكله الخاصة، تخرج وتصبح في متناول اليد. كما أعد وطبع ملخص علمي يشرح معنى النضج على أساس من الدراسات في علم النفس، وسلم هذا الملخص إلى الجماعة التي أثارت السؤال، كما سلمت إليها بعض الكتيبات التي تبحث موضوع النضج بصفة عامة. وكانت النتيجة أن كثيرا من الجماعات نظمت سلسلة من المناقشات، مستفيدة من المعلومات الإضافية التي حصلت عليها. وقد اتفق الجميع على أنهم فهموا أنفسهم بطريقة أفضل، كنتيجة للاجتماع الكبير الذي تم، وكذلك نتيجة للمناقشات الجماعية التي عقدوها بعد ذلك.

والمثال السابق يشير إلى أنه في بعض الحالات، تنتج بعض الفوائد غير المتوقعة، من اجتماع كان يبدو في ظاهره غير ناجح تماما كما أن هذا المثال يظهر أهمية انتباه الرائد إلى ملاحظات المراهقين وتعليقاتهم. فمثلا لو حدث ولم يسمع الرائد السؤالين اللذين رددهما الأعضاء بعد الاجتماع العام، ما كان يستطيع إعداد وطبع الملخص العلمي عن معنى "النضج" وتقديمه للأعضاء حينما طلبوا معلومات عن هذا الموضوع في الأسبوع التالي.

ويعتبر المتحدثون من الوسائل الهامة والمعينة للبرامج، كالكتب تماما، وأن التدرب على حسن الاختيار والحكم على المتحدث، وتزويده بمعلومات واضحة عن أعضاء الجماعة وما يرغبون الاستفسار عنه، وذلك قبل عقد الاجتماع بمدة كافية، كفيل بإنجاح الاجتماع بقدر ما يكون ذلك مستطاعا. وأن هناك بعض المتحدثين المتخصصين في الموضوعات المعينة ممن يحتاج إليهم المراهق بلا شك، أثناء حياته داخل جماعة النادي. فمثلا يُمكن لطبيب بشري، وعالم نفسي أو محلل نفسي أن يتحدثا في موضوع الشخصية، والنمو البدني وما يتضمنه من حقائق عن الجنس. وأن اختيار المتحدث هنا يتطلب عناية فائقة أكثر من أي موضوع آخر.

أن مثل هذا المتحدث يجب أن يكون موضوعيا، ولديه الاستعداد للإجابة عن أي سؤال، ويجب أن يفهم أن المراهقين يرغبون في تعريف كامل لمعنى الجنس ومدى ارتباطه بحياتهم، أكثر من رغبتهم في معرفة الحقائق العضوية المتعلقة بهذا الموضوع، ويجب على المتحدث في هذا الموضوع فوق كل ما تقدم، أن يكون محبا للمراهقين، ويثق بهم.

كما أن هناك بعض الأشخاص يرغب المراهق في الاستماع إليهم كرجال الدين الذين يمثلون مختلف الطوائف، والممثلين للمهن المختلفة وكذلك بعض أصحاب الأعمال المختلفة. وكثيرا ما يطلب المراهقون متحدثين في الهوايات والموسيقى والفن كما تطلب الفتيات متخصصين في تصفيف الشعر ومتحدثين في كيفية العناية بالملبس حين تكون الميزانية محدودة.

وأن قائمة أنواع المتحدثين تنمو كلما تقدم برنامج الجماعة، وأن الرائد الحكيم هو الذي يدون الملاحظات أثناء اجتماعات الجماعة – عن الأسئلة أو الأفكار التي تثار، والتي يُمكن استغلالها للرد عليها أو شرحها بنجاح عن طريق دعوة متحدث مناسب.

كما أن الرائد الحكيم هو الذي يدرس ويعد قائمة بأسماء المتحدثين المناسبين لمثل هذه الموضوعات، بحيث يستطيع اقتراح اسم المتحدث المناسب، في اللحظة التي يشعر فيها بأن الجماعة في حالة حسنة ومهيأة لمثل هذا النوع من الاجتماعات، ويحسن بالرائد دائما كعملية نظامية أن يقترح على رئيس لجنة البرامج حضور متحدث لموضوع ما، ولكن لا ينبغي له الإصرار على ضرورة التنفيذ.

الرحلات

الرحلات في حد ذاتها تكون مفيدة ومثيرة للاهتمام وتساعد على اكتساب المعرفة، فهي تخدم غالبا كوسيلة للمبادأة في وضع برنامج أو مشروع خدمة معين، كما أنها كثيرا ما تساهم وتعاون في تقديم برنامج أو مشروع للخدمة العامة يكون قائما بالفعل.

وأن مشروعا رائعا يرتكز أساسا على الرحلات، يُمكن أن يدور حول موضوع "اعرف مدينتك"، فقد يفتح هذا عيون الشباب، ويجعلها تكشف الظروف التي يعيش فيها بعض الناس، وتلك الإمكانيات المحدودة التي تقابل بعض الأطفال أثناء اللعب، كما أن الرحلات والزيارات داخل وحول المدينة، تؤدي غالب إلى اكتشاف بعض الحقائق التاريخية الهامة، التي تثير في المراهقين الرغبة في معرفة تاريخ إنشاء مدينتهم ويمكن أن يؤدي ذلك إلى

عملية تقويم للحياة في المدينة أو البلدة هذه الأيام، ومن هذا التقويم تبدأ المناقشة حول ما هي الاحتياجات الضرورية اللازمة لتحسين المستويات كما يُمكن في كثير من الأحيان تنظيم الزيارات للمصانع أو لبعض اجتماعات حكومة المدينة أو البلدة، وهذا كفيل بإثارة الاهتمام بالعمل وبالحكومة.

وقد ترتفع نسبة حوادث المواصلات في إحدى المدن ويستدعي ذلك دراسة أماكن إشارات المرور، وربما يستتبع ذلك اقتراح بتغيير أماكن بعض هذه الإشارات، أو تكوين فريق يتبنى دعوة إلى "تأمين الطريق" بالنسبة للأطفال. وأن كثيرا من المراهقين يشعرون بالخوف من الموت لذلك فتنظيم زيارة إلى أحد محلات دفن الموتى، يعتبر من الأشياء التي تساعد البعض على تحسن صورته في أذهان المراهقين، وتقلل من خوفهم منه.

وتنظيم الرحلات في الزوارق، أو زيارة المتنزهات والحدائق بقصد النزهة، تخدم أغراضا كثيرا؛ فهي تشبه حفلات السمر من حيث أنها تتيح الفرصة للأعضاء للمرح والترويح، كما أنها تتيح الفرصة للرائد ليضيف إلى معلوماته عن العضو، معلومات جديدة من خلال ملاحظته له أثناء علاقته بالآخرين، وإذا ما سمحت ميزانية الجماعة، فإن تنظيم معسكر آخر الأسبوع، غالبا ما يحقق فائدة، تعادل ما تحققه عدة اجتماعات، وذلك في ربط أعضاء الجماعة بعضهم ببعض، وإتاحة الفرصة لظهور كل المشكلات والاستفسارات التي تشغل بال المراهقين. وكلما كانت المدينة كبيرة كانت هناك فرصة أكبر، لاستخدام الرحلات كجزء من برامج الجماعة، ورغم ذلك فلا توجد أية قرية مهما تكن صغيرة، لا تستطيع تطبيق هذه القاعدة، وهي استخدام الرحلات في تخطيط البرامج للجماعات.

المناقشات

يتوقف نجاح المناقشة إلى حد كبير على مهارة القاعدة، وهناك اتجاه قديم ما زال كثير من القادة يتمسكون به؛ وهو أن يلقي القائد محاضرة تشمل شتى النقاط الممكنة، ثم يطلب من المراهقين توجيه الأسئلة بعد ذلك. ولكن الجماعة في مثل هذه الأحوال تتساءل فيما بينها: "ماذا ترك لنا لنسأل عنه؟ لقد غطى كل شيء". وأن إلقاء حديث يغطي كل النقط، قد يكون مطلوبا في بعض الأحيان، ولكنه على كل حال ليس بمناقشة.

والغرض من المناقشة هو تجميع أحسن أفكار الجماعة، بإتاحة الفرصة لأكبر عدد من الأفراد ليعبروا عن أفكارهم وذلك للوصول إلى أحسن إجابة أو أحسن الإجابات عن أحد الأسئلة، أو لتقرير القيام بعمل إيجابي معين.

ويتركز دور قائد المناقشة ليس في المساهمة والاشتراك فيها، ولكن في إيجاد التوازن بين الأعضاء كثيري الكلام، والأعضاء الذين لا يتكلمون إلا قليلا، لكي يحصل على رأي كل عضو موجود من الأعضاء، إذا أمكن ذلك، تم تلخيص النقط التي تم الاتفاق عليها من وقت لآخر، وأن وجود سبورة لمثل هذا الغرض، مهم للغاية، ورغم أن اتخاذ موقف أو عمل مناسب، هو دائما الهدف الرئيسي من أية مناقشة، ومع ذلك فلا تتخذ غالبا أية خطوة إيجابية في هذا الموضوع، نتيجة لنقص في الخبرة والمعلومات اللازمة، فإذا ما كان لدى قائد المناقشة مثل هذه المعلومات، فمن الواجب عليه تزويد الجماعة بها، فإذا لم تكن المعلومات المطلوبة متوافرة، فمن واجب قائد المناقشة اقتراح تشكيل لجنة من الأعضاء وتكليفها إعداد البيانات والمعلومات اللازمة لعرضها في الاجتماع التالي، ويجب أن يكون لدى

الجماعة القدرة على تقرير ما إذا كانت هذه المعلومات ضرورية بالنسبة للقرارات التي يودون اتخاذها، أم لا.

وعادة تكون المناقشة ناجحة إذا ما تولى الرائد إدارتها، لاسيما في أول مرة، وذلك فيما عدا الاجتماعات التي تناقش فيها الجماعة أعمالها أو نواحي نشاطها الاجتماعي؛ لأن هناك بعض الأسباب تجعل معظم النوادي تعترض على رياسة الرائد للاجتماعات التي تبحث هذه الموضوعات، لذلك يُمكن للرائد في هذه الحالة أن يعمل مع رئيس الجماعة، قبل انعقاد الاجتماع، ويعاونه على فهم دوره في قيادة الجلسة.

وهناك طريقة أخرى لمعاونة الجماعة على الاستفادة من المناقشات، وذلك بعرض نموذج لمناقشة، يقودها رئيس ناجح، وتركهم يلاحظون كيف تتم هذه العملية. وكلما قدمت المساعدة للرئيس وللجماعة في صورة ما يُمكن إتباعه أثناء الاجتماع من إجراءات برلمانية بسيطة، أدى ذلك إلى نجاح أي مناقشة تتناول أي موضوع من الموضوعات.

إن المناقشات تأخذ طريقها في الأندية على أساس أنها أحسن وأهم أنواع الاجتماعات وأكثرها فائدة، فهي تساعد الفرد على التعبير عن آرائه تلقائيا أمام الآخرين. وأن العمل الجماعي الذي يأتي نتيجة للحرية الممنوحة لكل فرد في التعبير عن رأيه، أو نتيجة للقرار الذي اتخذته الأغلبية عن رضا واقتناع وتعضيد، وبعد أن أتيحت الفرصة لكل فرد للمناقشة، كل هذا هو بمثابة تدريب للمراهقين على شتى نواحي النظم الديمقراطية المتبعة.

وغالبًا ما يستطيع الرائد أثناء المناقشة اكتشاف الأعضاء المحتاجين للمساعدة، كما أنه يتمكن من الاطلاع على درجات النمو المختلفة للأفراد وللجماعة ككل. كما أن المناقشات توضح للرائد أنواع مواد البرامج اللازمة، أو التي ستلزم الجماعة قريبا.

الندوات

لقد حلت الندوة في أغلب الأحوال محل نظام المناظرة القديم. وهي تمتاز عن المناظرة بأنه لا يوجد بها فائز وخاسر، وعلاوة على ذلك فإنها تتيح للمسائل القليلة التي تحتاج إلى التفسير فرصة مناقشتها، بعكس المناظرة التي تكتفي في مثل هذه المسائل، بأخذ الأصوات عليها "بلا أو نعم".

ويجب أن يمثل في الندوة، أكبر عدد ممكن من وجهات النظر المختلفة، وذلك في حدود الوقت المسموح به لعرض الموضوع، ويقوم كل متحدث في الندوة بإعداد وجهة نظره بعناية مقدما، ويكون مقيدا بعدد محدد من الدقائق لعرض رأيه على الحاضرين، وفي بعض الأحيان يسمح للمتحدثين بتوجيه الأسئلة بعضهم إلى بعض، إذا ما كانت وجهات نظرهم تحتاج إلى تحديد أو توضيح معين، كما يعطى بعض الوقت لكل متحدث ليلخص جميع الآراء التي قيلت، مؤيدة لوجهة نظره، ثم يطرح بعد ذلك الموضوع للمناقشة من الحاضرين، ولما كان هدف الندوة دائما هو الاستزادة من المعرفة، أكثر من اتخاذ قرارات للقيام بإجراء معين، لذلك كان من الضروري، حصر مناقشات المستمعين وجعلها تقتصر على الاستفسارات والأسئلة فقط. أما إذا اقتضى الأمر المزيد من المناقشات، واتخاذ بعض القرارات أو الإجراءات فيستحسن أن تنظم لذلك عدة اجتماعات على مستوى صغير فيما بعد.

وعلى كل حال فإن أي موضوع يُمكن توضيحه بالمعلومات والبيانات التي تمثل وجهات نظر متعددة، يصلح أساسا لمثل هذا النوع من الندوات.

وقد نظمت بعض جماعات الفتيان والفتيات ندوة حول موضوع "العلاقات الأسرية" وكانت الندوة تتكون من كل الآباء والأمهات والفتيان والفتيات بأعداد متساوية، وقد عرض أولياء الأمور وجهات نظرهم، فيما يتعلق باتجاهات وسلوك المراهقين التي تجعل العلاقات بالمنزل تبدو صعبة، كما عرض المراهقون وجهات نظرهم موضحين العوامل السيئة والحسنة التي تحكم العلاقات الأسرية، وكان الحاضرون إلى هذه الندوة يمثلون أولياء الأمور كما يمثلون المراهقين، وقد توالت الأسئلة من كلا الطرفين غزيرة وسريعة، وفي النهاية اتفق الجميع على أن هذه الندوة، كانت في منتهى النجاح، وأنه تم أثناءها إرساء بعض الأسس لتحسين التفاهم في المنزل بين أعضاء الأسرة.

والندوات كالمناقشات يتوقف نجاحها، وأثرها إلى حد كبير على رئيسها. وأحسن مثال لقائد الجلسة الناجح، هو جورج ف. دناي الابن في برنامجه الإذاعي "اجتماع المدينة على موجات الأثير".

ومن المفيد أخذ موافقة اللجنة المسئولة عن تنظيم الندوة، على جميع الأسس والقواعد المنظمة، للاجتماع. وأن هذه القواعد والنظم التي يجب الاتفاق عليها قبل الاجتماع تتضمن الفترة الزمنية المسموح بها لكل متحدث، وكذلك الفترة المسموح بها لتلخيص وجهات النظر، والمدة التي سيستغرقها الاجتماع ككل، وهل ستحدد الأسئلة بالنسبة للمستمعين، فتصبح سؤالا واحدا لكل شخص. ويجب أن تعلن كل هذه التعليمات على المستمعين عند

بدء الاجتماع، لأن هذا كفيل بتلافي موجة الاستياء التي قد تظهر مثلا، إذا ما منع أحد المستمعين من توجيه سؤال لأنه سبق له توجيه سؤال قبل ذلك. أما إذا عرف وفهم كل إنسان القواعد، فإن الاجتماع في هذه الحالة يمر هادئا، وعلى قائد الجلسة مسئولية المحافظة على هذه القواعد، وعدم السماح لأي شخص بانتهاكها.

الفصل الرابع والعشرون

النشاط الاجتماعي والرياضي

البرنامج الناجح المتوازن لنادي المراهقين، يتضمن نشاطا اجتماعيا ورياضيا وذهنيا، وأن من الأهداف الرئيسية لبرنامج النادي هو معاونة المراهق على إدراك حقيقة نفسه ككل متكامل، وأن من الأهمية بمكان أن يبدو على المراهق أثناء نشاطه الاجتماعي وأثناء لعبه، تلك الاتجاهات والقيم السلوكية التي اكتسبها لنفسه، أثناء اجتماعاته ومناقشاته الجدية. كما أن من الأهمية كذلك أن تطعم هذه الاجتماعات الجدية، بالأنماط المتعددة من ألوان النشاط.

وحتى الآن، كان التركيز والاهتمام في هذا الكتاب، منصبا على الجانب الجدي عند التخطيط للبرامج، وهذا يرجع أساسا إلى أن كلا من الرائد والمراهق، يحتاج إلى أكبر معونة ممكنة في هذا الجانب من البرامج.

أما جانب اللعب، والمرح، فهو الجانب الثاني من الحياة، الذي يعرف عنه المراهقون الكثير ولا يحتاجون فيه إلا إلى معاونة صغيرة، من أجل تخطيط برنامج لحفل مثلا.

وأن استعراضًا سريعًا للأشياء التي يفضلها المراهقون في هذا اللون من البرامج، ربما يلقى الضوء على بعض المقترحات والنصائح، التي قد يحتاج إليها رواد الأندية.

النشاط الاجتماعي

عند بدء العمل في أي ناد، يكون على الرائد مسئولية تعريف الجماعة، بكل التعليمات المتعلقة بالنشاط الرياضي والاجتماعي طبقا لما تفترضه سياسة أو فلسفة المؤسسة المسئولة. كما أن من المهم جدا ضرورة وجود رائد أو أي راشد مسئول بدلا منه، أثناء مزاولة أي نشاط اجتماعي أو رياضي، خوفا من إصابة أي عضو بمرض أو حادث مفاجئ. هذا إلى جانب أن وجود الراشد يؤدي إلى توجيه طاقة المراهق وخياله توجيها مفيدا، حينما يكون وسط أقرانه في حفلة خارج النادي. وأن أولياء الأمور الذين يشكون من إغارة المراهقين على محتويات الثلاجات، أو من عدم مراعاتهم لزخارف وأثاث المنزل، هم بلا شك أولياء الأمور الذين يغادرون منازلهم، تاركين لثلة المراهقين التصرف في المنزل أو الشقة. وحينما تجتمع فرقة من المراهقين، فإن مجموعة طاقاتهم، لا يُمكن أن يحتملها منزل أو شقة أو حجرة في ناد. لكن وجود أحد الراشدين، يحد من هذه الطاقات، دون أن يكون موقفه هو موقف كلب الحراسة فقط.

ويعتبر الرقص ناحية من نواحي النشاط الاجتماعي التي يفضلها المراهقون في أمريكا. ويتفنن المراهقون في اختيار الزينة والأسماء البراقة لرقصاتهم، وهم يفضلون الرقص على أجمل الأنغام الموسيقية، وكذلك على الأرض المعدة إعدادا يصلح لمزاولة الرقص، وهم يبدون في منتهى الرضا عندما يرقصون على موسيقى تنبعث من اسطوانات مسجلة، ويفضلون أن يغيروا هم الأسطوانات بأنفسهم، وهم عادة يقدرون الرائد الذي يأخذ على عاتقه مسئولية هذا العمل. وأنها لطريقة حسنة يساعد الرائد بها الجماعة. كما أنها تتيح له الفرصة ليتحدث بدون تكلف مع البعض ممن يحضرون إليه

ليطلبوا منه سماع اسطوانة بالذات، كما أنها طريقة تسوغ وجود الرائد في وسط المراهقين أثناء مرحهم. أما بخصوص الأسطوانات، فيجب على الراشدين ألا يقوموا هم باختيارها، كما يجب عليهم ألا يكونوا متزمتين فيما يتعلق بالسماح للمراهقين بتوزيع الإضاءة بالدرجة والشكل المناسبين لهم أثناء رقصهم.

فقد حدث أن كانت هناك مجموعة من المراهقين مكونة من حوالي سبعة عشر أو ثمانية عشر ناديًا، وكانت هذه المجموعة تقيم حفلا للرقص بمصاحبة فرقة موسيقية في إحدى صالات الألعاب الرياضية المغلقة. وقد نجحوا بامتياز في تحويل صالة الألعاب إلى مظلة من فروع الأشجار وكأن الوقت كان ربيعا، كما أفردت الموائد، وغطيت بأوراق "كريشة" ذات ألوان زاهية، ووزعت هذه الموائد تحت الشرفات، تماما كنظام الملاهي والكازينوهات العامة.

وقد بذلت الرائدة المسئولة عن الحفلة كل ما يمكنها، لتوزع الإضاءة طبقا لرغبات لجنة البرامج. ولكن المدير العام للأندية، أصر على ضرورة تسليط إضاءة قوية على الموائد الموضوعة تحت الشرفات، والتي كان يجلس إليها الفتيان والفتيات للراحة أو لتناول المرطبات بين رقصة وأخرى. وأثناء حفلة الرقص، طلب أحد الفتيان التقليل من الإضاءة في هذه الأماكن، وكان هذا الفتى من الفتيان الممتازين وقائدًا حقيقيًا في برامج النادي وكذلك بالمدرسة. وحينما أخبروه بأن الرائدة قد بذلت كل طاقتها في سبيل ذلك، ولكن المدير هو الذي كان صلب الرأي ضد فكرة تقليل الإضاءة، سكت برهة ثم انفجر صائحا: "أنا أعرف ما يفكر فيه. لماذا لا يثق بنا الكبار؟".

إن العقيدة في هذا الموضوع، هو ضرورة التفريق بين ما يولد نوعا من الإثارة والإغراء لدى المراهقين وبين ما لا يسبب ذلك. فمثلا تخفيض الإضاءة بواسطة وضع ورق "كريشة" ملون أو ورق "سوليفان" لخلق جو ومنظر جميل، لا يحتوي في حد ذاته على أي نوع من الإثارة أو الإغراء. وحينما يشعر المراهقون أن الكبار وثقوا بهم، فإنهم غالبا يتمسكون بهذه ولا يحاولون فقدانها.

ورغم ذلك من الأهمية ملاحظة أن بعض المراهقين، لا يستطيعون ضبط عواطفهم، كما أن بعضهم يميل إلى تجربة الخمر، لمعرفة قوة احتماله وصموده، لذلك يجب أخذ الحذر، فلا يسمح بوجود حجرات صغيرة من الممكن للصغار استخدامها، كما يستحسن وجود بعض القواعد التنظيمية المتعلقة بتناول الخمر، ومن الأفضل أن يقوم أعضاء النادي بوضع هذه القواعد بأنفسهم، إذ دائما ما يكون الأعضاء أكثر شدة في هذه المواقف من الرائد نفسه.

وإذا ما كانت الحفلة تقام لمناسبة رسمية، وكان الرائد في هذه الحالة سيدة، فإن الفتيات يفضلونها دائما، حينما تبدو جميلة وجذابة، وسوف يدهش الإنسان حينما يرى الكثرة منهن، وقد أحضرن أصدقاءهن من الفتيان لمعرفة رائدتهن. ولا يوجد إلا القليل من الفتيات والفتيان الذين يحضرون حفلة الرقص بمفردهم. وهؤلاء يفضلون أن يقوم الرائد بعملية تعريفهم بالحاضرين، ويمكن أن يتم ذلك في الحفلات غير الرسمية، عن طريق رقصات خاصة يؤديها الفتيان والفتيات معا، ويرحب بها الصغار ويحبونها.

ومواسم الإجازات تعتبر من أحسن الفرص لإقامة شتى أنواع الحفلات، وأحيانا يكون من الصعوبة بدء الحفل والوصول بالأعضاء إلى حالة من الاندماج والانسجام معا، لا سيما إذا كان برنامج الحفل يعتمد معظمه على الألعاب، لذلك يُمكن للرائد في هذه الحالة لإزالة الفتور في الحفل، اقتراح إحدى لعب التعارف، أو أن يقوم بتنظيم صف "طابور" من الأعضاء يؤدون معا رقصة معينة. كما أنه من المستحسن الاتصال مقدما برئيس اللجنة المسئولة عن الحفل، ليرتب معه بعض الألعاب الافتتاحية التي تساعد على اختلاط الأعضاء وتعارفهم. ويوجد العديد من الكتب التي تبحث في إقامة الحفلات، ويجب على الرائد أن يكون لديه على الأقل واحد من هذه الكتب ضمن مواد البرامج التي يحتفظ بها.

وإقامة حفلات تناول العشاء للأمهات والبنات معا، أو للآباء والأبناء معا، مع تقديم شيء من السمر والتسلية بواسطة أعضاء النادي، تشيع جوا من المتعة والمرح، وأن مثل هذه المناسبات تتيح للرائد الفرصة للتعرف إلى أولياء الأمور، كما تتيح لأولياء الأمور فرصة التعرف إلى نوع الأصدقاء الذين يزاملون أبناءهم وبناتهم في النادي. ويوجد على الأقل في كل ناد عضو يستطيع العزف على إحدى الآلات الموسيقية، كما أن الغناء الجماعي يعتبر من الأشياء المفضلة التي تطرب الجميع. وأحيانا يُمكن للأعضاء تقديم "اسكتش" فكاهي يدور محوره حول بعض النشاط بالنادي، أو حول موقف معروف يحدث في الأسرة. وهذا كله بلا شك يشيع جو المرح في الحفل. كما أن تأدية بعض الحركات الراقصة الخفيفة في زي تقليدي، يُمكن أن يؤدي إلى نفس النتيجة.

وهناك نوع آخر من أنواع النشاط الاجتماعي، ألا وهو التمثيل. ويوجد الكثير من الروايات البسيطة الهادفة ذات الفصل الواحد، والتي لا تحتاج إلا لإعداد أسهل أنواع المناظر أو الملابس.

ويجب اختيار هذا النوع من الروايات بعناية، حتى تأتي سهلة، ولا تستدعي جهدا كبيرا في التدريب عليها، لأن الوظيفة الرئيسية للمراهقين هي المدرسة، ولا يصح أن يتدخل أي جانب من جوانب برنامج النادي، ويؤثر في عمل المدرسة.

وأن جماعات "الكورال" للغناء تمثل نوعا من أنواع النشاط الاجتماعي، وتكوين مثل هذه الجماعات يكون مرغوبا فيه، ولا سيما في موسم الاحتفالات بالمناسبات والأعياد الدينية حينما تنطلق الكثير من الجماعات مرددة الأهازيج والأغاني.

والهوايات المختلفة الأنواع هي في حد ذاتها نوع من أنواع النشاط الاجتماعي؛ فالمراهقون، سواء الفتيان منهم أو الفتيات، يحبون أشغال الخرز، وصناعة الحلي من أصداف البحر، وصناعة الجلود، والرسم، والطلاء وأعمال الصلصال.

ويجب العناية التامة عند تنظيم وتشجيع البرامج حول هذه الهوايات الخاصة، إذ يحدث أحيانا أن يندمج بعض الأعضاء اندماجا تاما في هواية معينة، ويميلون إلى تحويل النادي إلى جماعة ذات هواية أو رغبة خاصة، مما يؤدي بباقي الأعضاء الذين لا تجتذبهم هذه الهواية، إلى فقدان الاهتمام بالنادي، ثم عدم التردد عليه وهجره نهائيا.

وهناك طريقة مثالية لتشجيع قيام مثل هذه الهوايات أو فرق الغناء الجماعي، وهي اقتراح تشكيل جماعة منفصلة من بين الأعضاء المنضمين للأندية المختلفة، وهذه الجماعة الجديدة لن تكون بمثابة ناد منافس، ولكنها ببساطة عبارة عن فرصة إضافية لهؤلاء الذين يرغبون في الاستزادة من هذه الهوايات، وإشباع ميولهم واهتمامهم بها.

النشاط الرياضي

النشاط الرياضي المنظم يتوقف إلى حد كبير على الإمكانيات المتوافرة والتي تهيئها المؤسسة المسئولة. وأن وجود مائدة للعبة "تنس الطاولة" تعتبر دائما من التجهيزات الممكن توافرها، لأن المراهقين يحبون مزاولة هذه اللعبة، حتى هؤلاء الذين لا يلعبونها يتمتعون بمشاهدة المباريات التي تقام فيها. كذلك هناك نواحي نشاط رياضي يقبل الأعضاء على مزاولته مثل السباحة، ولعب الكرة، والتخييم الذي يكون نهاية لرحلة أو نزهة.

كما أن الرحلة بالدراجات تعتبر مهمة ومفيدة من ناحية اكتساب المعلومات، وهي رخيصة التكاليف، لاسيما إذا ما كان نظام بيوت الشباب متوافرا ويمكن الاستفادة منه، ويجب أن تقتصر مثل هذه الرحلة على الأفراد الذين يمتلكون دراجات. ويجب أخذ الحيطة هنا، تماما كما حدث بالنسبة لتشجيع الهوايات الخاصة، فمن الأفضل تنظيم مثل هذه الرحلات من أعضاء ينتمون إلى عدة أندية أفضل من أن ننظمها من بعض أعضاء ناد واحد، لأنه حين يقوم بعض الأعضاء، وليس جميعهم، برحلة على الدراجات، أو يشتركون في أي نشاط خاص، فإنهم يصبحون أكثر ترابطا وانسجاما معا، وهذا يؤدي بدوره إلى إضعاف قوة تضامن الجماعة الأصلية ككل.

لذلك يجب في أي نشاط داخل النادي، أخذ الاحتياطات ضد تكوين أي جماعة منحرفة بداخله. لأنه بمجرد بدء تكوين إحداها يكون من الصعب بعد ذلك القضاء عليها فيأخذ النادي في الانحلال ويبدأ أعضاء النادي الذين لا ينتمون لمثل هذه الجماعة المنحرفة، يرددون: "ما هي فائدة كل هذا، ما من شيء أقوله، يهم بأي حال من الأحوال".

أن منع تكوين هذه الجماعات، يقوي من الاتجاه الديمقراطي، الذي هو أحد أهداف أندية المراهقين.

الألعاب الجماعية ككرة السلة، والكرة الناعمة، والكرة الطائرة، يُمكن أن تزاول جميعها في "صالة" ألعاب مغلقة، أو على أرض فضاء موجودة في الحي، أو في أحد الملاعب المفتوحة، إذا لم تكن المؤسسة المسئولة تمتلك "صالة" ألعاب مغلقة. كما أن كثيرا من المراهقين يحبون لعب الشطرنج وكذلك "الدامة" وغيرها من ألعاب التسلية، فإذا ما كان لدى النادي حجرة للألعاب الداخلية، مزودة بمثل هذه اللعبات، أمكن للمراهقين استغلالها استغلالا طيبا.

إن النشاط الرياضي والاجتماعي يجب أن ينظم وينفذ بطريقة تشجع الاتجاه، الذي يقضي بضرورة وجود رباط قوي، يجمع بين الجسم والعقل والروح، وبأن الهدف من الحياة، هو ضمان توازن تام في النمو بين هذه الجوانب الثلاثة.

الفصل الخامس والعشرون

مشروعات الخدمة العامة

مشروع الخدمة العامة يرتبط ارتباطا وثيقا ببرنامج من برامج الاجتماعات أو سلسلة من الاجتماعات. ومن الناحية المثالية يجب أن تنبع المشروعات من اجتماع للبرامج، وتأتي كناحية تنفيذية لتوصيات أو قرارات توصل إليها أعضاء النادي، بعد مناقشة بعض الموضوعات ولكن ليس في الإمكان تحقيق ذلك باستمرار، نظرا لأن الموضوعات التي تختار للمناقشة في الجماعة، ليس من الضروري أن تنتهي بتنفيذ مشروع خدمة عامة للآخرين.

ومشروع الخدمة العامة، كما يدل عليه اسمه، لابد أن تتجه الخدمة فيه أساسا نحو شخص أو شيء خارج نطاق أعضاء الجماعة ومصالحهم الشخصية. ولا ريب أن ما يُمكن أن تقوم به جماعة من المراهقين من خدمات نحو الآخرين، مقيد بعامل وقت الفراغ الميسور لهم، وكذل عامل المال، وعامل قدراتهم وطاقاتهم المحدودة، كما أن مشروعات الخدمة العامة التي يُمكن قيامها، ترتبط إلى حد كبير بحجم المجتمع المتلقي للخدمة.

ورغم ذلك فهناك عدة عمليات محددة، يُمكن لأي ناد المساهمة فيها، مثل المساعدة في جمع التبرعات السنوية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، وغيرهما من الجمعيات الخيرية، وكذلك جمع التبرعات لصندوق التمويل المشترك. هذا بالإضافة إلى أن أية جماعة للمراهقين يمكنها تنظيم حفلة سمر للترفيه عن الأطفال في مؤسسة للأيتام، كما يمكنها صنع بعض اللعب

للأطفال النزلاء في عنبر الأمراض المعدية بالمستشفى، ويمكنها كذلك إصلاح وترميم اللعب لإحدى مؤسسات الخدمة الاجتماعية، وكذلك جمع الهبات بمناسبة الأعياد، وجمع الملابس والأحذية لبعض المناطق الفقيرة، وحياكة بعض المفروشات البسيطة التي تلزم المستشفيات (مثل الملاءات اللازمة لاستقبال الأطفال عند الولادة كما فعل أحد الأندية، وكذلك جمع المجلات والكتب للمستشفيات الخاصة بالمحاربين القدامى، والتبرع بهبات من الأطعمة أو النقود في المناسبات الدينية كعيد الميلاد المجيد وعيد الفصح[1].

وأن دور الحضانة النهارية ترحب غالبا بالمراهقين ليعملوا كمساعدين فيها، بعد انتهاء اليوم الدراسي، كما أن المؤسسات الاجتماعية، ترحب دائما بهم، ليعملوا كسواعد للرواد في أندية ما بعد المدرسة، الخاصة بالأطفال.

وهناك ما يدل على أن كثيرا من الفتيان والفتيات في الدول الأخرى، يتلهفون ليعرفوا الكثير عن الحياة في أمريكا، وهذا يتيح فرصة حقيقية للمراهقين من الفتيان والفتيات ليعلموا الآخرين ممن هم في سنهم كل ما يتعلق من معلومات عن بلدهم، كما أنها فرصة ليتعلموا هم كذلك من الآخرين، كل ما يهمهم معرفته عن بلادهم. فيمكن مثلا لأعضاء إحدى الجماعات إعداد سجل "ألبوم" للصور، يحوي كل أنواع نشاط المراهقين، ثم يقومون بإرساله إلى المراهقين من أبناء الدول الأخرى، كما أنه يُمكنهم

---

(1) كالزكاة التي توزع في نهاية شهر رمضان والصدقات التي يوزعها القادرون في مختلف المناسبات الدينية.

الذهاب إلى أبعد من ذلك، فيقومون بإعداد كتب مصورة عن مدينتهم، أو بلدتهم، مع شرح لأهم الأشياء بها، ثم يرسلونها إلى الخارج.

والأفكار الجديدة لمشروعات الخدمة العامة يُمكن اكتسابها من القصص والحوادث التي تنشر في الجرائد، فمثلا قامت إحدى الجماعات بمشروع استمر عاما كاملا، نتيجة لقرائتها لقصة عن فتاة عمياء ووحيدة، وذلك في إحدى الجرائد المحلية، فقد قامت فتاتان من "عضوات" الجماعة بزيارتها في منزلها مرة كل أسبوع، وكانت مهمة الفتاتين معها، هي القراءة لها، وتعليمها بعض اللعب، وإخبارها بالأحوال العامة وكيف تسير الأمور في مجتمعنا، وقد قامتا بدعوتها في إحدى الأمسيات لحضور اجتماع النادي. وحدث أن أخذت إحدى الفتاتين تهتم بطريقة "بريل" لتعليم القراءة للعميان، حتى أنها تلقت تدريبا عليها في إحدى الدراسات التي تشرف عليها الحكومة، وأصبحت تجيد العمل بها بعد ذلك.

كما يُمكن لأعضاء النادي أن يأخذوا على عاتقهم مسئولية عمل حملة في مدرستهم، لنشر الآداب العامة، والخلق الرياضي، وتحقيق مستوى أفضل من المعرفة وسعة الاطلاع بين الطلاب. وربما ينظمون وينفذون برنامجا لتحسين الروح والخلق المدرسي، أو لإبراز معنى المواطن الصالح بالمدرسة.

وقد أمكن لإحدى جماعات الفتيان بمدينة "ديترويت" أن تقدم برنامجا منتظما في الإذاعة، عن طريق إحدى محطات الإذاعة المحلية، وفي هذا البرنامج كان يناقش الفتيان اتجاهات المراهقين أو سلوكهم، أو بعض المشكلات العامة مما يخص طلبة المدارس الثانوية.

وكان الرائد يقوم في هذا البرنامج بمهمة قائد المناقشة، وقد صمم هذا البرنامج الإذاعي، بحيث يعاون الفتيان الآخرين، الذين لم تتح لهم فرصة مناقشة أفكارهم مع أحد الراشدين المهتمين من ذوي التجربة والحكمة.

كما أن بعض الجماعات في "أوهايو" أقاموا "محكمة للدراجات" وقد قرروا هذه المسألة كنتيجة لحملة منظمة، للتقليل من عدد حوادث الدراجات، وكذلك لإنقاص عدد مرات سرقة الدراجات وكانت محكمة المراهقين هذه تعمل جنبا إلى جنب مع إدارة الشرطة، كما أن التقارير الإحصائية كانت تودع ضمن "ملفات" ووثائق مكتب تأمين المرور، وعلى ضوء الإحصائيات التي كانت تشير إلى أن المراهقين ممن يقودون السيارات، يمثلون خطرا واضحا في الطرقات العامة، بدأ أعضاء أندية الصبيان التابعة لجمعية الشبان المسيحية، يقودون حملة في أنحاء البلاد لتأمين المرور والمواصلات. فكانوا يعقدون الندوات، ويرسمون خرائط للطرق للمراهقين، موضحين عليها الأماكن الخطرة في هذه الطرق كما كانوا يقومون بحملة توعية من أجل السلامة من الحوادث، ويعقدون المناقشات العامة في البيئة المحلية لتدارس أحسن المستويات والمواصفات التي يجب توافرها في القيادة الناجحة للسيارات. وكانت تمنح الجوائز لمن يضع أحسن القوانين والنظم التي تحدد مثل هذه المسائل.

إن فرص القيام بمشروعات الخدمة العامة ليست كلها ظاهرة وواضحة، ولكنها تحتاج إلى من ينقب ويبحث عنها. وما يُمكن أن تقوم به جماعة يتوقف على ظروف البيئة الموجودة فيها.

ولا يستطيع إنسان أن يقول أن المشروع المفيد في مكان معين، يُمكن أن يكون ذا فائدة مماثلة في مكان آخر. ولكن المهم أن ما تتحمله الجماعة على عاتقها، يجب أن يمثل احتياجا حقيقيًا في المجتمع، أما إذا لم يكن كذلك، فإن مشروع الخدمة في هذه الحالة يعتبر عملية تمويه وخداع؛ لأن الجماعة التي تأخذ على عاتقها مسئولية تنفيذ مشروع غير مفيد لمجرد القول بأنها تقوم بعمل شيء، تستطيع أن تقول عليها أنها تقوم بوضع مستوى من الخدمة الزائفة للآخرين.

وهناك مشروع خدمة عامة، هو بمثابة مشروع عالمي بالنسبة لأندية المراهقين وهو إعداد سلة من الطعام، لإحدى الأسر الفقيرة عند حلول عيد من الأعياد. وأن الممارسة الحديثة للخدمة الاجتماعية حاليا، لا تشجع على اقتراب أي شخص من منزل إحدى الأسر الفقيرة وهو يحمل طعاما أو أي شيء آخر، ولكن يوجد لدى المؤسسات الاجتماعية دائما، قائمة بأسماء الأسر التي تشكو الضيق، وهذه المؤسسات تبذل قصارى جهدها لمساعدة الأسر على الاحتفاظ بكرامتها أثناء معاونتها لهم على الوقوف على أقدامهم مرة أخرى. لذلك فهم يفضلون أن ترسل الهبات سواء النقود أو الطعام مباشرة إلى المؤسسة التي سوف تتأكد من أن المعونة قد وصلت إلى الأسر المحتاجة فعلا.

ولا ريب أن هذا الأسلوب في تقديم المساعدة، هو مشروع تعليمي يُمكن لرائد الجماعة أن يستغله، لأن من الصعب على جماعة للمراهقين أن تتنازل عن شعور المتعة الذي تحظى به، عندما ترى المعونة والهبات التي تقدمها، تقابل بالشكر والتقدير ممن يتلقاها كما أن من الصعب على المراهقين أن يدركوا أن من أهم الأسس في مساعدة الفرد على إعادة تكيفه وتوازنه مع مجتمعه، هو إشعاره دائما بكرامته وباحترامه لنفسه.

وحينما توجه الجماعات إلى ضرورة إعطاء الهبات والمساعدات للهيئات والمؤسسات الاجتماعية بدلا من الأفراد مباشرة، فإن أعضاء هذه الجماعات يعترفون في النهاية بأنهم يشعرون بالرضا والسعادة الحقيقية في صميم أنفسهم؛ لأن الإحسان بهذا الأسلوب، دون أي تظاهر، يضفي على الإنسان شعورا بالسعادة الحقيقية نتيجة إحساسه الصادق بإنكاره لذاته. وأنها لخطوة نمو موفقة نحو تحقيق جانب الإيمان الشخصي، الذي يعتبر محور التربية الدينية، ويتمثل في تقديم الخدمة للآخرين.

الفصل السادس والعشرون

أسس التخطيط لبرامج اجتماعات الأندية

كلمة "التخطيط" ليست هي الكلمة المناسبة تماما، عند التحدث عن برامج أندية المراهقين، لأن كلمة التخطيط تعطي دلالة لمفهوم واضح ومحدد لا يوجد أصلا بالنسبة لهذا المجال، أو على الأقل هي لا تعني هنا أن يجلس الراشد في منزله ويضع نموذجا أو إطارا لما يجب أن يحدث في أحد الاجتماعات أو في العديد منها.

إن بداية أي برنامج، سواء أكان مادة أو موضوعا للدراسة، أم نشاطا رياضيا اجتماعيا أم مشروع خدمة عامة، لابُد أن ينبع أساسا من الجماعة نفسها. والبرنامج يمكنه بعد ذلك، أن تصل إلى قمة تقدمه ونموه وفائدته،عن طريق مساعدة القائد ذي الخبرة الواسعة والكفاية الطيبة.

والبرنامج لا يُمكن تقديمه للجماعة جاهزا حتى لو كان قد روعي في إعداده التطور المنتظر للأفراد والجماعات في اتجاهاتهم وسلوكهم نحو النضج والتكامل.

والمعنى المستخلص من كلمة تخطيط كما استعملت في هذا العرض السابق، يتركز في أن يأخذ الفرد في حسبانه، وبكل دقة، الرغبات العامة للمراهقين والواردة تحت الأقسام الخمسة السابق ذكرها، وفي أن يلم الراشد بالأسئلة النوعية التي تثار من داخل هذه الأقسام الخمسة العريضة، وأن يكون

مستعدا بالمعلومات والمعارف الكافية، التي تساعده على مساعدة الجماعة للوصول إلى ردود وإجابات شافية لأسئلتهم واستفساراتهم، وأن يكون قادرا على معرفة أين يجد مصادر للمعلومات أوفر عن طريق الكتب، والكتيبات والمتحدثين، والأفلام والشرائح المصورة... الخ.

وأن يكون ملما بأنواع المناقشات الناجحة والمفيدة، ويعرف كيف يديرها، وأن يعلم المراهقين كيف يديرونها. وأن يكون قادرا على التفرقة بين أنواع الوسائل المعينة، ليستطيع أن يختار ويقترح أنسب المواد أو الأساليب الصالحة، والتي تفيد في أي موقف أو نقطة معينة. وأن يكون حذرا ويحاول تجنب الاتجاهات السلبية الضارة، التي قد تحد من حرية الجماعة.

نحن نعلم أن المراهق إذا ما قدمت إليه أي نوع من المساعدة كبرت أو صغرت، مع إعطائه الحرية الكاملة داخل حدود السلطة الضرورية للأمن العام، فإنه يمكنه حل كل مشكلاته الشخصية الخاصة بالمراهقة بنجاح تام، وسوف يبدأ في تحمل مسئولية نفسه وكذلك الشعور بالمسئولية تجاه الآخرين. ونحن كرواد يجب علينا أن نتعلم كيف ندرك نوع ودرجة المساعدة التي يحتاج إليها الفتى أو الفتاة في كل مرحلة من مراحل نموه.

ويجب منح الجماعة الحرية في تخطيط برنامجها، فمثلا إذا ما كانوا يريدون مناقشة العلاقة بين الفتى والفتاة، ومنحت لهم الحرية لمناقشة ذلك، فإنهم سوف يصلون في أسرع وقت إلى نفس الأشياء التي كنا نود لهم مناقشتها. وبمعنى آخر، ابدأ مع الجماعة في وضع البرنامج، من النقطة التي تشعر أن الجماعة تهتم بها، وترغب البدء منها. ومن البديهي أننا لا نستطيع أن نوقف ظاهرة النمو والتطور في المراهقين، ولكن الذي نفعله مخطئين، هو

أننا في بعض الأحيان نؤخر هذا النمو، وذلك بوقوفنا منهم على مستوى أعلى بكثير مما هم عليه، ومحاولتنا جذبهم نحونا ليبلغوا مستوانا، وأن هذا يشبه إلى حد كبير منظر الأم التي تريد أن تعود لمنزلها بسرعة، فتأخذ في جذب طفلها وراءها من ذراعه طوال الطريق ويحاول الطفل جاهدا أن يظل على قدميه ولكن لا يمكنه إلا أن يتعثر دون أن يدري أو يفهم سببا لهذه السرعة.

والتخطيط معناه أن تكون بعيد النظر، لترى على أساس من التجارب والخبرة الأكيدة، ما يحتاج إليه الصغار، وأن تكون مستعدا لتقديم المساعدة في كل صورها الممكنة، حتى لو لم يطلبها المراهقون منك، أو لم يكونوا بحاجة إليها. ويجب أن نشير هنا إلى أنه لا فائدة ترجى من معرفتنا الدقيقة لأنواع الأفكار والاحتياجات التي تنشأ بالتأكيد في عقول وقلوب المراهقين، إذا ما كنا ننوي ترتيب الإجابات لكل الأسئلة وتنميقها، وتقديمها جاهزة إلى المراهقين ونتوقع منهم بعد ذلك النمو.

إن واجب الراشدين هو مساعدة المراهقين على فهم معنى القيادة وتعليمهم الثقة بالقوة الكامنة في عمليات النمو، فحبة القمح لا تظهر مكتملة النمو دفعة واحدة، ولكنها تبدأ أولا نصلا ثم سنبلة ثم حبة قمح كاملة النمو في السنبلة بعد ذلك.

ولكي ينمو النبات قويا، لابد أن يتمتع بالصحة التامة والتغذية الكافية. وأن الغالبية العظمة من المراهقين، يكونون أصحاء عقلا وروحا. ويجب أن يتجه كل تخطيطنا نحو توفير أكبر قدر ممكن من الغذاء الكافي لهم. وتتوقف إلى حد كبير كمية الغذاء الصحيح الذي سيفيد منه المراهقون، على نوع القيادة التي نوفرها لهم.

الفصل السابع والعشرون

الخلاصة

علينا أن نختار بين منح الفرد الحرية الكاملة وهو الذي سيضع بعد ذلك لنفسه الحدود والقيود المناسبة لحياته، إذا ما أتيح له التوجيه الراشد الحكيم في صغره، وبين الضبط وتقييد حرية نفس هذا الفرد، عن طريق هؤلاء الأشخاص الذين يعتقدون دائما أنهم يعرفون خيرا منه.

وهذه القضية هي قضية الساعة، سواء أكنا نتناول مسألة تربية الطفل، أم جماعة من جماعات المراهقين أم كنا نتحدث عن العالم ككل.

ومقصد هذا الكتاب، كان في تأكيد وإبراز أن المراهقين هم أشخاص عاديون، أشخاص يحتاجون إلى المعاونة الحكيمة والتوجيه الرشيد، حتى يحققوا نموا سليما ويصلوا إلى مرحلة من الرشد يشعرون فيها بالسعادة والحرية، ويتحملون فيها المسئولية حيال أنفسهم، وحيال الآخرين.

وقد استعرضنا فيه تجارب عدة وخبرات تتعلق بتنظيم مؤسسات المراهقين، وبتخطيط البرامج وكذلك بالقيادة. وخلصنا من كل ذلك بأن على الراشدين أن يتحلوا بالصبر، وأن يؤمنوا بعملية النمو، وأن يكون لديهم من الحكمة ما يمكنهم من أن يساعدوها على التقدم عن طريق مدها بالغذاء الصالح، لا عن طريق الضغط عليها أو دفعها إلى الأمام.

ويجب عليهم أن يمارسوا السلطة أحيانا أثناء عملية التعلم عند المراهق، كما يجب عليهم أن يطعموا السلطات الممنوحة لهم بالفهم العميق للمراهقين، وبالتوجيه السليم، المبني أساسا على روح الإخاء والصداقة، ويجب أن تتوازن هذه السلطة مع الحرية المطلقة الممنوحة للمراهقين.

وكل ما سبق ذكره يتضمن القاعدة التي تقول بضرورة وجود الراشد المحنك ذي الخبرة والشجاعة، والمتأهب لأية إشارة تبدو من المراهقين، وتشير إلى استعدادهم لتقبل خبرة الراشد، وحكمته العميقة.

وقد عبر "امادو نرفو" رجل الدين الأسباني عن هذه الفكرة عندما كان خاليا إلى نفسه في أحد الأديرة بالمكسيك، فقال:

الدلالة

لا تتحدث إلى الجميع عن كل نواحي الجمال الأساسية.

لا تلق بجواهرك جميعها أمام من لا يقدرها.

ولكن انزل إلى مستوى المتحدث إليك، حتى لا يشعر بالإهانة وبالنقص والاضطراب.

كن في بعض الأحيان، سطحيا مع السطحي، ولكن من حين إلى آخر، وبدون أن يبدو عليك أنك قد دبرت أو فكرت في الأمر، أملأ كأسه، وما يغطيها من سخف وطيش، بأحلامك وأفكارك وأمانيك العميقة والمفيدة.

فإذا لم يدرك، بعد كل ذلك، مقصدك أو مرماك، فاجمع أفكارك، وسر في طريقك مُبتسمًا؛ لأن الساعة لم تحن بعد بالنسبة إليه ليتقبل مثل هذه الأفكار.

أما إذا التقط أحدهم أفكارك وتبني قيمك، وبدأ يحس بما ترمي إليه من معانيك، فيجب عليك أن تقف منه موقف المرشد، والموجه والحكيم.

ثم خذه بعد ذلك، واجعله يتجول معك بين يانعات أفكارك، وبساتين حكمتك ومعرفتك، وتحدث معه عن جبروت الخالق الذي يحيط بنا، ثم لقنه كلمة الحق والإيمان، وافتح أمامه باب المعرفة، نحو الحرية الحقة.

الفهرس

تقديم ٥

القسم الأول: عالم المراهقين ١٢

الفصل الأَول: وجهة النظر ١٣

الفصل الثاني: المراهق كما يبدو للآخرين ١٧

الفصل الثالث: المراهق على حقيقته ٢٩

الفصل الرابع: الجماعة التي يعيش فيها المراهق ٣٧

الفصل الخامس: خلاصة ٤١

القسم الثاني: معاونة المراهقين على تنظيم جماعاتهم ٤٦

الفصل السادس: مجهود فرد واحد ٤٧

الفصل السابع: عمل لم يقم به أحد ٥٠

الفصل الثامن: الأُسس الواجب توافرها في مُؤسسة المراهقين ٦٤

الفصل التاسع: تنظيم الجماعات عن طريق المجتمع المحلي ٦٩

الفصل العاشر: تنظيم جماعات الأندية عن طريق المدرسة ٧٧

القسم الثالث: قيادة جماعات المراهقين ٨٣

الفصل الحادي عشر: ضرورة وجود قائد ٨٤

الفصل الثاني عشر: خصائص وصفات القائد ٨٧

الفصل الثالث عشر: اكتشاف القادة ٩٤
الفصل الرابع عشر: التوجيه والإرشاد كإحدى عمليات القيادة ١٠٠
الفصل الخامس عشر: القرارات التي يتخذها القائد ١١٤
الفصل السادس عشر: خلاصة لأُسس القيادة ١٣٤
الفصل السابع عشر: كيف تنمو الجماعة؟ ١٣٧
الفصل الثامن عشر: الهدف من القيادة ١٤٤
الفصل التاسع عشر: معنى القيادة ١٥٢
القسم الرابع: تخطيط البرامج مع جماعات المراهقين ١٥٥
الفصل العشرون: ما هو تخطيط البرنامج؟ ١٥٦
الفصل الحادي والعشرون: تخطيط أول برنامج مع الجماعة ١٧٥
الفصل الثاني والعشرون: تخطيط البرامج الأُخرى ١٨٧
الفصل الثالث والعشرون: العوامل المساعدة على تخطيط البرامج وفائدتها ١٩٣
الفصل الرابع والعشرون: النشاط الاجتماعي والرياضي ٢١٤
الفصل الخامس والعشرون: مشروعات الخدمة العامة ٢٢٢
الفصل السادس والعشرون: أسس التخطيط لبرامج اجتماعات الأندية ... ٢٢٨
الفصل السابع والعشرون: الخلاصة ٢٣١